# دلائلُ المُحِبِّينَ

# في

# التَّوسُّل بالأنبيَاءِ والصَّالحينَ




تأليف

**فتحي سعيد عمر الحُجيري**

تقديم

العلاَّمة المحدث المفسّر الشَّيخ

محمَّد إبراهيم عبد الباعث الكتاني

العلاَّمة المحدث الدُكتور

أسامة السيِّد محمود الأزهري

العلاَّمة الأصولي الدُكتور

جمال فاروق الدَّقاق الأزهري

# دَلائلُ المُحِبِّينَ

# في

# التَّوسُّل بالأنبيَاءِ والصَّالحينَ


## تأليف

## فتحي سعيد عمر الحُجَيري

### تقديم

### العلاَّمة المحدث المفسر الشَّيخ
### محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني

العلاَّمة المحدث الدُّكتور
**أسامة السِّيد محمود الأزهري**

العلاَّمة الأصولي الدُّكتور
**جمال فاروق الدَّقاق الأزهري**

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظلموا أنفسهم جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً ﴾

## دُعَاءُ صَلاة الحَاجة

اللهُمَّ إني أسألك و أتوجَّه إليك بنبيِّك محمَّد نبي الرَّحمة يا محمَّدُ إنِّي توجهت بك إلى ربي في حاجتي هَذه لتقضى لي اللهُم فشفعه فيَّ .

## مقدمة

## العلاَّمة المُحدِّث المُفسِّر الدَّاعية

## الشَّيخ محمَّد إبراهيم عبد الباعث الكتَّاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على مولانا رسُول الله، وآله وصحبه ومَن والاه.

وبعد:

فإنَّ مسألة التَّوسُّل – سواء كان بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو بغيره من الصَّالحين – تُعدُّ من المسائل التي وقع فيها الخلاف ما بين مُجيزٍ ومانعٍ، وكان لكلٍ منهما أدلته على ما ذهب إليه.

إلاَّ أنَّ الأمر في – الآونة الأخيرة – قد انتقل من حيِّز الخلاف الذي يدور الحُكم فيه بين الحظر والخطر، أو الجواز والمنع، إلى حيِّزٍ يدور الحُكم فيه بين الكفر والإيمان نتيجةً لنقل الأمر من دائرة الفروع المختلف فيها إلى دائرة الأصول العقدية.

وهي شَنشَنةٌ عرفناها من الخوارج، الَّذين انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في المشركين فجعلوها على المسلمين، ولا تزال هذه الشَّنشنة في أذنابهم ممَّن حذا حَذوهم، وأخذ إخْذَهُم في إطلاق قالة الإكفار في المسلمين، بحمل خطاب الله للمشركين على أنَّه خطابٌ للمسلمين، وهذا ما قاله ابن عمر "رضي الله عنه" فيما ذكره عنه الإمام أبو عبد الله البخاري "رحمه الله" عند ذكر الخوارج من صحيحه.

**قلتُ:** ومن ذلك إطلاقهم على زائري قبور الصَّالحين: القبوريين، أو عبَّاد القبور وعلى المعظِّمين لرسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: الغُلاة، وهم بذالك ينقلون المسألة من حيِّزها إلى حيِّزٍ آخر، ليجدوا في ذالك ذريعتهم للطَّعن على علماء المسلمين في عقيدتهم، فكل مسلم عندهم متَّهم، إلا من كان على مذهبهم فى تحويرهم للنُّصوص وتأولها في تكفير الأمَّة، فكان من نتائج هذا المسلك أنَّهم لمَّا غلوا في النَّكير، أوغلوا في التَّكفير حتى

أمست الأمَّة منهم في بلاءٍ عظيم، حيث حمل عنهم هذا الفكر كثير من الدَّهماء، الذين ساروا ورائهم، وسلكوا سبيلهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وممَّا يكشف خبيئة السوء فيهم أنَّك تراهم يحتاطون في المدح، حيث يقول قائلهم إذا مدح صاحبه: أحسبه من الصَّالحين ولا أزكي على الله أحداً، أما في جانب التَّكفير، فلا ورع ولا خوف من الله "عزَّ سلطانه" الأمر الذي يظهر معه ما انطوت عليه سرائرهم تجاه إخوانهم المسلمين الَّذين لم ينقموا منهم إلا أنهم اتبعوا أهل السُّنة والجماعة فيما ذهبوا إليه في مثل هذه المسألة التي ينبغي أن يسعنا فيها ما وسع غيرنا من القول بأنَّها من مسائل الفروع وليست من مسائل الاعتقاد.

والكتاب الذي بين أيدينا يُعدُّ واحداً من هذه الكُتب التي عالجت هذه المسألة بذكر أقوال العلماء فيها.

وإنني أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كل منصف، وكل ساع لمعرفة الحق في هذه المسألة، وأن يجزي المؤلف خير الجزاء، ولا يفوتني أن أدعو الله تعالى أن يجمع هذه الأمة على كلمة سواء، إنَّه وليُّ ذالك والقادر عليه، لا ربَّ سواه.

وصلَّى الله تعالى على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله الطَّيبين وصحابته الأكرمين.

وكَتَبه

مُحمَّد إبرَاهيم عَبْد البَاعِث

## مقدمة

## العلاَّمة المقرئ الأُصُولي الدكتور

## جمال فاروق الدقاق الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا مُحمَّد سيِّد الأولين والآخرين صاحب لواء الحمد والشَّفاعة العظمى يوم يقوم النَّاس لرب العالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمَّا بعد :

فإنَّ مسألة التَّوسل بالأنبياء والأولياء وذَوِي المكانة والجاه والمنزلة عند الله لم تزل محلَّ نقاش وخلاف ونزاع بين فئات كثيرة من المسلمين.

فقد اختلف حول مفهومه وحكم بعض أنواعه وجهات الأنظار حتى اعتبر البعض أنَّ التَّوسل فيه نوع من الشِّرك، أو فيه غلوٌّ وعبادةٍ لمن يُتوسَّل بهم، والبعض الآخر أقام الأدلة على مشروعيَّته وجوازه وأنَّه عَمَلُ جمهور المسلمين.

هذا مع اتفاق الجميع على جواز التَّوسُّل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وبالأعمال الصَّالحة التي قام بها الدَّاعي كالإيمان بالله ورسُله، وبدعاء رجلٍ صالحٍ ولو كان في مرتبةٍ أقلَّ من المدعو له، فهذه أنواعٌ من التَّوسُّل قامت عليها الأدلة القاطعة ولا يمانع فيها أحد من أهل العلم، وإلا صادمته النُّصوص وألزمته معارضة الحقِّ إن أصرَّ على المخالفة.

إلا أنَّ مسألة التَّوسُّل بذات النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أو بذوات غيره من الأولياء الصَّالحين والأئمة المرشدين والعلماء العاملين – ما لم يُعبَدوا من دون الله – فهي محل خلاف بين المؤيدين والمعارضين لها.

وقد تمسَّك المنكرون أو المعارضون لهذا النَّوع من التَّوسل بشبهات كثيرة قام العلماء

المحققون بالرَّد عليها.

ومن أظهر هذه الشُّبه قياسهم توسُّل المؤمنين بما أخبر الله تعالى به عن المشركين والكفَّار عندما اتخذوا أصنامهم آلهةً واعتقدوا أنَّها تستحق العبادة وعظَّموها تعظيم الرُّبوبيَّة فوقعوا في الشِّرك الأكبر حقيقة – رغم كونهم يعلمون أنَّها لا تخلُق شيئا ولا تنفعُ ولا تضر، فلما أقام الله عليهم الحُجَّة بأنَّها لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضَراً قالوا – معتذرين – ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ فهؤلاء المنكرون للتَّوسُّل يجعلون سؤال الله تعالى أو الاستشفاع بالأنبياء أو الأولياء والصَّالحين عبادةً لهم، فيكون التَّوسُّل بذلك نوعاً من أنواع الشِّرك – وهو شِركُ التقريب – أي عبادة غير الله ممن يُتوسَّل بهم من أجل التقرب إلى الله تعالى –.

ففي قياسهم توسُّل المؤمنين بما أخبر الله به من أحوال المشركين نوعٌ من المجازفة والبطلان لأنَّ المشركين عبدوا هذه الوسائط بشهادة قوله تعالى : – ما نعبُدهم – وأمَّا المسلمون فلم يعبُدوا إلا الله، وتوسُّلهم بأحبائه وأصفيائه من خلقه لا يقتضي تلك الشُّبهة لأنَّه قد جاء به الإذن من الشَّرع في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾.

وأيضًا في قياسهم هذا خطرٌ كبيرٌ فيه حمل الآيات التي نزلت في المشركين على أنَّها نزلت في المسلمين الموحِّدين، وهذا مسلك الخوارج لأنَّ ذلك يقتضي الحُكم على السَّواد الأعظم من الأمَّة الإسلاميَّة – التي شهد لها الحقُّ تبارك وتعالى بالخيريَّة – بالشِّرك والخروج من الملَّة، مع أنَّ فيهم الأئمة الأعلام المجتهدين من السَّلف الصَّالح ممَّن يرون جواز التَّوسَّل ومشروعيته كالإمام أحمد بن حنبل، والإمام مالك بن أنس، وغيرهم من المشهود لهم بالعدالة والتقوى والورع وشدة المحافظة على اتباع السُّنة النَّبوية.

ولقد أعجبني قول القائل رداً على إنكارهم التَّوسُّل بذات النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ مع قولهم بجوازه بالأعمال الصَّالحة:

**قَـــالوا التَّوسُّـــل بـــالنَّبي نعُـــدُّه      شِـــرْكاً وَمَـــا مَنعُـــوهُ بالإعْمَـــالِ**
**قُلـــتُ النَّبـــي أحـــبّ مِـــنْ أعْمَـــالِكُم      قَطْعـــاً إلـــى المتكَبِّـــر المُتعَـــالِ**

هذا وقد وفَّق الله تعالى أخي الفاضل الشَّيخ / فتحي سعيد عمر الحُجَيري في إعداد هذا الكتاب الذي جمع فيه نماذج كثيرة من توسُّلات الصَّحابة والتَّابعين والأئمة والعلماء العاملين، وذكر أدلتهم في مشروعيَّة التَّوسل بالأنبياء والأولياء والصَّالحين وذوي المكانة عند الله تعالى، وانتهي في كتابه هذا إلى أنَّ التَّوسل بالأنبياء والصَّالحين عامةً وبسيِّدنا رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ خاصةً مشروعٌ في دين الله وجائزٌ بالأدلة والنُّصوص الصَّريحة الصَّحيحة عند جمهور العلماء سلفاً وخلفاً، وأنَّه ليس فيه نوع من أنواع الشِّرك أو العبادة لغير الله ولا شيء من هذا القبيل.

وإنَّما فيه إظهار لفضل المولى "تبارك وتعالى" على يد أصفيائه وأحبائه وأوليائه وخواصه من خلقه لإظهار مكانتهم وفضلهم عنده على وجه الكرامة.

فأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كُلَّ من قرأه بعين الإنصاف، فإنَّه كِتابٌ جامعٌ مُباركٌ.

والله تعالى أعلم، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

**كتبه**

**جَمال فاروق الدَّقاق الأزهري**

**الأستاذ بكلية الدَّعوة الإسلاميَّة بالقاهرة**

**جامعة الأزهَر الشَّريف**

## مقدمة

## العلاَّمة المحدث الدكتور

## أسامة السَّيد محمُود الأزهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ لله ربِّ العـالمين، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ علـى سـيِّدنا مُحمَّـد، سـيِّد الأولـين والآخـرين، وخـاتم الأنبيـاء والمُرسلين، ورحمـة الله تعـالى للعـالمين، وعلـى آلـه وأصحابه، ومن تبعهم إلى يوم الدِّين.

أمَّا بعد..

فإنَّ البصرَ بمسالك صناعة العلم، وإدراكَ مقاصد الشَّرع، واستحضارَ الأدوات اللاَّزمة لفهم النُّصوص الشَّرعيَّة، والمَعرفة بمناهج أئمة الأمَّة في النظر والتحليل، والاطلاعَ على سنن الله تعالى في شئون الأمم الماضيَّة، ممَّا أودعه الله تعالى في كتابه، وحضَّ على النَّظر فيه بآكد الطُّرق، وإدراكَ خصائص الأمَّة المُحمَّدية التي تميَّزت بها عن بقية الأمم ممَّا يناسب دورها الذي أقامها الله فيه، من وراثة النَّبيين والائتمان على هذا الدِّين، وحمل الهداية إلي العالمين، والقيام بوظيفة الشَّهادة على النَّاس، كل ذلك يمثل محاور ومرتكزات، يجب أن تكون حاضرة في ذهن من يمارس النَّظر في أي مسألة شرعيَّة، يريد الإحاطة بها، والوصول إلى مراد الله تعالى فيها.

ثمَّ إنَّه يقوم بعد ذلك باجتلاب النُّصوص الواردة في تلك المسألة، وجمعها ومعرفة مراتب بعضها من بعض، حتى يدرك العامَّ والخاصَّ، والمطلق والمقيَّد، والنَّاسخ والمنسوخ، مع إتقان أبواب دلالات الألفاظ والتي هي من أعظم أبواب

علم الأصول، كما صرَّح أئمة هذا العلم الجليل، بل هي المَعْبَرُ الذي تسري من خلاله دلائل استيعاب النُّصوص الشَّرعيَّة لأحوال المكلَّفين أجمعين، بالبيان لإحكام تصرُّفاتهم، ووجوه نشاطهم وحركتهم، على اتساع دائرة المجال الإنساني، بموجب كون هذا الشَّرع الشَّريف هداية للعالمين.

كانت هذه هي المعالم الكبرى للوظيفة العلمية التي يقوم بأعبائها الأئمة المهديون، فيستخرجون من القرآن والسُّنة ما أودع فيها من أحكام، وآداب وقيم، عن بصر ومعرفة، وكانوا بها ينحتون المعاني من معادنها، ويقررون الأحكام عن فقه ووعي بمجالاتها ومحالها، فيبلِّغون شرع الله تعالى على ما هو عليه ويؤدون الدِّين كما تحمَّلوه، رغم ما يطرأ في كل زمن من أحوالٍ ومستجداتٍ ومتغيراتٍ، وهذا من عجائب هذا الدِّين.

وقد شَجرت هنا مؤخرًا عدَّة مسائل، تنازع فيها النَّاس، واضطرب فيها القول، وكثر فيها اللَّغط، وتصايح فيها الخائضون، وكان من حقها أن تُرَدَّ إلى الله والرَّسول، ليَعْلمها الَّذين يستنبطون ويؤصِّلون، وليتكلم فيها أهل الذِّكر دون غيرهم، دون تَقحمٍ ممَّن لا يعلم، ولا تطاولٍ ممَّن لم يتأهل.

وإذا غابت الرُّؤيةُ الكليَّةُ، الكاشفةُ عن مقاصد الشَّرع الشَّريف ،ودور الأمَّة المحمَّدية في الهداية، ونسق الشَّرع الشَّريف في بناء الأحكام، وكيفيةِ دلالة نصوص الوحيين على المسائل والأحكام، والكيفيَّةِ التَّامة المتقنة لصناعة العلماء الذين يستنبطون، وإعدادهم، إذا غاب ذلك كله، تحولت طبيعة التناول للمسائل العلمية إلي ما نراه اليوم، وقد قال حجة الإسلام الغزالي: (لو سكت من لا يعلم لارتفع الخلاف).

والَّذي أريد التَّنبيه إليه أنَّ مَنْ حَمَل هم الهداية، وطالع السِّيرة النَّبويَّة

وقرأ القرآن الكريم عن بصيرة، اتسع صدره للمخالف، وأحسن التعامل معه، وألان القول له، وأشفق عليه، وكف عن الفظاظة وغلظة القلب معه.

نعم هذا هو شأن حامل الهداية، من رسل الله الكرام، وأنبيائه العظام، ومن ورثتهم من أئمة الهدي، وهو شأن كل مهتدٍ، يرجوا للأمة خيرًا.

وبعد هذا التَّنبيه أقول: هذا كتابٌ يتناول مسألة التَّوسل، وهي من المسائل التي كثر فيها اللغط، أعده فضيلة الشَّيخ / فتحي سعيد عمر الحُجَيري "وفقه الله" وهو يحاول فيه أن يجمع أطرافا من كلام العلماء في هذه القضية، ويجتهد في دراستها، ويسعى في توضيح طبيعتها، وكلام العلماء في حكمها، مع بحوث أخرى تضمنها كتابه، فنرجو له التَّوفيق، وندعو له بالمعونة، والله تعالى أعلى وأعلم، وأجل وأكرم، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

كتبه

أسامة السَّيد محمُود الأزهري

Albadr571@hotmail.com

## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد ولد آدم أجْمَعين، صَاحبِ المقَام المَحمُود، واللَّواء المَعقُود، والحَوضِ المَورُود، المَخصُوص ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في يوم القيامةِ بالشَّفاعَةِ العُظمى، والوسِيلة الكُبرى، مَن قرن الله اسمَه باسم القداسة في شهادة التَّوحيد.

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك عليْه، صلاةً تُقربنا إلي روضتِه، وتجعلنا من أهل شَفاعتهِ وتملأ قلوبنا بتعْظيمه ومحبته، وتشنِّف أسمَاعنا بلذيذ خطابه ومُخاطبته، وتمتِّع أبصارنا في محيًّا جماله بكمال مُشاهدته، وتُرقِّي أرواحنا في مَدارجِ مَعارج حضْرته، صلِّ اللهمَّ عليْه وعلى الصَّفوة من عترته، وعلى أصحابه أنجُم الهداية، وأسَاطين الولاية، وعلى جميع الأنبياء والمُرسلين.

**أمَّا بعـد:**

فإنَّ التَّوسُّل إلى الله تعالى بالأنبياء والمُرسَلين، وبعباده الأولياء الصَّالحين، أمرٌ دعت إليه الشَّريعةُ الغرَّاء، ونَطقَ به كتابُ ربِّ الأرض والسَّماء، وأرشدنا إليه إمامُ المُرسلينَ والأنْبياء، وأطبقت عليه الأُمَّةُ المُحمَّديَّةُ منْ سلفها إلى خلفها، طبقة من بعد طبقة، وجيلاً من بعد جيل.

حتى برز في الأمَّة المُحمَّدية أُناسٌ من بني جلدتهم، ويتكلمون بألسنتهم، استغلقت أفهامُهم، وتطرَّفت أفكارُهم، فحَادوا عن سبيل المُؤمنين، وركِبوا مركب المُتعصِّبين.

لبِسُوا مُسُوحَ العلماء، وتزيُّوا بزيِّ النُّصحَاء، فلبَّسوا على النَّاس أمرَ دينِهم، فشتَّتوا شَمل الأُمَّة، وَصَاروا في قلوب المُؤمنين غُمَّة، من سَلك مسلكهم آزروه، ومن أراد تقويمَهم ونصحَهم عادوه، وسلاحهم في ذلك الإكفار، والاتهام بالرِّدة، والخسَارة، والبَوار.

وغالوا في تكفير المُتوسِّلين بالأنبياء والصَّالحين، حتى قال أحدُهم: أبو جهلٍ

وأبو لهب ومن على دينهم من المُشركين، كانوا يُؤمنون باللّه ويوحدونه في الرُّبوبيَّة خالقًا

ورازقًا مُحييًا ومُميتًا، ضارًا ونافعاً، لا يشركون به في ذلك شيئًا!.

**ثمَّ قال متعجباً:** عجيبٌ وغريبُ أن يكون أبو جهلٍ وأبو لهب، أكثر توحيدًا للّه وأخلص إيماناً به، من المُسلمين الذين يتوسَّلون بالأولياء والصَّالحين ويستشْفعون بهم إلى اللّه!!

أبو جهل وأبو لهب أكثر توحيدًا وأخلص إيمانًا من هؤلاء المُسلمين الذين يقولون لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه![١] ا.هـ

يا للعجب!! نبيُّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يبشَّرنا أنَّ هذه الأمَّة لن تُشرك من بعده، وأقسم بالله على ذلك[٢] فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لأنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ[٣] أَنْ تَتَنَافَسُوا فِيهَا.[٤]

وهذا المَأفُون[١] ببضعة أسْطر، يُخْرِجُ من الملَّة المُحمَّديَّة، جماهير الأُمَّة من العلماء

---

﴿١﴾ كيف نفهم التوحيد لمحمد بن أحمد باشميل ص١١/ الناشر/ الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – إدارة الطبع والترجمة

﴿٢﴾ بل إن المغالين يا سيِّدي يا رسول الله في مصنفاتهم يقررون خلاف ما أنبأتنا به وأنت الصَّادق فيقولون: إنَّ جماهير أُمَّتك من قرون طويلة يعبدون القبور، ويسمونهم (القبوريون) بل وشركهم أشد من شرك الجاهلية.

﴿٣﴾ أي أخاف عليكم الدنيا

﴿٤﴾ البخاري، ومسلم، وأحمد في المسند، والترمذي في سننه. انظر: فتح الباري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد، حديث رقم (١٣٤٣) (٣ / ٢٠٩)، وأطراف الحديث في البخاري (٣٥٩٦، ٤٠٤٢، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠). وانظر: مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وصفاته (٤/ ١٧٩٥)، حديث رقم (٢٢٩٦). وانظر : مسند أحمد (٤ / ١٤٩) ؛ وسنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، الباب (٢٨)، حديث رقم (٢٤٦٢) (٤/ ٦٤٠)، وقال فيه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿١﴾ أفن: أُفِنَ الرَّجُلُ أَفْناً؛ وهو مَأْفُوْنٌ: ذاهِبُ العَقْلِ، وأَفِنَ: مِثْلُه. وأُفِنَ الطَّعامُ وهو مَأْفُوْنٌ: يُعْجِبُكَ ولا خَيْرَ فيه. وهو الذي قَلَّتْ بَرَكَتُه.

والعارفين، ومعَهم العَامَّة من قُرونٍ طويلةٍ.

ومع أنَّ نبيَّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حذَّرنا أشدَّ التَّحذير، من الوقوع في اتهام المُسلم بالتَّكفير فقال: أيُّما رَجُلٍ قَال لأخيه المُسلم يَا كافِر، فقَد باء بها أحدُهما.﴿٢﴾

ولقد علم القاصي والدَّاني، أنَّ أوَّل من أطلق التكفيرَ في الأُمَّة المُحمَّديَّة، هُم الخوارج﴿٣﴾ الذين حذَّرنا نبيُّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من الوقوع في براثن فكرهم ومن سُلوك مسلكهم، واتباع طريقتهم.

هذا وممَّا دفعني لكتابة هذا البحث، ما رأيتُه في كُتب المُغالين من وَصْم جماهير الأُمَّة المُحمَّدية بالبدعة أو الشَّرك، لمُجرَّد أوهام توهَّمُوها، وشُبهٍ في عقولهم أسَّسُوها، وآياتٍ في كتاب الله لم يفقهوها. فهالني هذا الأمرُ الخَطير، والشَّر المُستطير.

فاستعنتُ بالله تعالى، في جمع الدَّلائل الواضحة، والبراهين السَّاطعة، من القُرآن الكريم، والسُّنة النَّبويَّة الشَّريفة، وآراء كبار علماء الأمَّة المُحمَّدية، من علماء السَّلف والخلف على

---

﴿٢﴾ رواه البخاري / ج٥/ ص ٢٢٦٤/ ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٣﴾ الخوارج: فرقة خرجت على إمام الهدى الخليفة الرَّاشد سيدنا ومولانا الإمام علي بن أبي طالب "عليه السلام" وكفرته، بل وكفَّرت جموع المسلمين إلا من تبعهم، وسار على نهجهم، ويُسمَّون بالخوارج، لخروجهم على الإمام، ويُسمَّون بالحَرُورية: نسبة لمكان بالعراق خرجوا إليه، ويُسمَّون بالقرَّاء: نسبة لحفظهم للقرآن الكريم، وهم أصحاب القولة الشهيرة: (لا حكم إلا لله) ورد عليهم سلطان البلاغة سيدنا علي بن أبي طالب بقولته الخالدة: (كلمة حق أريد بها باطل). وهذه الفرقة من أشد الفرق تعصبا لرأيهم وإعجابًا بأنفسهم. وهم يزعمون أن رأيهم الصَّواب وما عداه كفرٌ وضلالٌ، ولقد أخبرنا نبينا الذي لا ينطق عن الهوى في أحاديث كثيرة رواها أصحاب الصِّحاح وغيرهم بأوصافهم الظاهرة والباطنة، منها على سبيل المثال ما رواه البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يَقُولُ: يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الْقِدْحِ فَلا يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلا يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الْفُوقِ.

البخاري باب(باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به) رقم٤٦٧٠

مشروعية التوسُّل بالأنبياء والصَّالحين.

قاصداً بعملي هذا الدِّفاع عن حُرمة سيِّدي رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وعن حُرمة هذه الأمَّة الخاتمة. ونصحاً لإخواني القُراء، حتى لا يقعوا في تكفير إخوانهم المسلمين ممَّن يرون مشروعيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين.

ولقد سميت بحثيَ هذا:

دَلائل المُحبِّين في التوسُّل بالأنبياءِ والصَّالحين

فإنَّ أصبتُ فيه فهذا من توفيق الله، وإنَّ أخطأت فمن نفسي، وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

أسأل الله العلي القدير، بجاه السِّراج المنير، أن ينفع به كل من اطلع عليه، وأن يجعله طريقًا للهداية، وسبيلاً للعناية. وصلى الله على سيِّدنا محمَّد وعلى آله وأصحابه وسلَّم.

وكتبه العبد الفقير

أبو صُهيب فتحي سَعيد عُمر أحمَد خَليل الحُجَيْري

# منْهَجُ البَحْث

يحتوي هذا البحث بمشيئة الله تعالى على مقدمة، وثلاثة أبواب، وكل باب به ثلاثة فصول، ثم الخاتمة .

## الباب الأول

الفصل الأول: بيان معنى التوسُّل والوسيلة عند علماء اللغة العربية

الفصل الثاني: التوسُّل عند الأمم السابقة

الفصل الثالث: التَّوسُّل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قبل مولده الشَّريف

## الباب الثاني

الفصل الأول: التَّوسُّل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قبل البعثة الشَّريفة

الفصل الثاني: التوسُّل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بعد البعثة الشَّريفة

الفصل الثالث: التوسُّل بالنبي – صلى الله عليه وآله وسلم – بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى

## الباب الثالث

الفصل الأول: التوسُّل بالصَّالحين

الفصل الثاني: التوسُّل يوم القيامة

الفصل الثالث: توسُّل علماء الأمَّة المحمّديَّة

# الباب الأول

## الفصل الأول

## بيان معنى التوسل والوسيلة عند علماء اللغة العربية

## بيانُ معنى التَّوسُّل والوسيلة عند أهل اللُّغة العربيَّة

**جاء في المُعجم الوجيز:**

توسَّل بكذا: اتخذه وسِيلة. توسَّل فلانٌ إلى فلانٍ بكذا: تقرَّب إليه بعلاقة تُعْطِفه عليه.

توسَّل فلانٌ إلى الله تعالى: عَمِل عَمَلا تقرَّب به إليه.

وجاء معني الوسيلة في المرجع السَّابق:- الوسيلة: الوصلة.

الوسيلة: درجة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في الجنَّة، والجمع منها وسائل.(١)

**وجاء في مُختار الصِّحاح:**

الوَسِيلة ما يتقرَّب به إلى الغير، والجمع الوَسِيلُ والوَسَائِل. والتَّوْسِيل والتَّوَسُّل واحد. يقال: وَسَّل فلان إلى ربِّه وسيلة (بالتَّشديد) وتَوَسَّل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل.(٢)

**وجاء في لسان العرب:**

الوَسِيلةُ: المَنْزِلة عند المَلِك. والوَسِيلة: الدَّرَجة. والوَسِيلة: القُرْبة. ووَسَّل فلانٌ إلى الله وسِيلةً إذا عَمِل عملاً تقرَّب به إليه. و الواسِل: الراغِبُ إلى الله.

**قال لبيد:**

**أَرى النَّاسَ لا يَدْرونَ ما قَدْرُ أَمرِهم    بَلى كلُّ ذي رَأْيٍ إلى الله واسِلُ**

وتوَسَّل إليه بوَسِيلةٍ إذا تقرَّب إليه بعَمَل. وتوَسَّل إليه بكذا: تقرَّب إليه بحُرْمَةِ آصِرةٍ تُعْطفه عليه. والوَسِيلةُ: الوُصْلة والقُرْبى، وجمعها الوسائل، قال الله تعالى: ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ** ﴾

الوَسِيلةُ: ما يُتَقَرَّبُ به إلى الغَيْر، والجمع الوصل والوسائلُ. والتَّوصيل والتَّوسُّلُ واحد. وفي حديث الأَذان: اللَّهمَّ آتِ محمَّداً الوَسِيلة، هي في الأَصل ما يُتَوَصَّل به إلى الشيء ويُتَقَرَّب به، والمراد به في الحديث: القُرْبُ من الله تعالى.

---

(١) المعجم الوجيز / حرف الواو / ط وزارة التربة والتعليم

(٢) مختار الصِّحاح / ج ١/ ص ٣٠٠

وقيل: هي الشفاعةُ يوم القيامة، وقيل: هي منزلة من مَنازل الجنَّة كما جاء في الحديث. [١]

**ولقد ذُكرت كلمة التَّوسُّل في القرآن الكريم في موضعين:**

**الموضع الأول:**

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٢]

**الموضع الثاني:**

قوله تعالى ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾.[٣]

**وذكر القرطبي عند تفسيره لآية المائدة فقال:**

قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾الوسيلة هي القربة عن أبي وائل، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، والسُّدي، وابن زيد وعبد الله بن كثير وهي فعيلة من توسَّلت إليه أي تقربت.

**قال عنترة:**

**إنَّ الرِّجالَ لهُم إليك وَسيلة — أن يأخذوك تكحلي وتخضَّبي**

والجمع الوسائل قال:

**إذا غفل الواشُون عُدنا لوصلنا — وعاد التَّصافي بيننا والوسائل**

ويُقال منه سَلت أسأل أي: طلبت، وهما يتسَاولان أي: يطلب كل واحدٍ من صاحبه

---

[١] لسان العرب / ج١١ / ص ٧٢٥

[٢] سورة المائدة: ٥٣

[٣] سورة الإسراء:٥٧

فالأصل الطَّلب، والوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها.[١]

ولا خلاف بين المفسِّرين أنَّ الوسيلة هي [القربة] كما صرَّح بذلك ابن كثير في تفسيره فقال:

﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال سفيان الثَّوري، حدثنا أبي، عن طلحة، عن عطاء عن ابن عبَّاس: أي القربة. وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل، والحسن، وقتادة وعبد الله بن كثير، والسُّدي، وابن زيد.

وقال قتادة: أي تقرَّبوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه. وقرأ ابن زيد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسِّرين فيه

**وأنشد ابنُ جرير عليه قول الشَّاعر:**

**إذا غَفَل الواشُون عُدنَا لِوصْلنَا     وعَاد التَّصَافي بَيْنَنَا والوسَائلُ**

**والوسيلة:** هي التي يتوصَّل بها إلى تحصيل المقصود.[٢] ا.هـ

وعلى ما تقدم: تكون الوسيلة من باب القربة التي يتخذها العبد، فالمتوسِّل اتَّخذ قربةً رجاءَ قبول دعائه، والقُربة في الدُّعاء مشروعةٌ بالاتفاق.

وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

(١) تفسير القرطبي / ج٦ / ص ١٩٥ / ط دار الشعب – القاهرة

(٢) تفسير ابن كثير ج٣ / ص ٩٧


الباب الأول
الفصل الثاني
التوسل عند الأمم السابقة

# التَّوسُّل عند الأُمم السَّابقة

كانت الأُممُ السَّابقة تتوسَّل بأنبيائها ورسُلها، بدعائهم أو بآثارهم، في حياتهم، أو بعد انتقالهم إلى الرَّفيق الأعلى، ولقد ثبت ما يشير إلى ذلك في نصوص القرآن الكريم، وإليك بعض الدَّلائل الواردة في توسُّلاتهم بأنبيائهم.

## التَّوسُّل بدعاء الأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام"

**١- توسُّل أخوة سيِّدنا يُوسُف، بدعاء أبيهم سيِّدنا يعقوب "عليْهما الصَّلاة السَّلام":**

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧﴾[1]

**٢- توسُّل آل فرعون بسيِّدنا موسى "عليه السَّلام":**

قال تعالى ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤﴾[2]

**٣- توسُّل قوم سيِّدنا موسى في الطَّعام:**

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ﴾[3]

وهذا النَّوع من أنواع التَّوسُّل ورد كثيراً في القرآن الكريم، وهو لا خلاف فيه عند أحدٍ من المسلمين، ونكتفي بما ذكرنا على سبيل المثال.

---

(١) سورة يوسف:٩٧

(٢) سورة الأعراف:١٣٤

(٣) سورة البقرة:٦١

## التَّوسُّلُ بجسد سيِّدنا (دانيال) إلىٰ عهد الفاروق عمر "رضيَ الله عنه"

إنَّ التَّوسُّل عند الأُمم السَّابقة كان معلوماً عندهم ويفعلونه، وقد توسَّلوا بجسد سيِّدنا دانيال "عليْه السَّلام"، وهو نبيٌّ من أنبياء الله "عزَّ وجلَّ"، من أنبياء بني إسرائيل، ولقد ذكر التَّوسُّل به الحافظ ابن كثير وغيره من أهل السيَّر والتَّاريخ.

**ذكر ابن كثير في [البداية والنِّهاية] فقال:**

وقال يونس بن بكير[١]: عن محمَّد بن إسحاق، عن أبي خلدة خالد بن دينار، حَدَّثَنَا أَبُو الْعَالِيَةِ قَالَ: لَمَّا فَتَحْنَا "تُسْتَرَ".[٢] وَجَدْنَا فِي بَيْتِ مَالِ الْهُرْمُزَانِ[٣] سَرِيرًا عَلَيْهِ رَجُلٌ مَيِّتٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مُصْحَفٌ لَهُ فَأَخَذْنَا الْمُصْحَفَ، فَحَمَلْنَاهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَدَعَا لَهُ كَعْبًا[٤] فَنَسَخَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَأَنَا أَوَّلُ رَجُلٍ مِنْ الْعَرَبِ قَرَأَهُ: قَرَأْتُه مِثْلَمَا أَقْرَأُ الْقُرْآنَ هَذَا. فَقُلْت لأبِي الْعَالِيَةِ: مَا كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: سِيرَتُكُمْ، وَأُمُورُكُمْ، وَلُحُونُ كَلامِكُمْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدُ. قُلْت: فَمَا صَنَعْتُمْ بِالرَّجُلِ؟ قَالَ: حَفَرْنَا بِالنَّهَارِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ قَبْرًا مُتَفَرِّقَةً، فَلَمَّا كَانَ بِاللَّيْلِ دَفَنَّاهُ وَسَوَّيْنَا الْقُبُورَ كُلَّهَا لِنُعَمِّيَهُ عَلَى النَّاسِ لاَ يَنْبُشُونَهُ. قُلْت: وَمَا يَرْجُونَ فِيهِ؟ قَالَ: كَانَتْ السَّمَاءُ إذَا حُبِسَتْ عَنْهُمْ

---

(١) هو: يونس بن بكير بن واصل الشيباني، أبو بكر، الجمَّال الكوفي، وثَّقه ابن معين، ومرَّة قال: صدوقًا وقال النسائي: ليس بالقوي، وأكثرهم يوثِّقه، إلا أنَّه يخطئ، أخرج له مسلم وغيره، توفي سنة (١٩٩هـ) انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ٤٣٤ – ٤٣٦)، (ت ٨٤٤)؛ وتقريب التهذيب ( ٢ / ٣٨٤)، (ت ٤٧٢)

(٢) تُسْتَرَ: مدينة بإقليم خوزستان، فتحها أبو موسى الأشعري، أيام عمر بن الخطاب "رضي الله عنهما". انظر: (معجم البلدان) لياقوت الحموي ( ٢/ ٢٩ – ٣١).

(٣) الهُرْمُزان: من قوَّاد الفُرس الذين حاربوا جيُوش الفتح في العراق، وهو ملك الأهواز، هزمه المسلمون حين فتحوا تُسْتَر، فأرسله أبو موسى إلى عمر فأعلن إسلامه، وبقي في المدينة حتى قتله عبيد الله بن عمر متهما إياه بالتَّحريض على قتل عمر "رضي الله عنهم". (البداية والنِّهاية) لابن كثير (٧/ ٨٥/٨٦)

(٤) هو كعب بن ماتع الحميري اليماني، من علماء اليهود، أسلم بعد وفاة النبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر "رضي الله عنه". أنظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٤٤٥، طبقات خليفة: ت ٢٨٩٥، المحبر: ١٣١، التاريخ الكبير ٧/ ٢٢٣، التاريخ الصغير ١/ ٦٢، المعارف: ٤٣٠، الجرح والتعديل ٧/ ١٦١، جمهرة أنساب العرب: ٤٣٤، تاريخ ابن عساكر ١٤/ ٢٨٠ آ، أسد الغابة ٤/ ٤٨٧، تهذيب الأسماء واللغات ١ / ٢ / ٦٨، تهذيب الكمال: ١١٤٦،

بَرَزُوا بِسَرِيرِهِ فَيُمْطَرُونَ. فَقُلْت: مَنْ كُنْتُمْ تَظُنُّونَ الرَّجُلَ؟ قَالَ: رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ "دَانْيَالُ"[١]. قُلْت: مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُمُوهُ مَاتَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَلاثِمِائَةِ سَنَةٍ. قُلْت مَا كَانَ تَغَيَّرَ مِنْهُ شَيْءٌ؟ قَالَ: لا؛ إلاَّ شُعَيْرَاتٌ مِنْ قَفَاهُ؛ إنَّ لُحُومَ الأنْبِيَاءِ لا تُبْلِيهَا الأَرْضُ[٢] وَلا تَأْكُلُهَا السِّبَاعُ.[٣].[٤]

---

(١) دانيال: تذكر الرِّوايات التي ذكرها الحافظ ابن كثير وغيره من المؤرخين أنَّه نبيٌّ من أنبياء بني إسرائيل، أو رجلٌ صالح من صالحيهم، كان في الأرض المقدَّسة، وبعضها جاء في حديث مرسل.
انظر: (البداية والنِّهاية) لابن كثير ( ٢/ ٤٠ – ٤٢)

(٢) عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وآله وسلمَ﴾:( إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ، قَال: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّه: وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ يَقُولُونَ: بَلِيتَ. فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ "عَزَّ وَجَلَّ" حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ). رواه أحمد في المسند:( ٤/ ٨) وأبو داود في السنن (١/ ٤٤٣) برقم (١٠٤٧) والدَّارمي في السنن (١/ ٣٠٧) برقم (١٥٨٠)، وقال الإمام النَّووي إسناده صحيح.

(٣) روى الحافظ ابن أبي الدُّنيا في كتاب (الشُّكر) (ص١٧٤) قال: حدثني القاسم بن هاشم، ثنا علي بن عيَّاش، ثنا إسماعيل بن عيَّاش، ثنا أبو سفيان القرشي، عن عبد الملك بن سليمان، عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي، عن علي بن أبي طالب، قال: « أتي بختنصر بدانيال النبي "عليه السَّلام فأمر به فحبس، وضَرَى أسدين فألقاهما في جُبٍّ معه، وطين عليه وعلى الأسدين، ثمَّ حبسه خمسة أيام مع الأسدين، ثم فتح عنه بعد خمسة أيام، فوجد دانيال قائما يصلي والأسدان في ناحية الجُبِّ لم يعرضا له........الخ.

(٤) ابن كثير في (البداية والنِّهاية) (٢/٤٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٣١/٨)، والبيهقي في الدَّلائل (باب صفة رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في التَّوراة والإنجيل والزَّبور وسائر الكتب، وصفة أمته) والعلاَّمة الطَّبري في التَّاريخ، جامع المسائل لابن تيمية (٤٢/٢)، واقتضاء الصراط المستقيم (ص٤٧٠) ط/ دار ابن الجوزي القاهرة. ، فضائل الشام ودمشق للربعي، مناقب الشَّام وأهله لشيخ الإسلام ابن تيمية بتحقيق الشيخ الألباني (ص ١٨) وقال أثر صحيح.

**ويعقب الحافظ ابن كثير على هذه الرِّواية فيقول:**

وهذا إسناد صحيح إلى أبي العالية، ولكن إن كان تاريخُ وفاته محفوظاً من ثلاثمائة سنة فليس بنبيٍّ، بل هو رجلٌ صالحٌ، لأنَّ عيسى بن مريم ليس بينه وبين رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نبيٌّ[١] بنصِّ الحديث الَّذي في البخاري، والفترة التي كانت بينهما أربعمائة سنة، وقيل ستِّمائة، وقيل ستِّمائة وعشرون سنة، وقد يكون تاريخ وفاته من ثمانمائة سنة وهو قريب من وقت دانيال، إن كان كونه [دانيال] هو المطابق لما في نفس الأمر، فإنَّه قد يكون رجلاً آخر إمَّا من الأنبياء، أو الصَّالحين، ولكن قربت الظُّنون أنَّه (دانيال)، لأنَّ (دانيال) كان قد أخذه مَلِك الفرس فأقام عنده مسجونا.

**وقال أيضًا:** ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنيا: حدَّثنا أَبُو بِلالٍ، حَدَّثَنَا قَاسِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ سَعِيدٍ وَكَانَ عَالِمًا، قَالَ: وَجَدَ أَبُو مُوسَى مَعَ دَانْيَالَ مُصْحَفًا وَجَرَّةً فِيهَا وَدَكٌ وَدَرَاهِمُ وَخَاتَمُهُ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى بِذَلِكَ إِلَى عُمَرَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا الْمُصْحَفُ فَابْعَثْ بِهِ إِلَيْنَا وَأَمَّا الْوَدَكُ[٢] فَابْعَثْ إِلَيْنَا مِنْهُ وَمُرْ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَسْتَشْفُونَ بِهِ وَاقْسِمِ الدَّرَاهِمَ بَيْنَهُمْ وَأَمَّا الخاتم فقد نفلناكه.[٣]

**وذكر بن أبي شيبة في مصنفه فقال:** قال همَّام: فزعم فرقد، قال: فحدثني أبو تميمة أنَّ عمر كتب إلى الأشعري: أَنْ تَغْسِلُوا دَانْيَالَ بِالسِّدْرِ وَمَاءِ الرَّيْحَانِ، وَأَنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ دَعَا رَبَّهُ أَنْ لا يوليه إلا المسلمون.[٤]

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح: قوله: فترة بين عيسى ومُحمَّد "عليهما الصَّلاة والسَّلام" ستمائة سنة. والمراد بالفترة: المدة التي لا يبعث فيها رسول من الله، ولا يمتنع أن ينبأ فيها من يدعو إلى شريعة الرسول الأخيرة.أنظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (٧/ ٢٧٧) دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩

(٢) الوَدَكُ: دَسَم اللحم. ودجاجةٌ وَديكةٌ، أي سمينةٌ. وديكٌ وَديكٌ.

(٣) ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٤٩).

(٤) (المصنف في الأحاديث والآثار) لابن أبي شيبة (٧/٤) / ط مكتبة الرشد – الرياض– الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ – تحقيق كمال يوسف الحوت

**وأخرج البيهقي في دلائل النُّبوة فقال:**

عن مُطَرِّف بن مالك، أنَّه قال شَهِدْتُ فَتْحَ «تُسْتَرَ» مَعَ الْأَشْعَرِيِّ، فَأَصَبْنَا قَبْرَ دَانْيَالَ بِالسُّوسِ، وَكَانُوا إِذَا اسْتَسْقَوْا خَرَجُوا فَاسْتَسْقَوْا بِهِ.[١]

**قلت: وممَّا سبق يتضح:**

١- أنَّ الحافظ ابن كثير في الرِّواية الأولى التي ذكرها، يميلُ إلى أنَّ هذا الجسد هو جسد النَّبي (دانيال) "عليْه السَّلام". وقال: إن لم يكن (دانيال)، فهو إما نبيٌّ من الأنبياء، أو أحد الصَّالحين، ورجح كونه (دانيال).

٣- أنَّهم كانوا إذا حُبِسَت عنهم السَّماء، برزوا بسَريره فيُمطَرون، ولم يردِ أنَّ أصحاب النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أنكروا عليْهم التوسُّل بهذا الجسد الطَّاهر.

٤- أنَّ لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض ولا تأكلها السِّباع.

٥- أنَّ سيِّدنا دانيال "عليْه السَّلام" دعا الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أن تدفنه أُمَّة سيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهذه منقبة لصحابة رسُول الله.

٦- جواز الاستشفاء والتَّبرُّك بآثار الأنبياء، لفعل سيِّدنا الفاروق عمر"رضي الله عنه" بقوله للصحابة: (وأمَّا الوَدك وهو (الدهن أو الدَّسم) فابعث إلينا منه، ومُر مَنْ قِبَلَكَ من المسلمين يَستشْفون به).

**قلتُ:** وبعد هذا العرض لهذه الآيات الكريمة، والرِّوايات التي ذكرها الحفَّاظ، وأهل السَّير والتَّاريخ، علمنا وقوع التَّوسُّل عند الأُمم السَّابقة، وأنَّه لم يرد في جميع الرِّوايات إنكار صحابة رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على استسقائهم وتوسُّلهم بجسد سيِّدنا (دانيال)، غاية الأمر أنَّهم دفنوه وعمُّوا قبره حتى لا يُمتهن جسد نبيِّ الله (دانيال) ويُنبش. وَلِمَا ورد من دعائه لله "عزَّ وجلَّ" أن يلي دفنه المُسلمون، ومن فسَّر أنَّهم دفنوه لتوسُّل النَّاس به فقد أخطأ وما أصاب.[٢]

---

(١) (دلائل النبوة) للحافظ البيهقي (٢٣٩/١) دار الكتب العلمية – بيروت

(٢) ومن ذلك ما قاله الشَّيخ ابن تيميَّة في منهاج السنة (ج٤٨٠/١): ولما ظهر قبر(دانيال) بتُسْتَر كتب فيه أبو =

# التَّوسُّل بآثار الأنبياء عند الأمم السَّابقة

ذكر الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" آثار الأنبياء في القرآن الكريم، فقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ ﴾[١] وسبب نزول هذه الآية الكريمة ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما أنَّ سيِّدنا عمر بن الخطاب قال: وَافَقْتُ رَبِّي فِي ثَلاثٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ اتَّخَذْنَا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ[٢] مُصَلًّى فَنَزَلَتْ ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾......الحديث.[٣]

---

=

موسى الأشعري "رضي الله عنه" إلى عمر "رضي الله عنه" فكتب إليه عمر أن تحفر بالنَّهار ثلاثة عشر قبراً، وتدفنه بالليل في واحد منها (لئلا يفتتن الناس به). فلم يرد قوله (لئلا يفتتن الناس به) في أي رواية من الرِّوايات التي ذكرت قصة دفن دانيال "عليه السَّلام"). وإنَّما جاء صريحاً في الرِّوايات لعلة أخرى وهي: (لنعميه على النَّاس لا ينبشونه).

﴿١﴾ سورة البقرة: ١٢٥

﴿٢﴾ مقام سيِّدنا إبراهيم "عليه السَّلام: هو عبارة عن حجر فيه أثر قدميه الشَّريفتين. أورد أهل التواريخ أنَّ هذا الحجر كان يعتلي عليه الخليل "عليه السَّلام" حينما ارتفع بناء الكعبة المشَّرفة، وهذا الحجر المبارك له قدسيته، وحرمته في الجاهليَّة والإسلام، وهو دليل تاريخي على مر العصور أنَّ أول من رفع قواعد البيت الحرام المعظم- رمز التوحيد وقبلة أهل التوحيد إلى يوم القيامة - هو سيدنا إبراهيم الخليل "عليه السلام" ولقد ذكره الله تعالى في كتابه بأنَّه من الآيات البيِّنات الواضحات، ومن لطائف الإشارات أنَّ بني مدلج الذين اشتهروا بالقيافة (قص الأثر) حينما شاهدوا نبينا وهو صغير السنِّ قالوا لجده عبد المطلب فيما ذكره ابن كثير في (البداية والنهاية) ج٢/ ص٣٤٣: احتفظ به فإنَّا لم نر قدمًا أشبه بالقدم الذي في المقام منه. فقال عبد المطلب لأبي طالب: اسمع ما يقول هؤلاء! فكان أبو طالب يحتفظ به. وصدق نبيُّنا حينما قال فيما رواه البخاري في حديث الإسراء وفيه: وَرَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِهِ بِهِ.

﴿٣﴾ أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩/١) ط: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر

فشرع الله لنا أن نصلي عند هذا الأثر المُبارك، وهو أثر أقدام سيِّدنا إبراهيم الخليل ﴿صلي الله على نبينا وعليه﴾ بل جعله الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" من الآيات البيِّنات فقال "جلَّ شأنُه" ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾.﴿١﴾

**وإليك أخي ما ذكره الله "عز وجل" عن آثار الأنبياء وبيان أئمَّة التَّفسير لذلك:**

١- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.﴿٢﴾

ما هذا التَّابوت؟ وما هي البقيَّة التي تركها آلُ موسى وآلُ هارون؟ وما هو السِّر المودع فيه حتى تحملُه الملائكة؟.

**وللإجابة نرجع إلى أئمَّة السّلف وننقل لك ما قالوه عن هذا التَّابوت.**

**ذكر الإمام الطَّبري عند تفسير هذه الآية فقال:**

﴿يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وهو التَّابوت الذي كانت بنو إسرائيل إذا لقوا عدواً لهم قدّموه أمامهم، وزحفوا معه فلا يقوم لهم معه عدوٌ، ولا يظهر عليهم أحد ناوأهم حتى منعوا أمر الله، وكثر اختلافهم على أنبيائهم فسلبهم الله إياه.﴿٣﴾

**وقال في تفسير البقيَّة التي كانت في التَّابوت:**

وقوله ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾، يعني به من تركة آل موسى وآل هارون واختلف أهل التأويل في البقيَّة التي كانت بقيت من تركتهم فقال بعضهم:

---

﴿١﴾ سورة آل عمران: ٩٧

﴿٢﴾ سورة البقرة: ٢٤٨

﴿٣﴾ تفسير الطَّبري /ج٢ /ص ٦٠٧ / ط دار الفكر - بيروت

كانت تلك البقيَّة عصا موسى ورَضَاض[١] الألواح.

ثم ذكر من قال ذلك من سادة علماء الأمَّة فقال:

عن ابن عبَّاس أنه قال في هذه الآية ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: رَضَاض الألواح.

وعن عكرمة عن ابن عبَّاس في هذه الآية ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: عصا موسى ورَضَاض الألواح.

وعن قتادة ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: فكان في التَّابوت عصا موسى ورَضَاض الألواح فيما ذكر لنا.

وعن قتادة في قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: البقيَّة عصا موسى ورَضَاض الألواح.

وعن السُّدي ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ أما البقيَّة فإنَّها عصا موسى ورَضَاضة الألواح.

وعن الربيع ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ عصا موسى وأمور من التَّوراة.

وعن عكرمة في هذه الآية ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: التَّوراة ورَضَاض الألواح والعصا.

وعن عكرمة في قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: رَضَاض

---

﴿١﴾ رَضَاض كل شيء كُساره وشيءٌ مَرْضوض ورَضِيض. أبو زيد: ارتضَّ الشّيء: تكسَّر. ابن دريد: الرَّضْرَضَة: كَسْرُك الشّيء، والرَّضْراض: الحصى الصغار.

الألواح.

وقال آخرون بل تلك البقيَّة عصا موسى وعصا هارون وشيء من الألواح:

ذكر من قال ذلك:

عن أبي صالح ﴿مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾. قال: كان فيه عصا موسى وعصا هارون ولوحان من التَّوراة والمَنّ.

عن عطية بن سعد في قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ قال: عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ورَضَاض الألواح.

وقال آخرون بل هي العصا والنَّعلان:

عبد الرَّزاق قال سألت الثَّوري عن قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ قال: منهم من يقول البقيَّة قفيز مَنٍ[1]، ورَضَاض الألواح.

ومنهم من يقول العصا والنَّعلان، وقال آخرون بل كان ذلك العصا وحدها:

بكَّار بن عبد الله قال: قلنا لوهب بن منبه ما كان فيه يعني في التَّابوت؟ قال: كان فيه عصا موسى والسَّكينة.

---

﴿١﴾ القَفِيز: بفتح فكسر ج أقفزة وقفزان، مكيال قديم يختلف باختلاف البلاد.

والقفيز الشرعي = ١٢ صاعا = ٨ مكوكا، وهو يساوي عند الحنفية ٣٤٤، ٤٠ لترا = ٣٩١٣٨ غراما من القمح، وعند غيرهم ٩٧٦، ٣٢ لترا = ٢٦٠٦٤ غراما. أنظر (معجم الفقهاء) لمُحمَّد قلعجي/ج١/ ص٣٦٨

والمَنُّ طَلٌّ ينزل من السماء وقيل هو شبه العسل كان ينزل على بني إسرائيل وفي التنزيل العزيز (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ والسَّلْوَى) قال الليث المَنُّ كان يسقط على بني إسرائيل من السماء إِذْ هُمْ في التِّيه وكان كالعسل الحامِسِ حلاوةً. أنظر (لسان العرب) لابن منظور/ ج١٣/ ص٤١٥ / مادة منن

وقال آخرون بل كان ذلك رَضَاض الألواح وما تكسَّر منها:

قال ابن عبَّاس في قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ قال: كان موسى حين ألقى الألواح تكسَّرت ورفع منها فجعل الباقي في ذلك التَّابوت.

عن ابن جريج قال: سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ العلم والتَّوراة.

وقال آخرون بل ذلك الجهاد في سبيل الله:

ذكر من قال ذلك:

عبيد الله بن سليمان قال: سمعت الضَّحاك يقول في قوله ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ﴾ يعني بالبقيَّة القتال في سبيل الله، وبذلك قاتلوا مع طالوت وبذلك أُمِرُوا. ﴿١﴾

**ولقد عقب الإمام الطَّبري "رحمه الله تعالى" على جميع هذه الرِّوايات فقال:**

وأولى الأقوال في ذلك بالصَّواب أن يُقال: إنَّ الله "تعالى ذكره" أخبر عن التَّابوت الذي جعله آية لصدق قول نبيِّه لأمَّته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكًاۚ﴾ أنَّ فيه سكينة منه، وبقية مما تركه آل موسى وآل هارون، وجائزٌ أن يكون تلك البقيَّة العصا وكسر الألواح والتَّوراة، أو بعضها والنَّعلين والثِّياب والجهاد في سبيل الله، وجائزٌ أن يكون بعضُ ذلك، وذلك أمر لا يُدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللَّغة، ولا يُدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم، ولا خبر عند أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا وإذا كان كذلك فغير جائز فيه تصويب قول، وتضعيف آخر غيره، إذ كان جائزًا فيه ما قلنا من القول.

---

﴿١﴾ تفسير الطَّبري / ج٢ / ص ٦١٣ / ط دار الفكر – بيروت

**وممَّا سبق ذكره يتَّضحُ:**

١- أنَّ جلَّ المنقول عن علماء السَّلف، ذكروا أنَّ البقيَّة هي آثار الأنبياء.

٢- أنَّ هذا التَّابوت كانوا يَسْتَنْصِرُون به، فيرزقهم الله النَّصر ببركة ما كان فيه.

٣- لو كان التَّوسُّل أو التَّبرُّك، بتلك الآثار من الشِّرك، فكيف يسوغ لإمام في مكانة الطَّبري وهو شيخ أهل التَّفسير بالمأثور، أن يذكر تلك الأقوال. ولم يعقِّب عليها.

بل إنَّه تبعه على ذلك جمهور المفسِّرين من بعده، ومن هؤلاء ابن كثير، والبغوي والبيضاوي، وجلال الدِّين المحلي، وجلال الدِّين السُّيوطي، وغيرهم من أئمة هذا الفنِّ.

**يقول شيخ شيوخنا السيِّد محمَّد العلوي المالكي الحسني بعد ذكر أمر التَّابوت:**

وهذا في الحقيقة ليس إلا توسُّلاً بآثار أولئك الأنبياء، إذ لا معنى لتقديمهم التَّابوت بين أيديهم في حروبهم إلا ذلك، والله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" راضٍ عن ذلك، بدليل أنَّه ردَّه إليهم وجعله علامةً وآيةً على صحَّة مُلك طالوت، ولم ينكر عليهم ذلك الفعل.﴿١﴾

**قلتُ:** ومثل ما سبق من توسُّل بني إسرائيل بآثار أنبيائهم، توسَّل سيِّدنا خالد بن الوليد "رضي الله عنه" بأثر من آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وما قاد معركةً إلا ورزقه الله النصر، ببركة أثر من آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فعن عبد الحميد بن جعفر، عن أبيه، أنَّ خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فقال: اطلبوها. فلم يجدوها. ثمَّ وجدت فإذا هي قلنسوة خَلِقة.

فقال خالد: اعتمر رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ، فلحق رأسه، فابتدر النَّاس شعره، فسبقتُهم إلى ناصيته، فجعلتُها في هذه القُلُنسوَّة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رُزقتُ النَّصر.﴿٢﴾

---

﴿١﴾ مفاهيم يجب أن تصحح / للعلاَّمة السيِّد مُحمَّد علوي المالكي الحسني ص ٧٧

﴿٢﴾ أخرجه الحاكم (٣ / ٢٩٩)، وذكره ابن عبد البَّر في (الاستيعاب) (٢ / ١١١)، والحافظ في (الإصابة) (٣/ ٧٢) من طريق: هشيم به، وذكره الحافظ الهيثمي (٩/ ٣٤٩) ونسبه إلى الطبراني، وأبي يعلى وقال: ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصَّحابة فلا أدرى سمع من خالد أم لا.

=

فهذا سيفُ الله المسلول، يحافظ على بضع شعرات من سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومن فراسته أنَّه أخذ شعر النَّاصيَّة الشَّريفة، وانظر إلى تعليله أنَّ الله يرزقه بالنَّصر طالما هذه الشَّعرات في قلنسوته.

**٢- قميص سيِّدنا يُوسُف بن يعقوب"عليهما السَّلام":**

قال الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ﴿**ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾. ﴿١﴾

ما السِّر في هذا القميص الذي إذا أُلقي على سيِّدنا يعقوب "عليه السَّلام" يأت بصيرًا؟ أليس الله بقادرٍ على أن يَرُد بصر نبيِّه يعقوب بغير هذا القميص؟

**ذكر أئمَّة التفسير في شأن هذا القميص فقالوا:**

**١- الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية يقول:**

وقال ابن السُّدي عن أبيه عن مجاهد: قال لهم يُوسُف ﴿**ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا**﴾ قال: كان يُوسُف أعلم بالله من أن يعلم أنَّ قميصه يَرُد على يعقوب بصره، ولكن ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله في النَّار، من حرير الجنَّة وكان كساه إسحاق، وكان إسحاق كساه يعقوب، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قَصَبَة من فضة، وعلقه في عنق يُوسُف لمَّا كان يخاف عليه من العين، وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك فإنَّ فيه ريح الجنَّة، وإنَّ ريح الجنَّة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا عُوفي.

وقال الحسن: لولا أنَّ الله تعالى أعلم يُوسُف بذلك لم يعلم أنَّه يرجع إليه بصره وكان الذي حمل قميصه يهوذا قال ليُوسف: أنا الذي حملتُ إليه قميصك بدمٍ كذبٍ فأحزنتُه، وأنا

---

=

ونسبه الحافظ في (المطالب العالية)(٤٠٤٥) لأبي يعلى. وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند صحيح.

﴿١﴾ سورة يُوسُف: ٩٣

الذي أحمله الآن لأسُرُّه وليعُود إليه بصره فحمله. حكاه السُّدي. ﴿٢﴾

**٢- وذكر الإمام الشَّوكاني في [ فتح القدير] أمر القميص فقال:**

أخرج أبو الشَّيخ عن أنس أنَّ رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال في قوله ﴿**ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا**﴾ أنَّ نمروذًا لما ألقَى إبراهيم في النَّار، نزل إليه جبريل بقميص من الجنَّة وطنفسة من الجنة، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يتحدث فأوحى الله إلى النَّار كوني بردًا وسلامًا، ولولا أنَّه قال وسلامًا لآذاه البرد.

**وأخرج أبو الشيخ عن ابن عبَّاس مرفوعا:**

إن الله كسا إبراهيم ثوبًا من الجنَّة فكساه إبراهيم إسحاق، وكساه إسحاق يعقوب، فأخذه يعقوب فجعله في قصبة من حديد، وعلقه في عُنق يُوسُف، ولو علم إخوته إذ ألقوه في الجُبِّ لأخذوه، فلمَّا أراد الله أن يرُد يُوسُف على يعقوب، كان بين رؤياه وتعبيره أربعون سنة، أمر البشير أن يبشره من ثمان مراحل فوجد يعقوب ريحه فقال: إنِّي لأجد ريح يُوسُف لولا أن تفندون، فلمَّا ألقاه على وجهه ارتد بصيرًا، وليس يقع شيء من الجنَّة على عاهة من عاهات الدُّنيا إلا أبرأها بإذن الله.

وأخرج عبد الرزاق والفريابي وأحمد في الزُّهد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عبَّاس في قوله ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ**﴾ قال: لما خرجت العير هاجت الرِّيح فجاءت يعقوب بريح قميص يُوسُف، فقال: ﴿**إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ**﴾ تُسَفِّهُون، فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام.

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عنه قال: وجد ريحه من مسيرة عشرة أيام وأخرج ابن أبي حاتم من وجه آخر عنه قال: وجده من مسيرة ثمانين فرسخا﴿١﴾

---

﴿٢﴾ تفسير القرطبي / ج٩ / ص ٢٥٨ / ط دار الشعب – القاهرة

﴿١﴾ فتح القدير للشوكاني / ج ٣ / ص ٥٤- ٥٥ / ط دار الفكر – بيروت.

**وذكر أمر القميص ابن أبي حاتم في تفسيره فقال:**

عَنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْطَبٍ، قَالَ: "لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّارِ كَسَاهُ اللَّهُ قَمِيصًا مِنْ قُمُصِ الْجَنَّةِ وَكَسَاهُ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ، وَكَسَاهُ إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ، وَكَسَاهُ يَعْقُوبُ يُوسُفَ، فَطَوَاهُ وَجَعَلَهُ فِي قَصَبَةٍ فِضَّةٍ فَجَعَلَهُ فِي عُنُقِهِ، وَكَانَ فِي عُنُقِهِ حِينَ أُلْقِيَ فِي الْجُبِّ، وَحِينَ سُجِنَ، وَحِينَ دَخَلَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ، وَأَخْرَجَ الْقَمِيصَ مِنَ الْقَصَبَةِ، فَقَالَ: ﴿**ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا**﴾، فَشَمَّ يَعْقُوبُ رِيحَ الْجَنَّةِ وَهُوَ بِأَرْضِ كَنْعَانَ بِفِلَسْطِينَ، فَقَالَ: ﴿ **لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ** ﷺ ﴾."﴿٢﴾

**من مجموع ما نقلناه نخلص:**

١- أنَّ القميص الذي كان مع سيِّدنا يُوسُف "عليه السلام"، إنَّما هو قميص الخليل سيِّدنا إبراهيم "عليه السلام".

٢- وأنه من الجنَّة.

٣- وأنَّ هذا القميص ما أُلقي على صاحب عاهة إلا وعوفي بإذن الله.

٤- وأنَّ هذا القميص حِرْزٌ من الحَسد والعَين.

٥- وأنَّ هذا القميص كان متوارثا من سيِّدنا إبراهيم إلى سيِّدنا إسحاق، إلى سيِّدنا يعقوب ثم إلى سيِّدنا يُوسُف ﴿على نبيِّنا وعليهم الصَّلاة والسَّلام﴾.

٦- وأنَّ هذا القميص له مكانته وحرمته عند هؤلاء الأنبياء.

٧- ولو كان هذا القميص قميص يُوسُف "عليه السَّلام"، فما يقال عن قميص إبراهيم يقال عن قميص يُوسُف، وإلا قل لي بربك ما سرُّ هذا القميص؟ أليس هذا توسل بأثر من آثار الأنبياء وإن لم يكن كذلك فما الفائدة من ذكره؟.

---

﴿٢﴾ تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٧/ ٢١٩٦/ ط مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية

**تنبيهٌ مُهم:** نأكِّد هنا أنَّ التَّوسُّل بآثار الأنبياء والصَّالحين، إنَّما هو توسُّلٌ بصاحبه لأنَّ من الشُّبهات التي يقولها المنكرون: أيُعقل أن يُقال: اللَّهمَّ إنِّي أتوسَّل إليك بقميص النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو تفلته، أو فضل ماء وضوءه وهكذا.......؟.

**ورداً على هذه الشُّبهة نقول ببركة سيِّدنا رسول الله:**

لقد ثبت بالأدلة اليقينيَّة على أنَّ الصَّحابة "رضوان الله عليهم" ومِنْ بعدهم علماء سلف الأمَّة المُحمَّدية، وقع منهم التَّبرُّك بآثار النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.﴿١﴾ ووقع التَّبرُّك بآثار الصالحين من العلماء الربانيين.

والسؤال هل الصَّحابة حينما تبركوا بجُبَّة النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو بفضل ماء وضوءه، أو بتفلته، أو بثوبه، أو بشعره، أو بغير ذلك تبركوا بهذه الأشياء لمعنى قائمٌ في الجبَّة أو الماء أو الرِّيق أو الشعر؟.

بالطبع لا يقول هذا عاقل، وننزِّه صحابة الرَّسول الكريم عن هذا الفهم، لأنَّهم أرجح النَّاس عقلاً، وأفضل النَّاس إيمانًا، وأعرف النَّاس بهذا الدِّين الحنيف، بل إنَّهم تبركوا بآثار النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للمحبَّة الكامنة الكاملة في قلوبهم لسيِّد الوجود والتعظيم لحضرته الشَّريفة، والتوقير لجنابه المعظَّم.

واعلم أخي أن الأثر يَشْرُف بالشيء المُشَرَّف، وهل هناك أشرف ولا أعظم ولا أكرم من سيِّدنا ومولانا محمَّد، روحاً وجسداً.

إذًا ما يفهمه ويعرفه المُحبُّون أنَّ التَّبرُّك بالأثر يتعدَّى الأثر نفسه إلى صاحب الأثر. وهذه الآثار النَّبويَّة سبب لحصول البركة من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" لا أنَّ الأثر نافع بذاته وإنما النَّفع والضُّر بإذن الله وحده، ومَن فهم غير ذلك من عوامِّ المسلمين نُعلمه بالحسنى ولا نُكفِّره، ولا نخرجه من دائرة الإيمان، ولا نتهمه بالبدعة والضَّلال.

---

﴿١﴾ سوف ترى أخي القارئ في هذا البحث النقول الكثيرة على التَّبرك إن شاء الله.

**شبهة التَّفريق بين البركة والتَّوسُّل:**

التَّبرُّك والتَّوسُّل مُترادفان عند المتوسِّلين وهما وجهان لعملة واحدة.

فالتَّبرُّك هو: طلب حصول البركة وهو: ثبوت الخير في الشيء وزيادته.

إذًا فطالب البركة يسأل الله تعالى بقلبه، أن يمنحه البركة التي خلقها في بعض مخلوقاته. كالشُّرب من ماء زمزم لحديث جابر مرفوعًا: ماءُ زمزم لمَّا شُرب له.[١] ومثل التَّبرُّك بماء المطر لحديث أنس بن مالك قَالَ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مَطَرٌ قَالَ فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ثَوْبَهُ حَتَّى أَصَابَهُ مِنْ الْمَطَرِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: لأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى.[٢]

والمُتوسِّل إلى الله تعالى ببركة أثر من آثار النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فهو في الحقيقة إنما يتوسَّل إلى الله تعالى بما خلقه في هذه الذَّات الشَّريفة من البركات والنفحات والفيوضات.

وقد ثبت أن ذات النبي الأكرم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ليست كذواتنا فروى البخاري منْ حديث أَبِي سَعِيدٍ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، يَقُولُ: «لاَ تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ» ، قَالُوا: فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وَسَاقٍ يَسْقِينِ».[٣]

وانظر أخي المُحب بعين البصيرة لتعظيم سلف هذه الأُمة – يا من تريد الاقتداء بالسَّلف الصَّالح – لشعرة من شعر الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ «عِنْدَنَا مِنْ شَعَرِ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ

---

﴿١﴾ مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للألباني / ص٢١٨

﴿٢﴾ يقول الحافظ النَّووي في شرح مسلم (١٩٥/٦): معنى (حسر) كشف أي كشف بعض بدنه، ومعنى (حديث عهد بربه) أي بتكوين ربه إياه، معناه أنَّ المطر رحمة، وهي قريبة العهد بخلق الله تعالى لها فيتبرك بها.

﴿٣﴾ أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧/٢) ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر.

أَهْلِ أَنَسٍ» فَقَالَ: لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.[١]

ما سرُّ احتفاظ التَّابعي سيِّدنا محمَّد بن سيرين "قدس الله سره" بهذه الشَّعرة؟، بل وانظر لقول سيِّدنا عبيدة بن عمرو السلماني أحد كبار التَّابعين المُخضرمين – أسلم قبل وفاة النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بسنتين ولم يره – لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعَرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

هذا فَهْمُ سلف الأُمَّة المُحمَّدية يعظِّمون الآثار النَّبويَّة ويحافظون عليها، ويتمنَّى الواحد منهم أن تكون عنده شعرة واحدة لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهذا عنده خيرٌ من الدنيا وما فيها، فَخَلَف من بعدهم خَلفٌ لا همَّ لهُم إلا هدم هذه الآثار النَّبويَّة الشَّريفة بحُجَّة الشِّرك تارةً، وشبهة الغلُّو تارةً. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**ولقد ذكر العلاَّمة البدر العيني استعمال التوسُّل بمعنى البركة فقال:**

معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة: توسُّل إلى الله "عزَّ وجلَّ" بنبيِّه لأنَّه حضر استسقاء عبد المطَّلب، والنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ معه، فيكون استسقاء النَّاس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم.[٢]

وممَّا سبق: يتَّضح لك أخي القارئ أنَّه وقع التَّوسُّل بالأنبياء وآثارهم، عند الأمم السَّابقة، وقَص الله تعالى لنا ذلك في كتابه العظيم، في قصة التَّابوت، وقصة قميص سيِّدنا يُوسُف بن سيِّدنا يعقوب "عليهما السَّلام". والتَّوسُّل بجسد سيِّدنا دانيال.

وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

---

﴿١﴾ أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥/١) (بَابُ المَاءِ الَّذِي يُغْسَلُ بِهِ شَعَرُ الإِنْسَانِ) ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر

﴿٢﴾ عمدة القاري للعيني ج٣٠ / ص٧

# الباب الأول

# الفصل الثالث

# التوسل بالنبيّ قبل مولده الشريف

## التَّوسُّل بالنَّبيِّ قبل ميلاده الشَّريف

ما خلق الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالى" خلقاً أكرم عليه من سيِّد الوجود سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الَّذي جمع له من الخصال، ما بلغ به غاية الكمال، ولم يدانيه في شرفه وعلو منزلته سابقٌ له ولا لاحقٌ، واصطفاه ربُّه "عزَّ وجلَّ" ليكون الرَّحمة الشَّاملة لجميع وجوده، فقال "جلَّ شأنه" ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١]

وقدَّمه على جميع أنبياءه في الذِّكر الحكيم، فقال سُبحانه ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾.[٢]

ومن هنا حاز قَصَب[٣] السَّبق – ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ – في مقامات الأوليَّة في كل شيء، فهو أوَّلُ النَّبيِّن في الخلق وآخرهم في البعث[٤]، قدَّمه الله في الخلق لعلو شأنه

---

﴿١﴾ الأنبياء: ١٠٧

﴿٢﴾ الأحزاب: ٧

﴿٣﴾ قَصَب السَّبق أصله: أنَّهم كانوا ينصبون في حلبة السِّباق قصبة، فمن سبق اقتلعها، وأخذها، ليُعلم أنَّه السَّابق من غير نزاع، ثمَّ كثر حتى أُطلق على المبرز والمشمِّر.

﴿٤﴾ أخرج أبو نعيم في الدِّلائل، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن لال، ومن طريقه الدَّيلمي، كلُّهم من حديث سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي هريرة به مرفوعاً، وله شاهد من حديث ميسرة الفجر بلفظ:(كنت نبياً وآدم بين الرُّوح والجسد). أخرجه أحمد، والبخاري في تاريخه، والبغوي، وابن السكن وغيرهما في الصحابة، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الحاكم، وكذا هو بهذا اللفظ عند التِّرمذي وغيره عن أبي هريرة: (متى كنت أو كتبت نبياً ؟ قال: وآدم....) وذكره، وقال الترمذي:إنَّه حسن صحيح، وصححه الحاكم أيضاً وفي لفظ: (وآدم منجدلٌ في طينته)، وفي صحيحي ابن حبان، والحاكم، من حديث العرباض بن سارية مرفوعاً: (إني عند الله لمكتوب خاتم النَّبيين وإن آدم لمنجدل في طينته)، وكذا أخرجه أحمد، والدَّارمي في مسنديهما، وأبو نعيم، والطَّبراني من حديث ابن عبَّاس قال: (قيل يا رسول الله متى كتبت نبياً ؟ قال: وآدم بين الروح والجسد). وأما الَّذي على الألسنة بلفظ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) فلم نقف عليه =

ورتبته، وأخرَّه في البعث، حتى لا يأتي رسولٌ ناسخٌ لشَريعته، فرِسالتُه ناسخةٌ للرِّسالات،﴿١﴾ وكتابه مهيمنٌ على سائر الكتُب.

ولقد أخبرنا المعصُوم - ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ - بخُصوصيَّة منزلته عند ربِّه الأجلِّ الأكرم، أنَّه كان نبياً وآدمٌ بين الرُّوح والجسد، فقال فيما يرويه عنه ميسرة الفجر﴿٢﴾ قال: سألت رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: متى كنت نبياً؟ قال: "كنت نبياُ وآدم بين الرُّوح والجسد".﴿٣﴾

**يقول شيخ الإسلام تقي الدِّين السُّبكي﴿٤﴾ في هذا المعنى:**

وفي ذلك من التَّنويه بالنَّبيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى، وفيه مع ذلك أنَّه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مُرسلاً إليهم، فتكون نبوَّته ورسالته

---

=

بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة: (وكنت نبياً ولا آدم ولا ماء ولا طين)، وقد قال شيخنا في بعض الأجوبة عن الزيادة: أنَّها ضعيفة، والَّذي قبلها قوي.

أنظر المقاصد الحسنة للحافظ السخاوي (حرف الكاف).

﴿١﴾ أصل الرِّسالات السَّماوية واحد، وإنما النَّسخ يكون في بعض الفروع، ورسالة سيِّدنا محمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مهيمنة على جميع الرِّسالات التي جاء بها الأنبياء من قبله، بمعنى أنَّه: كل من بلغته دعوة نبينا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على الوجه الصحيح، وجب عليه اتباعه فيما جاء به عن ربه "عزَّ وجلَّ".

﴿٢﴾ صحابي جليل ذكره البخاري، والبغوي، وابن السكن، وغيرهم في الصحابة.

﴿٣﴾ أخرجه أحمد في المسند (٥ / ٥٩)، والحاكم في المستدرك،( ٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذَّهبي، وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح،( ٨ / ٢٢٣). والترمذي في (باب في فضل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وابن أبي شيبة في مصنفه (ج٨/ ص٤٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (ج٤/ ٤٥٠) وغيرهم.

﴿٤﴾ هو: الإمام العلاَّمة، الحافظ، الفقيه، المجتهد، النظار، الورع، الزَّاهد، قاضي القضاة تقيِّ الدِّين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السُّبكي الكبير "رحمه الله". ولد بسُبك - بضم فسكون - من قرى المنوفية بمصر سنة(٦٨٣ هـ). تفقه على ابن الرِّفعة، وأخذ التَّفسير عن العلم العراقي، والحديث عن الشَّرف الدِّمياطي ، والقراءات عن التَّقي الصائغ، والأصلين والمعقول عن العلاء الباجي، والخلاف والمنطق عن السيف البغدادي ، والنحو عن أبي حيان.

عامة لجميع الخلق من زمن آدم إلى يوم القيامة، ويكون الأنبياء وأممُهم كلُّهم من أمَّته ويكون قوله: (بعثت إلى النَّاس كافة)﴿١﴾ لا يختص به النَّاس من زمانه إلى يوم القيامة، بل يتناول مَنْ قبلهم أيضاً، ويتبين بذلك معنى قوله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ (كنتُ نبيًا وآدم بين الرُّوح والجسد) وإنَّ من فسَّره بعلم الله بأنَّه سيصير نبيًا لم يصل إلى هذا المعنى﴿٢﴾، لأنَّ علم الله محيط بجميع الأشياء، ووصف النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بالنُّبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يُفهم منه أنَّه أمرٌ ثابتٌ له في ذلك الوقت، ولهذا (رأى اسمه آدمُ مكتوبًا على العرش مُحمَّدٌ رسولُ الله) فلا بدَّ أن يكون ذلك معنىً ثابتًا في ذلك الوقت، ولو كان المراد بذلك مجرد العلم بما سيصير في المستقبل لم يكن له خصوصية بأنَّه نبيٌّ وآدم بين الرُّوح والجسد، لأنَّ جميع الأنبياء يعلم الله نبوَّتهم في ذلك الوقت وقبله، فلا بد من خصوصية للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأجلها أخبر بهذا الخبر إعلاما لأمته ليعرفوا قدره عند الله فيحصل لهم الخير بذلك.﴿٣﴾ انتهى.

قــديمًا بَــدَا قَبــل النَّبيــين فَضــله ... وإن قُــدِّموا بعثــاً ففــي الفضْـل أسْـبقُ

قَضَـــى الله أن لا يلحـــق الرُّســـلُ ... ولا أحـــدٌ مـــنهم بأحْمَـــدَ يلْحـــقُ

قَطعنَـــا بـــأن لا يخلـــق الله شـــبهه ... قــديمًا ولا فــي آخــر الخلْـق يخلـقُ

قُـلِ الحـقَّ هـل تـدري لأحْمَـد مُشـبها ... فَبـــادِر وقُـــل لاَ لا فإنَّـــك تَصْـــدقُ

قرَأنـــا أحَاديثـــاً صِـــحَاحاً بأنَّـــهُ ... عليـه لِـواءُ الحمْـد فـي الحَشْـر يَخفُـقُ

قيامـــاً لـــه الأمـــلاكُ والرُّســـلُ تحتـــه ... ومِــنْ حَولــه صــفُّوا وحفُّــوا وأحــدقُوا

---

﴿١﴾ أخرجه البخاري( ج١ / ٩١- ٩٢) بلفظ (إلى النَّاس عامَّة).

﴿٢﴾ والَّذي لم يصل إلى هذا المعنى هو ابن تيميَّة الَّذي قال: ومن قال أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كان نبيًّا قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين، وإنما المعنى أنَّ الله كتب نبوته فأظهرها وأعلنها بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه. أنظر الفتاوى (ج٨ / ٢٨٢ – ٢٨٣).

﴿٣﴾ أنظر فتاوى شيخ الإسلام تقي الدين السبكي (ص٦٥).

قـــويٌ ولكـــن لـــيِّنٌ فـــي أناســـه    رفيـــقٌ ولكـــن بالمسَـــاكين أرفَـــقُ
قريـــبٌ لأربـــاب الحَـــوائج مـــا تَـــرَى    لأحمـــدَ حُجَّابـــا ولا البـــابُ يُغلْـــقُ

ومن خُصوصيَّات أوليَّته أنَّه أوَّل من تنشَق عنه الأرض يوم القيامة، وأولُ شافع ومشفَّعٍ وأول من يعبر الصِّراط، وأول من يُحرك حلق الجنَّة.

ولتلك المعالم الأوليَّة، والمنازل العُلويَّة، والمقامات الاصطفائية، التي خُصَّ بها خُلاصة الخلق، وحبيب الحقِّ، لما رأى سيِّدنا آدم "عليه السَّلام" اسمه الشَّريف مكتوبًا على ساق عرش الرَّحمن، مقروناً باسم الله "عزَّ وجلَّ" تفرَّس في هذا الاسم الشَّريف الممجَّد، الذي ادخره ربُّ العزَّة ليكون علماً على النبيَّ الأوحد، وهو (مُحمَّد) فَعلِم مَنْ علَّمه الله الأسماء كلها، وخصه دون الملائكة العُلويَّة بهذا العلم الشَّريف، أنَّ هذا الاسم السَّامي يدلُّ بحروفه على معاني التَّشريف والتَّكريم، وعلى معالم القرب والتعظيم، فرفع أكف الضَّراعة داعياً ربَّه، متوسِّلا بهذا النبيِّ الخاتم، الَّذي بلغ من المقامات العليَّة ما لم يبلغه إنسٌ، ولا ملكٌ ولا جانٌ، المقرون اسمه باسم الله، وصدق الله العظيم إذ يقول فيما أنزل على قلب هذا النبيّ ﴿**وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ**﴾ فعن مجاهد: {ورفعنا لك ذكرك} قال: لا أذكر إلا ذكرت أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله.[١]

هذا وإنَّ حفاظ الأمَّة نقلوا لنا توسُّل سيِّدنا آدم "عليه السَّلام" بولده سيِّدنا محمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وإليك أخي القارئ تحقيق حديث توسُّل أدم "عليه السَّلام".

---

﴿١﴾ (فضل الصلاة على النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾) للشيخ إسماعيل بن إسحاق القاضي الأزدي الجهضمي (المتوفى: ٢٨٢هـ) تحقيق الشيخ الألباني ط المكتب الإسلامي – بيروت

وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنِّهاية (٢٨٨/٦) حديثا مرفوعا في هذا المعنى ثُمَّ قال: "وهذا إسناد فيه غرابة"، ولكن أورد له شاهداً من طريق أبي القاسم بن منيع البغوي، عن سليمان بن داود المهراني، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا بنحوه.

## توسُّل سيِّدنا آدم بولده السيِّد مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

١- أخرج الإمام الحاكم في [المستدرك على الصَّحيحين] قال: حدثنا أبو سعيد عمرو بن مُحمَّد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن مُحمَّد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" قال: قال رسولُ الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: لمَّا اقترف آدمُ الخَطيئة قال: يا رب أسألك بحقِّ مُحمَّد لَمَا غفرت لي، فقال الله: يا آدمُ وكيف عرفت مُحمَّداً ولم أخلقه؟ قال يا رب لأنَّك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيَّ من رُوحك، رفعتُ رأسي فرأيتُ على قوائم العرش مكتوبًا لا إله إلا الله مُحمَّدٌ رسولُ الله فعلمتُ أنَّك لم تُضِف إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك، فقال الله له: صدقت يا آدمُ إنَّه لأحبُ الخلق إليَّ. ادعني بحقِّه فقد غفرت لك، ولولا مُحمَّدٌ ما خلقتُك.

هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد.﴿١﴾، وهو أوَّل حديثٍ ذكرته لعبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب.﴿٢﴾

**قلتُ:** عقَّب الحافظ الذَّهبيُّ في [تلخيص المُستدرك] فقال: موضُوع، وعبد الرَّحمَن واهٍ رواه عبد الله بن مسلم الفهري، ولا أدري منْ ذَا، عن إسماعيل بن مسلمة عنه.﴿٣﴾

**ولكنه قال في ترجمة عبد الله بن مُسلم في [ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال]:**

روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب، عن عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه: يا آدم لولا مُحمَّدٌ ما خلقتك. رواه البيهقي في [دلائل النُّبوة].﴿٤﴾

٢- ورواه الآجُرِّي في [الشَّريعَة] من هذا الوجه مع زيادةِ رجُلٍ بين الفهري وشيخه ولكنه موقوفٌ على سيِّدنا عُمَر فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو الحارث الفهري

---

﴿١﴾ هو حديث حسن باعتبار الشَّواهد التي تقويه. الآتي ذكرها إن شاء الله.

﴿٢﴾ أخرجه الحاكم في المستدرك [ج٢- ص٦١٥]

﴿٣﴾ تلخيص المستدرك للحافظ الذَّهبي ج٢ / ص ٦١٥

﴿٤﴾ ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال للحافظ الذَّهبي ج٢ / ص٥٠٤

قال: حدثني سعيد بن عمرو قال: حدثنا أبو عبد الرَّحمن بن عبد الله بن إسماعيل ابن بنت أبي مريم قال: حدثني عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده عن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" قال: لما أذنب آدم "عليه السَّلام" الذَّنب الَّذي أذنبه رفع رأسه إلى السَّماء فقال: أسألك بحقِّ مُحمَّدٍ إلا غفرت لي، فأوحى الله "عزَّ وجلَّ" إليه: وما مُحمَّد؟ ومن مُحمَّد؟ قال: تبارك اسمك، لما خلقتني رفعتُ رأسي إلى عرشك، وإذا فيه مكتوبٌ لا إله إلا الله مُحمَّدٌ رسولُ الله، فعلمت أنَّه ليس أحدٌ أعظم قدرًا عندك ممَّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله "عزَّ وجلَّ" إليه: يا آدمُ، وعزَّتي وجلالي، إنَّه لآخرُ النَّبيين من ذرِّيتك ولولاه ما خلقتك.﴿١﴾

٣- وأخرجه البيهقي عن الحاكم في [دلائل النُّبوَّة] وقال: تفرد به عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف.﴿٢﴾

٤- ورواه الطَّبراني في المُعجم الصَّغير، والأوسط، فقال في الصَّغير:

حدثنا مُحمَّد بن داود بن أسلم الصدفي المصري، حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني، عن عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده عن عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: لما أذنب آدمُ ﴿صلَّى الله عليه وسلَّم﴾ الذَّنب الَّذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحقِّ مُحمَّد إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه وما مُحمَّد؟ ومن مُحمَّد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوبٌ لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله فعلمتُ أنَّه ليس أحدٌ أعظم عندك قدراً ممَّن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله "عزَّ وجلَّ" إليه يا آدمُ: إنَّه آخر النَّبيِّين من ذُريَّتك، وإنَّ أمَّته آخرُ الأُمم من ذُريَّتك، ولولاه يا آدمُ ما خلقتك. قال الطَّبراني: لا يُروَى عن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به أحمد بن سعيد.﴿٣﴾

---

﴿١﴾ الشَّريعة للآجُرِّي (ص٤٢٧).

﴿٢﴾ دلائل النبوة للحافظ البيهقي (ج٥ / ص٤٨٩).

﴿٣﴾ المعجم الصغير للطبراني (ج٢ / ص٨٢).

قلتُ: لم يتفرَّد به أحمد بن سعيد، بل تُوبع كما تقدم عند الإمام الحاكم.

وقال الهيثمي في مجمع الزَّوائد: رواه الطَّبراني في الأوسط والصَّغير، وفيه من لم أعرفهم.﴿١﴾ ا.هـ

٤- وأخرجه الحافظ ابن عساكر عن البيهقي في تاريخ دمشق [ج٧ / ص ٤٣٧].

و كذلك رواه ابن عساكر [ج٢ / ص٣١٠] عن شيخٍ من أهل المدينة من أصحاب ابن مسعود من قوله موقوفاً عليه، و فيه مجاهيل.

**قلتُ:** وممَّا سبق يتبيَّن أنَّ الحديث انفرد به عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف كما قال البيهقي.

لكن قال الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني [ ٢٧٧ هـ- ٣٦٥هـ]:

[عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم] له أحاديثٌ حسانٌ، وقد رَوى عنه كما ذكرتُ، يونس بن عبيد، وسفيان بن عيينة حديثين، وروى معتمر عن آخر عنه، وهو ممَّن احتمله النَّاس وصدَّقه بعضهم، وهو ممَّن يُكتبُ حديثه. ﴿٢﴾

**قلتُ:** من كلام ابن عدي "رحمه الله" يُفهم أنَّ هؤلاء الحفَّاظ يونس بن عبيد، وسفيان بن عيينة ومعتمر رووا عن عبد الرَّحمن بن زيد، فهو عند هؤلاء الحفَّاظ ممن يُكتبُ حديثه ومصدقٌ عندهم، وأنَّ هؤلاء الحفَّاظ الثِّقات لا يروون عن وضَّاع أو كذَّاب.

وقال الحافظ أبو مُحمَّد عبد الرَّحمن بن أبى حاتم الرازي المتوفى[ ٣٢٧ هـ] في [الجرح والتعديل] أنَّ عبد الرَّحمن بن زيد [صالح] فقال:

أخبرنا عبد الرَّحمن قال: سألت أبي عن عبد الرَّحمن بن أبي الرِّجال فقال: صالح هو مثل [عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم].﴿٣﴾

وذكر الحافظ مُحمَّد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المتوفى سنة[٣٢٢ هـ] في

---

﴿١﴾ مجمع الزَّوائد للهيثمي ج ٨ / ص ١٥٣

﴿٢﴾ الكامل لابن عدي ج٤ / ص ٢٧٠

﴿٣﴾ الجرح والتعديل للرازي ج٥ / ص ٢٨٢

[الضُّعفاء] أنَّ عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم ضعفه قليل فقال: حدثني مُحمَّد بن عبد الرَّحمن قال: حدثنا عبد الملك بن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله يقول: عبد الله بن زيد بن أسلم أثبت من عبد الرَّحمن. قلتُ: أثبت؟ قال: نعم. فقلت: فعبد الرَّحمَن؟ قال: كذا ليس مثله، وضعَّف من أمره قليلاً.﴿١﴾ ا.هـ

**قلتُ:** يستشهد الشَّيخ ابن تيميَّة بعبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم في كثير من كتبه ويثني عليه ويقول كما في مجموع (الفتاوى): عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم، وقد كان إماماً في التَّفسير، وأخذ التَّفسير عن أبيه زيد، وكان زيدٌ إماماً فيه، ومالكٌ وغيره أخذوا عنه التَّفسير وأخذه عنه عبد الله بن وهب صاحب مالك، وأصبغ بن الفرج الفقيه.﴿٢﴾

ويقول شيخنا العلامة علي جمعة مُحمَّد مفتي الدِّيار المصرية في كتابه القيِّم **[البيان لما يشغل الأذهان]** في فتواه عن التَّوسُّل:

وعبد الرَّحمن ليس بكذاب، ولا متهم بل هو ضعيف فقط، ومثله لا يجعل الحديث موضوعا، وأقصي ما يحدث أن يكون ضعيفا. ﴿٣﴾

ويقول شيخ شيوخنا الإمام السيِّد مُحمَّد زكي إبراهيم في كتابه [الإفهام والإفحام]:

وأما عبد الرَّحمن بن زيد فقد ضَّعفه مالك، وتبعه آخرون، إلاَّ أنَّه لم يُتهم بالكذب بل بالوهم، ومثله ينتقى حديثه، وهذا هو الَّذي فعله الحاكم، حيث رأى أنَّ الخبر ممَّا قبله مالك، فيما روى ابن حميد عنه، حيث قال لأبي جعفر المنصور "وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السَّلام" وبعد أن أقرَّ الإمام مالك "رضي الله عنه" بصحَّة الخبر واحتج به زالت تُهمة الوهم، وقلَّة الضبط عن عبد الرَّحمن الَّذي إنَّما يقتدي من رماه بذلك بمالك وعبد الرَّحمن بن زيد ليس مِمَّن يُرد خبره مطلقا، وها هو الإمام الشَّافعيُّ يستدل في دين الله ببعض حديثه في

---

﴿١﴾ ضعفاء العقيلي ج٢ / ص ٢٣١

﴿٢﴾ الفتاوى لابن تيمية / ج١٥/ ص٦٧، ٦٨

﴿٣﴾ البيان لما يشغل الأذهان / للشيخ على جمعة مفتي الديار المصرية / ص ١٨٢

[الأم] وفي مسنده[١]، فلا لوم على الحاكم في عدِّه هذا الحديث صحيحاً، بل هو الصَّحيح إلا عند من يضيق صدره عند سماع فضائل المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[٢] إنتهى.

**قلتُ**: وغاية الأمر في أقوال أهل الجرح والتَّعديل أنَّ [عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم] ضعيف، ويكتب حديثه، وهو ممن صدَّقه النَّاس، وصدَّقه بعضهم. وهو غير متهم بالكذب أو بالوضع، فهذا الحديث بهذا السَّند يكون ضعيفاً وليس بموضوع، ينجبر إن كان له شواهد تقوِّيه.

**وإليك بعض الشَّواهد لحديث توسُّل سيِّدنا آدم "عليه السَّلام"**:

١-أخرج الآجُرِّي في (الشَّريعة): أخبرنا أبو أحمد هارون بن يوسف بن زياد التَّاجر قال: حدثنا أبو مروان العثماني قال: حدثني (ابن)[٣] عثمان بن خالد، عن عبد الرَّحمن بن أبي الزِّناد، عن أبيه قال: "من الكلمات التي تاب الله "عزَّ وجلَّ" بها على آدم "عليه السَّلام" أنَّه قال: اللَّهمَّ إني أسألك بحقِّ مُحمَّد عليك، قال الله "عزَّ وجلَّ": يا آدم وما يدريك بمُحمَّد؟ قال: يا رب رفعتُ رأسي فرأيتُ مكتوباً على عرشك لا له إلا الله مُحمَّد رسولُ الله فعلمتُ أنَّه أكرم خلق الله عليك".[٤]

**قلتُ**: وهو شاهدٌ موقوفٌ، ولكنَّه ضعيف، فأبو مروان العثماني فيه كلام، وأبوه عثمان بن خالد متروك، ومع ذلك فهو معضل وموقوف.

---

﴿١﴾ وكذلك أخرج الإمام أحمد له في مسنده، والمسند كما هو معلوم، يخلو من الحديث الموضوع، كما حقق ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني في [القول المُسدَّد في الذَّب عن مسند أحمد].

وذكر ذلك الشَّيخ ابن تيمية فقال في (الفتاوى) (٢٤٨/١) وفي قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١٧٣/١): بخلاف من قد يغلط في الحديث، ولا يتعمد الكذب فإنَّ هؤلاء توجد الرِّواية عنهم في السُّنن، ومسند الإمام أحمد ونحوه، بخلاف من يتعمد الكذب، فإنَّ أحمد لم يروي في مسنده عن أحد من هؤلاء.

﴿٢﴾ الإفهام والإفحام للعالم الجليل الشَّيخ مُحمَّد زكي إبراهيم"رضي الله عنه" / ص ١١٦

﴿٣﴾ حدثني أبي وفي الأصل ابن وهو خطأ.

﴿٤﴾ الشريعة للآجُرِّي ص٤٢٢-٤٢٥

٢- وأخرج ابن المنذر في تفسيره، عن مُحمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب "رضي الله عنهم أجمعين" قال: لما أصاب آدم الخطيئة عظُم كربُه، واشتدَّ ندمُه. فجاءه جبريلُ فقال: يا آدمُ هل أدلُّك على بابِ توبتك الَّذي يتوب الله عليك منه؟ قال بلى يا جبريلُ قال: قُم في مقامك الَّذي تناجي فيه ربّك فمجِّده وامدح، فليس شيء أحبُّ إلى الله من المدح قال: فأقول ماذا يا جبريلُ؟ قال: فقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير كله وهو على كل شيء قدير. ثم تبوء بخطيئتك فتقول: سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك لا إله إلا أنت ربِّ إني ظلمت نفسي وعَمِلتُ السُّوء فاغفر لي إنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت. اللَّهمَّ إني أسألك بجاه مُحمَّدٍ عبدك، وكرامته عليك أن تغفر لي خطيئتي. قال: ففعل آدمُ فقال الله: يا آدمُ من علَّمَك هذا؟ فقال: يا رب إنَّك لما نفخت فيَّ الرُّوح فقمت بشراً سَوياً أسمع وأبصر وأعقل وأنظر، رأيت على ساق عرشك مكتوباً « بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مُحمَّد رسول الله » فلمَّا لَمْ أر على إثر اسمك اسم مَلَكٍ مقرب، ولا نبيٍّ مرسلٍ غير اسمه، عَلمْتُ أنَّه أكرم خلقك عليك. قال: صدقت. وقد تبت عليك، وغفرت لك خطيئتك قال: فحمد آدم ربَّه وشكره وانصرف بأعظم سرور، لم ينصرف به عبدٌ من عند ربه. وكان لباسُ آدم النُّور قال الله ﴿**يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ**﴾ ثياب النُّور قال: فجاءته الملائكة أفواجاً تهنئه يقولون: لتهنك توبة الله يا أبا مُحمَّد.﴿١﴾

**قلتُ**: وهو شاهدٌ مرسلٌ، وموقوفٌ على سيِّدنا مُحمَّد بن الباقر، بن سيِّدنا على زين العابدين، بن سيِّدنا الإمام الحسين "عليهم السَّلام"

٣- أخرج الحافظ أبو الحسن بن بشران قال: حدثنا أبو جعفر مُحمَّد ابن عمرو، حدثنا أحمد بن إسحاق بن صالح، ثنا مُحمَّد بن صالح، ثنا مُحمَّد ابن سنان العوقي، ثنا إبراهيم بن طهمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله

---

﴿١﴾ الدُّر المنثور للحافظ السيوطي (ج١ / ص ١٤٦).

متى كنت نبياً ؟ قال: (لمَّا خلق الله الأرض واستوى إلى السَّماء فسواهنَّ سبع سماوات وخلق العرش، كتب على ساق العرش: مُحمَّد رسول الله خاتم الأنبياء، وخلق الله الجنَّة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب، والأوراق والقباب، والخيام، وآدم بين الرُّوح والجسد، فلمَّا أحياه الله تعالى: نظر إلى العرش فرأى اسمي، فأخبره الله أنَّه سيِّد ولَدِك، فلمَّا غرَّهما الشَّيطان، تابا واستشفعا باسمي إليه).

وأخرجه ابن الجوزي في [الوفا بفضائل المصطفى] من طريق ابن بشران، ونقله الشَّيخ ابن تيميَّة في (الفتاوى) (٢/١٥٩) مستشهداً به.

**قلتُ:** هذا الحديث من أقوى الشَّواهد على حديث توسُّل آدم "عليه السَّلام" بولده سيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ورواته كلهم ثقات ما خلا واحد فهو صدوق.

**١- مُحمَّد بن عمرو بن البختري، بن مدرك بن أبي سليمان أبو جعفر الرزاز:**

وهو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن بكير ولد في سنة [٢٥١ هـ]. وكان ثقة ثبتاً. توفي [٣٣٩ هـ]. ودفن يوم الثلاثاء.﴿١﴾ ويعرِّفه الحافظ الذَّهبي فيقول: مُسنِد العراق، الثِّقة، المحدث. وذكر توثيق الحاكم له فقال: قال الحاكم: كان ثقةً مأموناً.﴿٢﴾

**٢- أحمد بن إسحاق بن صالح بن عطاء أبو بكر الوزَّان:**

قال عبد الرَّحمن بن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي (بسُرَّ منْ رَأى) وهو صدوق.

وقال الدَّارقطني: لا بأس به. توفي سنة [٢٨١ هـ] بسُرَّ من رأى.﴿٣﴾

**٣- مُحمَّد بن صالح بن عبد الرَّحمن البغدادي أبو بكر الأنماطي الصُّوفي الحافظ المعروف بكِيْلَجة ويقال اسمه أحمد:**

قال الآجُري سألت أبا داود عن كِيْلَجة فقال صدوق. وقال النسائي: أحمد بن صالح بغدادي ثقة. وكذا قال الدَّارقطني. وزاد ويقال اسمه مُحمَّد بن صالح يعني كيلجة.

---

﴿١﴾ أنظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج٣ / ص ١٣٢).

﴿٢﴾ سير أعلام النبلاء للحافظ الذَّهبي (ج١٥/ ص٣٨٥).

﴿٣﴾ أنظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ج٤ / ص ٢٨).

وقال ابن عقدة عن الفضل بن أشرس: كنا مع بكر بن خلف، فطلع مُحمَّد بن صالح فقال بكر: جاءكم من ينقر هذا العلم تنقيراً. مات بمكة سنة [٢٧١ هـ]. وذكره مسلمة في كتاب (الصِّلة) فقال: توفِّي بمكة، وهو ثقةٌ حافظٌ، أخبرنا عنه غير واحد ونقم عليه أنَّه كان يغلو في مذهب حسين الكرابيسي، واحتمل النَّاس له ذلك لثقته، وحفظه.[١] ا.هـ

**٤- مُحمَّد بن سنان الباهلى، أبو بكر البصرى المعروف بالعوقى:**

روى له: البخاري - أبو داود - الترمذي - ابن ماجه. قال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: صدوق. وقال ابن أبي الثلج: ما رأيت عفَّان يُثني على أحدٍ إلا على مُحمَّد بن سنان، لمَّا بلغه أنَّه حدَّث قال: عن مثله فاكتبوا. وذكره ابن حبَّان في الثِّقات. وقال البخاري: مات قريبا من سنة [٢٢] ويقال مات سنة [٣] وقال ابن أبي عاصم: مات سنة ثلاث وعشرين ومائتين. قلتُ: وفيها أرَّخه ابن قانع وقال كان صالحاً، وقال الدَّارقطني: ثقة حجَّة. وقال مسلمة: ثقة، وفي الزهرة روى عنه البخاري [٢٩] حديثا.[٢]

**٥- إبراهيم بن طهمان بن شعبة الخراساني، أبو سعيد الهروي:**

روى له البخاري - مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه. قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب بعد أن ساق أقوال العلماء فيه: **قلت** (أي ابن حجر): الحق فيه أنَّه ثقة صحيح الحديث إذا روى عنه ثقة، ولم يثبت غلوه في الإرجاء، ولا كان داعيةً إليه، بل ذكر الحاكم أنَّه رجع عنه و الله أعلم.[٣]

**٦- بديل بن ميسرة العقيلى البصري:**

روي له: مسلم - أبو داود - الترمذي - النسائي - ابن ماجه

قال العجلي: بصري ثقة. وقال البزَّار: لم يسمع من عبد الله بن الصَّامت و إن كان قديماً. وذكره ابن حبان في (الثقات) في الطبقة الثَّالثة. وحكى البغوي عن مُحمَّد بن سعد أنَّه

---

﴿١﴾ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج٩ / ص٢٠١ / وتاريخ بغداد ج ٥ / ص ٣٦٠

﴿٢﴾ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج٩ / ص ١٨٢ - ١٨٣

﴿٣﴾ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج١ / ص ٤٢٥

قال: ميسرة والد بديل هذا هو ميسرة الفجر صاحب رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. ا.هـ. قال البغوي: وهو عندي وهْم.﴿١﴾ ا.هـ.

**٧- عبد الله بن شقيق العقيلى، أبو عبد الرَّحمن:**

روي له البخاري في الأدب المفرد، مسلم، أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه.

قال ابن أبى حاتم، عن أبى زرعة: ثقة. وقال العجلي: ثقة، وكان يحمل على عليٍّ وقال الجريري: كان عبد الله بن شقيق مُجاب الدَّعوة، كانت تمرُّ به السَّحابة فيقول: الَّلهمَّ لا تجوز كذا وكذا حتى تُمطر. فلا تجوز ذلك الموضع حتى تُمطر. حكاه ابن أبى خيثمة في (تاريخه). ﴿٢﴾ إ.هـ

**قلتُ: قال شيخ شيوخنا الحافظ السيِّد عبد الله بن الصِّديق الغماري:**

إسناد هذا الحديث قويٌّ، وهو أقوى شاهد وقفت عليه لحديث عبد الرَّحمن بن زيد.

**ويقول أيضا:** والمقصود أنَّ حديث عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم في قصة توسل آدم "عليه السَّلام" ليس بموضوع ولا تسمح القواعد الحديثية أن يكون موضوعًا، للوجوه التي ذكرناها﴿٣﴾ خلافا للذَّهبي "رحمه الله" فإنَّه تشدَّد كثيرًا، كما أنَّ الحاكم تساهل فيه كثيرًا والصَّواب أنَّ الحديث ضعيفٌ منجبرٌ بحديث ميسرة الفجر، وهو حديث قوي كما سبق آنفا وبأثر الباقر وغيره "رضي الله عنهم".

**وقال في الحاشية:** وبذلك يكون حديث توسُّل آدم حسناً لغيره، فيحتج به بلا نزاع.﴿١﴾

* وممَّا سبق يتَّضح كل الوضوح، أنَّ سند هذا الحديث مسلسل بالثِّقات، ما خلا أحمد بن إسحاق بن صالح بن عطاء أبو بكر الوزان فهو صدوق، ومنه يتبيَّن أنَّ هذا الحديث من

---

﴿١﴾ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج١ / لاص ٣٧٢

﴿٢﴾ أنظر ترجمته في تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ج٥ / ص ٢٥٤

﴿٣﴾ ذكر الحافظ عبد الله بن الصديق أوجه في تقوية حديث توسُّل آدم "عليه السَّلام" وأجاد فيها بما لا مزيد عليه. أنظر (الرد المحكم المتين) [١٣٤ إلي ١٤٥].

﴿١﴾ الرد المحكم المتين للغماري ص١٤٠

شرط الحديث الحسن. وهو حديث صحيح عند من يدخل الحسن في الصحيح كالإمام الحاكم، والحافظ ابن حبَّان.

**تنبيه:** كثيرٌ من المُنكرين للتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى، أغفلوا رواية الحافظ أبو الحسن بن بشران السَّابقة لقوتها كما رأيت، كما فعل الشَّيخ الألباني في [كتابه التَّوسُّل وأحكامه] فإنَّه استوعب الرِّوايات في حديث توسُّل سيِّدنا آدم "عليه السَّلام" لكنَّه لم يتعرض لهذه الرِّواية القويَّة من قريب أو بعيد.

وكذلك صاحب (هذه مفاهيمنا)﴿٢﴾ لم يتعرض لنقد السَّند الَّذي جاءت به الرِّواية السَّابقة وإنما كان نقده للرِّواية التي جاءت من طريق (عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم).

هذا ومع أنَّ الشَّيخ ابن تيميَّة بعد ذكره الرِّوايتين قال عقبهما: فهذا الحديث يؤيد الَّذي قبله وهما كالتَّفسير للأحاديث الصحيحة. إذًا الشَّيخ ابن تيميَّة يستشهد بهاتين الرِّوايتين..

ثمَّ إنَّ ابن تيميَّة ومن تبعه إلى عصرنا هذا لم يتعرضوا لرواية الحافظ أبو الحسن بن بشران، والتي ذكرها ابن تيميَّة مستشهداً بها. وهي كافية لتقويَّة حديث توسل سيدنا آدم.

**وانظر إلى ما قاله صاحب (هذه مفاهيمنا):**

وشيخ الإسلام ذكر في غير موضع أنَّ الحديث موضوع، ولكنه لما كان فيما نقل الكاتب طرفاً منه في كلام مع أهل وحدة الوجود، ذكر هذين الحديثين بأسانيدهما على خلاف عادته، فهو لا يذكر إسنادًا إلا نادرًا، وإنَّما ساق الأسانيد ليعلم حالهما من طالعهما، وعادة العلماء أنَّ من ساق إسناداً فقد أدَّى عهدته، والحُكم عليه بعد ذلك بوضع أو غيره إنَّما يكون إذا أراد الرَّد على من يعتمده في لفظ من ألفاظه.

**قلت:** والنَّاظر في كلام صاحب (هذه مفاهيمنا) يلحظ التلبيس والهروب من التَّعرُّض لنقد سند الرِّواية التي ساقها الشَّيخ ابن تيميِّة مستشهداً بها، وجاء بكلام متهافت بعيد عن النقد العلمى، متعصبا بها كون الشَّيخ ابن تيميَّة ساق الإسناد هذا مُسلَّم به، وإنَّما لم نُسلِّم لك أنَّك

---

﴿٢﴾ ألَّفه صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ردًا على كتاب (مفاهيم يجب أن تصحح) للشَّيخ السَّيد مُحمَّد علوي المالكي.

لم تنظر في الإسناد وتبين مدى صحته، وأعرضت عنه، ولا يخفاك أنَّك في معرض الرَّد وإقامة الحجَّة. وعملك هذا ليس له إلا تفسيرين أحدهما أمر من الآخر:

فإمَّا أنَّه تبيَّن لك الصِّحة فكتمت هذا عن القارئ، وإمَّا أنَّك تقدِّس الشَّيخ ابن تيميَّة فأردت ألا تتعرض له في استشهاده بالحديث بالموضوع (كما تزعُم) حتى لا تقدح فيه.

ذنبـي عَظِـيمٌ يـا عَظِـيمُ وإنَّنـي ... بِمُحمَّـد أرجُـو السَّـمَاحَةَ فيـهِ

بِــهِ تَوسَّــلَ آدَمٌ مــن ذنبــه ... فَقَـدِ اهتَـدَى مَـن يقتـدي بأَبِيـهِ

بِـهِ قَـدْ أجَـابَ الله آدمُ إذْ دَعَـا ... وَنَجَّـي فـي بَطـنِ السَّفينةِ نُـوحُ

وَمــا ضَــرَّتِ النَّــارُ الخَليــلَ ... وَمِـنْ أجْلِـهِ نَـالَ الفِـدَاءَ ذَبِـيحُ

## ذكر توسُّل اليهُود بسيِّد الوجُود ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

مَا مِن أُمَّة من الأُمم السَّابقة إلا وبُشِّرت بخاتم الأنبياء، وسيِّد الأصفياء، وإمام الأتقياء سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأُمروا بالإيمان به، وتوقيره وتعظيمه ولقد تواترت الأخبار بذكر صفته في الكتب المقدَّسة المنزَّلة على الأنبياء السَّابقين وجاء أنَّ علماء اليهُود وأحبارهم كانوا يبشِّرون بظهور خاتم الأنبياء والمرسلين، فلمَّا بُعث دخل في دينه عقلائهم، وجحد برسالته آخرون، مع أنَّهم يعرفون أنَّه نبيُّ آخر الزَّمان الَّذي يعرفونه كما يعرفون أبنائهم، قال تعالى ﴿**ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾.[1] وكانوا يستفتحُون به ويستنصُرون، ويدعون الله به فيُجابون، فلما جاءهم بالحقِّ من عند الله كفروا به، فلعنة الله على الكافرين، وسجَّل لنا ذلك القرآن العظيم بأوضح عبارة وألطف إشارة، فقال الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالى" ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ**﴾.[2] ولقد نقل لنا علماء الأمَّة المُحمَّدية من المُحدثين، وأهل التَّفسير والسِّير، والتَّاريخ توسُّل اليهُود بسيِّد ولد آدم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**وإليك بداية: ما قاله أهل اللُّغة في معنى يستفتحونَ:**

**جاء في تاج العروس:** الاستفتاح: الإستنصار. وفي الحديث أنَّه كان يستفتح بصعاليك[3] المهاجرين. أي يستنصر بهم.

---

﴿١﴾ البقرة: ١٤٦

﴿٢﴾ البقرة: ٨٩

﴿٣﴾ الصُّعْلُوكُ الَّذي لا مالَ له، وجَمْعُه صَعَالِيْكُ. وصَعْلَكْتُه أفْقَرْتَه.

**وفي لسان العرب:** الاستفتاح: الإستنصار. وفي الحديث: أنَّه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. أي يستنصر بهم ومنه قول الله تعالى ﴿**إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ**﴾.

**وإليك أقوال بعض أئمَّة أهل التفسير لهذه الآية:**

**١- ذكر الإمام القرطبي عند تفسيره لهذه الآية فقال:**

﴿ **وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ** ﴾ أي يستنصرون، والاستفتاح الإستنصار. استفتحت استنصرت، وفي الحديث كان النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يستفتح بصعاليك المهاجرين. أي: يستنصر بدعائهم وصلاتهم، ومنه ﴿ **فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ** ﴾ والنَّصر فتح شيء مغلق، فهو يرجع إلى قولهم: فتحت الباب. وروى النسائي عن أبي سعيد الخدري: أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال: أنَّما نصر الله هذه الأمَّة بضعفائها بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم. وروى النَّسائي أيضًا عن أبي الدَّرداء قال: سمعت رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول: ابغوني الضَّعيف فأنَّكم أنَّما ترزقون وتنصرون بضعفائكم. قال ابن عبَّاس كانت يهود خيبر تقاتل غطفان، فلما التقوا هزمت يهود، فعاذت يهود بهذا الدُّعاء وقالوا: إنَّا نسألك بحقِّ النَّبي الأمي الَّذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزَّمان إلا تنصرنا عليهم، قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كفروا فأنزل الله تعالى ﴿**وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ أي بك يا مُحمَّد.﴿١﴾

---

﴿١﴾ تفسير القرطبي / ج ٢ / ص ٢٦-٢٧ / ط دار الشعب – القاهرة

**٢- وذكر الإمام الطَّبراني في تفسيره فقال:**

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يعني بقوله "جلَّ ثناؤه" ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي وكان هؤلاء اليهود الَّذين لمَّا جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لِمَا معهم من الكُتب التي أنزلها الله قبل الفرقان، كفروا به (يستفتحون) بمُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومعنى الاستفتاح: الاستنصار يستنصرون الله به على مشركي العرب من قبل مبعثه ﴿١﴾.

**٣- وذكر عبد الرَّحمن بن على الجوزي في تفسيره [زاد المسير] فقال:**

قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعني القرآن و(**يستفتحون**) يستنصرون، وكانت اليهود إذا قاتلت المشركين، استنصروا باسم نبيِّ الله مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. ﴿٢﴾

**٤- وذكر الإمام البغوي في تفسيره عند تفسير هذه الآية فقال:**

﴿وَكَانُواْ﴾ يعني اليهود ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبل مبعث مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ على مشركي العرب وذلك أنَّهم كانوا يقولون إذا حزبهم أمر ودهمهم عدو: اللَّهمَّ انصرنا عليهم بالنَّبي المبعوث في آخر الزَّمان، الَّذي نجد صفته في التَّوراة، فكانوا يُنْصَرون. ﴿٣﴾

---

﴿١﴾ تفسير الطبري / ج١ / ص ٤١٠ / ط دار الفكر – بيروت

﴿٢﴾ زاد المسير لابن الجوزي/ ج ١ / ص ١١٤ / ط المكتب الإسلامي – بيروت

﴿٣﴾ أنظر تفسير البغوي ج١ / ص١٢.

**٥- وَجَاءَ في تفسير الحافظ ابن كثير قَال:**

وحكى القرطبي وغيره عن ابن عبَّاس، "رضي الله عنهما": أنَّ يهود خيبر اقتتلوا في زمان الجاهليَّة مع غطفان فهزمتهم غطفان، فدعا اليهود عند ذلك، فقالوا: اللَّهمَّ إنا نسألك بحقِّ النَّبي الأمي الَّذي وعدتنا بإخراجه في آخر الزَّمان، إلا نصرتنا عليهم. قال: فنصروا عليهم. قال: وكذلك كانوا يصنعون يدعون الله فيُنصرون على أعدائهم ومن نازلهم. قال الله تعالى: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ**﴾ أي من الحقِّ وصفة مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ﴿**كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾.﴿١﴾

**٦- وجاء في تفسير البحر المحيط لأبي حيان:**

﴿**يَسۡتَفۡتِحُونَ**﴾: أي يستحكمون، أو يستعلمون، أو يستنصرون، أقوال ثلاثة. يقولون إذا دهمهم العدو: اللَّهمَّ انصرنا عليهم بالنَّبي المبعوث في آخر الزَّمان، الَّذي نجد نعته في التَّوراة.﴿٢﴾

**٧- وجاء في تفسير الألوسي:**

والمعنى يطلبون من الله تعالى أن ينصرهم به على المشركين، كما روى السُّدي أنَّهم كانوا إذا اشتد الحرب بينهم وبين المشركين، أخرجوا التَّوراة، ووضعوا أيديهم على موضع ذكر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وقالوا: اللَّهمَّ إنا نسألك بحقِّ نبيك الَّذي وعدتنا أن تبعثه في آخر الزَّمان أن تنصُرنا اليوم على عدوِّنا فينصرون.﴿٣﴾

**هذا وقد ذكر الشَّيخ ابن قيِّم الجوزيَّة تلميذ الشَّيخ ابن تيميَّة توسُّل اليهود بحضرة المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال في (بدائع الفوائد) و (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى):**

---

﴿١﴾ تفسير ابن كثير ج١ / ص٣٢٧

﴿٢﴾ تفسير البحر المحيط لابن حيان ج١ / ص ٣٩٣

﴿٣﴾ تفسير روح المعاني للألوسي ج١ / ص٤٠٦

كان أهل الكتاب بنو قريظة والنَّضير، يتوسّلون بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قبل وجوده لينصرهم الله على أعدائهم، قال تعالى في اليهود (﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٌ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ فكانوا إذا قاتلوا المشركين قالوا: اللَّهمَّ انصرنا بالنَّبيِّ المبعوث في آخر الزَّمان، فينصرهم الله ﴿١﴾

وأعجب كل العجب ممن يتعصبون لآراء الشَّيخ ابن القيِّم وشيخه ابن تيميَّة كيف غفلوا عن هذا الَّذي ذكره الشَّيخ ابن القيِّم، أيجْمُل بنا أن نصف الشَّيخ ابن القيِّم بالكفر والشِّرك والمروق عن الدِّين ونشر الوثنيَّة؟ بماذا تجيبون عن ذكر ابن القيِّم لتوسّل اليهود برسولنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أليس هذا توسّل بالنَّبي قبل وجوده البشري؟ أيجوز التَّوسُّل به قبل وجوده، ولا يجوز بعد وجوده؟.

**وورد هذا الأثر بطريق ضعيف عند الإمام الحاكم فقال:**

أخبرني الشَّيخ أبو بكر بن إسحاق، أنبأ مُحمَّد بن أيوب، ثنا يوسف بن موسى، ثنا عبد الملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جده، عن سعيد بن جبير، كانت زفر وخيبر تقاتل غطفان، فكلما التقوا هزمت زفر وخيبر، فعاذت اليهود بهذا الدعاء: "اللَّهمَّ إنا نسألك بحقِّ مُحمَّد النَّبي الأمي الَّذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزَّمان، إلا نصرتنا عليهم". قال: فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا الدُّعاء فهزموا غطفان، فلما بعث النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كفروا به فأنزل الله وقد كانوا ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ بك يا مُحمَّد على الكافرين.

أدت الضرورة إلى إخراجه في التفسير وهو غريب ﴿٢﴾.

**قلتُ:** وهذا إسناد ضعيف لضعف عبد الملك بن هارون بن عنترة.

---

﴿١﴾ أنظر (بيان للناس من الأزهر الشَّريف) / ج٢ / ص ٨٣ – (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) (٢٤٩/١) ط: دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م – تحقيق محمد أحمد الحاج

﴿٢﴾ المستدرك / ج ٢ / ص ٢٨٩ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

**يقول شيخ شيوخنا الحافظ عبد الله بن مُحمَّد الصديق الغماري تعقيبا على هذا الأثر المروي في مستدرك الحاكم:**

لكن للأثر طرق، فأخرج أبو نعيم في (الدلائل) من طريق عطاء والضَّحاك عن ابن عبَّاس قال: كانت يهود بني قريظة والنَّضير من قبل أن يبعث مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يستفتحُون الله، (يدعون على الَّذين كفروا)، يقولون: اللَّهمَّ إنا نستنصرك بحقِّ النَّبي الأُمِّي إلا نصرتنا فينصرون ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ﴾ يريد مُحمَّداً ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم يشكوا فيه كفروا به".

وأخرج أيضاً من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عبَّاس قال: كان يهود المدينة قبل قدوم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب من أسد، وغطفان، وجهينة، وعذرة، يستفتحون عليهم، ويستنصرون، يدعون عليهم باسم نبي الله، فيقولون: اللَّهمَّ ربَّنا انصُرنا عليهم باسم نبيِّك وبكتابك الَّذي تنزل عليه الَّذي وعدتنا إنك باعثه في آخر الزَّمان.

ووجه الدَّلالة من هذا الأثر ظاهر، فإن الله تعالى أقرهم على توسُّلهم بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم يذمَّهم عليه وإنما ذمَّهم على جُحُودهم وكفرهم به.[١]

**قلت:** ومما يعاضد هذه الرِّوايات ما ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره:

حدثنا أبو زرعة، ثنا منجاب، أنبأ بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: في قوله ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال: يستظهرون يقولون: نحن نُعينُ مُحمَّدا عليهم، وليسوا كذلك يكذبون، وروي عن أبي العالية، والربيع بن أنس: يستنصرون به[٢] على النَّاس.

حدثنا علي بن الحسين، ثنا مُحمَّد بن عبد الله بن نمير، ثنا يونس بن بكير الحازمي، ثنا

---

﴿١﴾ أنظر الرد المحكم المتين على كتاب القول المبين للحافظ الغماري ص١٩٥

﴿٢﴾ يستنصرون به أي: يطلبون من الله النصر به على عدوهم.

ابن إسحاق، حدثني مُحمَّد بن أبي مُحمَّد، أخبرني عكرمة، أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: أنَّ اليهود، كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمُحمَّد، ونحن أهل شرك وتخبرونا بأنَّه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، ما هو بالَّذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله "عَزَّ وَجَلَّ" في ذلك من قولهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ممَّا سبق في هذا الفصل يتَّضح لنا أنَّ نبيَّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ توسَّل به سيِّدنا آدم "عليه السَّلام" حينما رأى اسمه الشَّريف مقروناً باسم الله "سبحانه وتعالى" فقبل الله تعالى توبته، واجتباه.

وذكر جمهُور المُفسِّرين توسُّل اليهود به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قبل بعثته الشَّريفة، لما عرفوا من علوِّ شأنه، وعظيم قدره، وسموِّ درجته، مما هو مكتوبٌ عندهم في التَّوراة، فلما سطعت أنوارُ بعثته، وأشرقت الأرضُ بنور رسالته، واستنارت قلوبُ المؤمنين بسراج شريعته، جحدوا رسالته، وأنكروا دعوته، بعد أن كانوا مِنْ قبل ظهوره يطلبون من الله تعالى النَّصر به على من عاداهم فينصرهم. فأنزل الله في شأنهم قرآنا يتلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

# الباب الثاني

## الفصل الأول

## التوسل بالنبي قبل بعثته الشريفة

## التوسُّل بالنَّبيِّ قبل البعثة الشَّريفة

تواترت الأخبارُ عن أهل الكتاب في الجزيرةِ العربيَّة، بظهور نبيٍّ آخر الزَّمان، من ذرِّية سيِّدنا إسماعيل بن سيِّدنا إبراهيم "عليهما السَّلام"، وتلقف هذه الأخبار المُتحنِّفون﴿١﴾ من العرب، وتسامع العَرب وأهل قريش بتلك الأخبار.

ولا شك أنَّ أعظم حدث مرَّ على الوجود كله، من بدايته إلى نهايته، هو ميلاد النَّبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأنَّ الله ختم به الرِّسالات السَّماوية، وأقام به الحُجَّة، وأظهر به المحجَّة.

ولقد هيأ الله تعالى إرهاصات﴿٢﴾ وبشارات قبل ميلاده، وأثناء ميلاده الشَّريف. ذكرها المؤرخون لسيرته المطهَّرة.

ولما وُلد النَّبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فرح به جدُّه عبد المطَّلب، وكفله برعايته وخصه بمحبته ومودته، لِمَا كان يراه فيه من النُّور الظَّاهر، والخُلُق الباهر.

**يقول الإمام محمَّد بن يوسف الصَّالحي الشَّامي المُتوفَّى سنة [٩٤٢ هـ]:**

قال ابن إسحاق: حدثني العبَّاس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله قال: كان يوضع لعبد المطَّلب فراشٌ في ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له، وكان رسول الله ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يأتي حتى يجلس عليه فيذهب أعمامه يؤخِّرونه فيقول جده: دعوا ابني. فيمسح ظهره ويقول: إنَّ لابني هذا لشأنًا.

وروى أبو نعيم عن ابن عباس "رضي الله تعالى عنهما" مثله. وزاد: دعوا ابني يجلس

---

﴿١﴾ تحنَّف إلى الشيء إذا مال إليه، ومنه قيل لمن مال عن كل دين أعوج: هو حنيف، وله دين حنيف وتحنف فلان إذا أسلم. قال جران العود:

وأدركن أعجازاً من الليل بعدما ... أقام الصلاةَ العابدُ المتحنفُ

﴿٢﴾ الإرهاص أن يتقدم على دعوى النُّبوة ما يُشبه المعجزة، تأسيسا لها ومقدمة، كإظلال الغمام له عليه وتكلم الحجر والمدر معه.

فإنه يحس من نفسه بشيء، وأرجو أن يبلغ من الشَّرف ما لم يبلغه عربي قبله ولا بعده.[١]

ولمَّا شاهد عبد المطَّلب بركة سيِّد الوجود ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وما حدث من أمور غريبة إبَّان مولده الشَّريف، وما تتابع من أخبار أهل الكتاب بظهور نبيٍّ آخر الزَّمان من بني هاشم، فحينما قحط أهل مكة، خرج به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يستسقى به.

**التوسُّل بدعاء عبد المطَّلب في وجود حضرة النَّبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

روى ابن سعد، والبلاذري، وابن أبي الدنيا، والطبراني في [الأحاديث الطوال] وابن الأعرابي في [المعجم]، وأبو نعيم في [معرفة الصَّحابة] وابن الأثير[٢] في [أُسْد الغابة] والبيهقي في [الدلائل]، عن رُقَيْقَة[٣] بنت صيفي ابن هاشم وكانت لدة عبد المطَّلب قالت:

تَتَابَعَتْ عَلَى قُرَيْشٍ سُنُون جَدْبٍ قَدْ أَقْحَلَتْ الظّلْفَ، وَأَرَقّتْ الْعَظْمَ، فَبَيْنَا أَنَا رَاقِدَةٌ اللّهُمّ أَوْ مُهَدّمَةٌ، وَمَعِي صِنْوَى، إذْ أَنَا بِهَاتِفِ صَيّتٍ يَصْرُخُ بِصَوْتِ صَحِلٍ، يَقُولُ:

يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: إنّ هَذَا النّبِيّ الْمَبْعُوثَ مَعَكُمْ. هَذَا إبّانُ نُجُومِهِ، فَحَيّ هَلا بِالْحَيَا وَالْخِصْبِ، أَلَا فَانْظُرُوا مِنْكُمْ رَجُلا طُوّالا عُظّامًا أَبْيَضَ فَظّا، أَشَمّ الْعِرْنِينَ لَهُ فَخْرٌ يَكْظِمُ عَلَيْهِ. أَلا فَلْيَخْلُصْ هُوَ وَوَلَدُهُ وَلْيَدْلِفْ إلَيْهِ مِنْ كُلّ بَطْنٍ رَجُلٌ، أَلا فَلْيَشُنّوا مِنْ الْمَاءِ وَلِيَمَسّوا مِنْ الطّيبِ، وَلْيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ سَبْعًا، أَلا وَفِيهِمْ الطّيبُ الطّاهِرُ لِذَاتِهِ، أَلا فَلْيَدْعُ الرّجُلُ، وَلْيُؤَمّنْ الْقَوْمُ، أَلا فَغِثْتُمْ أَبَدًا مَا عِشْتُمْ.

---

﴿١﴾ أنظر "سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" للصَّالحي الشامي ج٢ / ص ١٢٩

﴿٢﴾ قال ابن الأثير: أخرجه أبو نعيم، وأبو موسى، وقال أبو موسى: هذا حديث حسن عال.

﴿٣﴾ رُقَيْقَة بِنْت صَيْفِيّ بن هاشم بن عَبْد مناف. وأمها هالة بنت كلدة بن عبد الدار بن قصي. تزوجها نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة فولدت له مخرمة بن نوفل، وذكر ابن سعد في (الطبقات) فقال: عن أم بكر بنت المسور عن أبيها أن رقيقة بنت صيفي بن هاشم بن عبد مناف، وهي أم مخرمة بن نوفل حذرت رسول الله ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، فقالت إن قريشا قد اجتمعت تريد بياتك الليلة، قال المسور: فتحول رسول الله، ﴿**صلِّى الله عليه وآله وسلَّم**﴾ عن فراشه وبات علي بن أبي طالب "عليه السَّلام".

أوردها الطبراني، وجعفر المستغفري في الصحابيات، وقال أبو نعيم: لا أراها أدركت البعثة والدعوة.

أنظر ترجمتها في طبقات ابن سعد / أسد الغابة لابن الأثير / والاستيعاب لابن عبد البر.

قَالَتْ: فَأَصْبَحْت مَذْعُورَةً قَدْ قَفّ جِلْدِي، وَوَلِهَ عَقْلِي، فَاقْتَصَصْت رُؤْيَايَ، فَوَ الْحُرْمَةِ وَالْحَرَمِ، إنْ بَقِيَ أَبْطَحِيّ إلا قَالَ هَذَا شَيْبَةُ الْحَمْدِ، وَتَتَامّتْ عِنْدَهُ قُرَيْشٌ، وَانْفَضّ إلَيْهِ النّاسُ مِنْ كُلّ بَطْنٍ رَجُلٌ، فَشَنّوا، وَمَسّوا، وَاسْتَلَمُوا، وَاطّوّفوا، ثُمّ ارْتَقَوْا أَبَا قُبَيْسٍ، وَطَفِقَ الْقَوْمُ يَدِفّونَ، قَرّوا بِذَرْوَةِ الْجَبَلِ، وَاسْتَكَفّوْا جَنَابَيْهِ، فَقَامَ عَبْدُ المطَّلب، فَاعْتَضَدَ ابْنَ ابْنِهِ مُحَمّدًا – ﴿صلّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ – فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ قَدْ أَيْفَعَ أَوْ قَدْ كَرَبَ، ثُمّ قَالَ: اللّهُمّ سَادّ الْخَلّةِ، وَكَاشِفَ الْكُرْبَةِ، أَنْتَ عَالِمٌ غَيْرُ مُعَلّمٍ، وَمَسْئُولٌ غَيْرُ مُبَخّلٍ، وَهَذِهِ عِبِدّاؤُكَ، وَإِمَاؤُك، بِعَذِرَاتِ حَرَمِك، يَشْكُونَ إلَيْك سَنَتَهُمْ، فَاسْمَعْنَ اللّهُمّ وَأَمْطِرَنّ عَلَيْنَا غَيْثًا مَرِيعًا مُغْدِقًا، فَمَا رَامُوا وَالْبَيْتِ حَتّى انْفَجَرَتْ السَّماء بِمَائِهَا، وَكَظّ الْوَادِي بِثَجِيجِهِ.﴿١﴾

**وفي ذلك ما تقول رقيقة:**

| | |
|---|---|
| بِشَيبةَ الحَمدِ أَسقى اللَّه بَلدَتنا | وَقَد عدمنا الحَيا واجلوّذَ المَطرُ |
| فَجادَ بالماءِ جونٌ مسبلٌ هطلٌ | بِهِ تنفّستِ الأنعامُ والشجرُ |
| مَنٌّ مِنَ اللَّه بِالميمونِ طائرهُ | وَخير مَن بشّرت يوماً به مضرُ |
| مُباركُ الأمرِ يُستسقى الغَمام به | ما في الأنامِ له شبهٌ ولا خطرُ |

**يقول الصَّالحي الشَّامي في تفسير بعض الكلمات الغريبة الواردة في هذه الرواية:**

لدة الرجل: تربه الذي ولد هو وإياه في وقت واحد.

التتابع: بمثناتين فوقيتين فألف فمثناة تحتية فعين مهملة.

قال في النِّهاية: الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه، ولا يكون في الخير.

وقال غيره: التتابع بالموحدة يقال في الخير، والمثناة يقال في الشر.

---

﴿١﴾ المعجم الكبير للطبراني ج١٧ / ص٤٩٧ / ورواه البيهقي في دلائل النبوة ج١ / ص٤٠٠ / السيرة الحلبية /ج١ / ص ١٨٢ / وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ / ص٥٦ / وسبل الهدي والرَّشاد للصالحي ج٢ / ص١٣١ / والروض الأنف ج٢ / ص٢٨ / والحافظ ابن أبي الدنيا في (مجابو الدُّعاء) ج١ / ص٩

السُّنون: جمع سنة وهي الجدب بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض الخصب.

أقْحَلت: بقاف فحاء مهملة: أيبست.

مُهَوِّمة: بضم الميم وفتح الهاء وكسر الواو المشددة قال في النهاية: التهويم: أول النوم. وهو دون النوم الشديد.

الهاتف: ما يسمع صوته ولا يرى شخصه.

بصوت صَحَل: بصاد مفتوحة فحاء مهملتين فلام أي غير حاد الصَّوت.

إبَّان الشيء: بكسر الهمزة وتشديد الموحدة: وقته.

حَي هَلا: اسم فعل بمعني أقبلوا وأسرعوا، وهي كلمتان جعلتا كلمة فحي بمعني أقبل وهلا بمعني أسرع.

الحَيَا: بالقصر الغيث.

الخِصب: بالكسر نقيض الجدب.

وسِيطاً: يقال فلان وسيط قومه، إذا كان أوسطهم نسبا، وأرفعهم محلا.

عُظاما: بضم العين المهملة بمعنى عظيم.

جُسَاماً: بضم الجيم بمعنى جسيم.

بضًّا: بموحدة فضاد معجمة مشددة قال في النهاية: البضَاضَة رقة اللون وصفاؤه الذي يؤثر فيه أدنى شئ.

الوَطَف: بفتح الواو والطاء المهملة: طول شعر العين مع سعتها.

الشَّمَم: ارتفاع قصبة الأنف، واستواء أعلاها، وإشراف الأرنبة قليلا.

العِرْنين: بكسر العين المهملة وسكون الراء: الأنف، وهذا اللفظ كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس.

يَكْظُم عليه: بمثناة تحتية مفتوحة، فكاف ساكنة، فظاء مشالة مضمومة، فميم، أي لا يبديه ولا يظهره.

يَدْلِفُون: بدال مهملة وفاء: أي يقربون منه.

شَنُّوا من الماء: اغتسلوا به.

تَتَام القوم: جاءوا كلهم وتموا.

العَذرات: بعين مهملة مفتوحة، فذال معجمة، فراء، فتاء تأنيث، جمع عَذرة بفتح أوله وكسر ثانيه، وهي فناء الدار، وهو سعة أمامها.

قيل: ما امتد من جوانبها.

الغَدق: بفتح الغين المهملة: المطر الكبار القطر، والمغدق: مفعل منه.

مَريعا بفتح الميم: مخصبا.

الحَيا: هنا بالقصر المطر.

اجلَّوَّذ المطر: بجيم فلام مشددة مفتوحتين، فذال معجمة، قال في النهاية: امتد وقت تأخره وانقطاعه.

جَوْني: بفتح الجيم وسكون الواو وتشديد الياء منسوب إلى الجون وهو من الألوان يقع على الأبيض والأسود، والجمع جون بضم الجيم، وقيل الياء فيه للمبالغة كما يقال في الأحمر أحمري.

السَبل: بسين مهملة، فباء موحدة مفتوحتين، المطر الجود الهاطل، يقال: أسبل المطر والدمع: إذا هطلا والاسم السبل بالتحريك.

سَحًّا: بسين فحاء مهملة مشددة مفتوحتين: يقال سَحَّ المطر والدمع وغيرهما، يسُحُّ بالضم سُحُوحاً وسَحّا: سال.

ويقال السَّح: الصبّ الكثير.

الميمون طائره: أي المبارك حظه، ويجوز أن يكون أصله من الطير السارح والبارح.

العِدل بكسر العين: المثل.

الخطر بخاء معجمة: الشبيه والمثل.

**قلتُ**: ولما توفي عبد المطَّلب بن هاشم سيد قريش جد سيِّدنا رسول ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الذي كان يفتخر به ويقول: أنا النَّبي لا كذب أنا ابن عبد المطَّلب. كفله عمُّه أبو طالب بوصيَّة من أبيه عبد المطَّلب، فقام بالوصيَّة أحسن القيام.

ولقد ذكر العلماء توسُّله بسيِّدنا رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في عام استمسكت فيه السَّماء قطرها. ففعل مثل ما فعله أبوه عبد المطَّلب.

**توسُّل أبو طالب بسيِّد الوجود** ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

ذكر الحافظ الذَّهبي في [تاريخ الإسلام] فقال: وقال إبراهيم بن محمد الشافعيّ، عن أبيه، عن أبان بن الوليد، عن أبان بن تغلب، حدّثني جُلْهُمَة بن عرفطة قال: إنِّي لبالقاع من نمرة، إذا أقبلت عير من أعلى نجد، فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه عن عجُز بعير، فجاء حتى تعلّق بأستار الكعبة، ثم نادى يا ربَّ البنيّة أجرني؛ وإذا شيخٌ وسيمٌ قسيمٌ عليه بهاءُ الملك ووقارُ الحكماء.

فقال: ما شأنك يا غلام، فأنا من آل الله وأجير من استجار به، قال: إنّ أبي مات وأنا صغير، وإنَّ هذا استعبدني، وقد كنت أسمع أنَّ لله بيتاً يمنع من الظُّلم، فلما رأيته استجرت به. فقال له القرشيّ: قد أجرتك يا غلام، قال: وحبس الله يد الجندي إلى عنقه. قال جلهمة: فحدّثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان قعيد الحيّ فقال: إنَّ لهذا الشَّيخ ابناً يعني أبا طالب. قال فهويت رحلي نحو تهامة، اكسع بها الحدود، وأعلوا بها الكدان، حتى انتهيت إلى المسجد الحرام، وإذا قريش عزين، قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون، فقائل منهم يقول: اعتمدوا اللات والعزّى؛ وقائل يقول: اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى. وقال شيخ وسيم قسيم حسن الوجه جيّد الرأي: أنّى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم "عليه السَّلام" وسلالة إسماعيل قالوا له: كأنّك عنيت أبا طالب. قال: إيهًا. فقاموا بأجمعهم، وقمتُ معهم فدققنا عليه بابه، فخرج إلينا رجل حسن الوجه مصفّر، عليه إزار قد اتّشح به، فثاروا إليه فقالوا: يا أبا طالب قحط الوادي، وأجدب العباد فهلمّ فاستسق؛ فقال: رويدكم زوال الشَّمس وهبوب الريح، فلما زاغت الشمس أو كادت، خرج أبو طالب معه غلام كأنّه دجنة تجلّت عنه سحابة قتماء، وحوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذَ بأصبعه الغلام، وبصبصت الأغيلمة حوله، وما في السَّماء قزعة فأقبل السّحاب من ها هنا، وها هنا، وأغدق واغدودق، وانفجر له الوادي، وأخصب النّادي والبادي.

**وفي ذلك يقول أبو طالب:**

وَأَبْـيَضُ يُسْتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ... ربيـعُ[١] الْيَتَـامَى عِصْـمَةٌ لِلأَرَامِـلِ

يَطِيـفُ بِـهِ الْهُـلاك مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ ... فَهُـمْ عِنْـدَهُ فِـي نِعْمَـةٍ وَفَضَـائِلِ

وَمِيـزَانُ عَـدْلٍ لا يَخِـيسُ شَـعِيرَةً ... وَوَزَّانُ صِـدْقٍ وَزْنُـهُ غَيْـرُ عَائِـلِ[٢]

**وذكر هذا الأثر عبد الله بن الشَّيخ محمد بن عبد الوهاب النَّجدي فقال:**

باب: الاستسقاء به ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو طفل: وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال: قدمت مكة وهم في قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادي وأجدب العيال، فهلم فاستسق، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء حوله أغيلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة ولاذ بإصبعه الغلامُ وما في السَّماء قزعة، فأقبل السحاب من ههنا وههنا وأغدق واغدودق، وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي وفي ذلك يقول أبو طالب:

**(وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ).[٣]**

**قلتُ: وقول أبي طالب:**

**(وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ)**

---

﴿١﴾ وفي رواية (ثمال) بمعنى كافل

﴿١﴾ مختصر (تاريخ دمشق) (٢/٦١)، وذكره السيوطي في الخصائص الكبري (١/١٤٦)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١/٤٦). والصالحي الشامي في (سبل الهدي والرَّشاد) (٢/١٢٧) **وأبو بكر الدينوري المالكي في (المجالسة وجواهر العلم) (٦/١٨٥) والقسطلاني في ( المواهب اللدنية) (١/١١٢) وصفي الرحمن المباركفوري في (الرحيق المختوم) (١/٤٩) .**

﴿٣﴾ مختصر سيرة الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي / ط دار الفيحاء دمشق ـ دار السلام الرياض/ الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧.

وسؤال لأتباع الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب النَّجدي: هل أشرك عبد الله بن محمَّد بن عبد الوَّهاب النَّجدي بذكره هذا الأثر والذي بوب له بقوله: الاستسقاء به ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو طفل؟.

كان يتمثَّل به سيِّدنا عبد الله بن عمر "رضي الله عنهما" فقلد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سمعت ابن عمر يتمثل بشعر أبي طالب:

**(وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ)**

وقال عمر بن حمزة حدثنا سالم عن أبيه، ربُّما ذكرتُ قول الشَّاعر وأنا أنظر إلى وجه النَّبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب.

**(وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ)**

وهو قول أبي طالب [١].

**يقول الحافظ ابن حجر في الفتح:** قال السُّهيلي: فإن قيل كيف قال أبو طالب "يستسقى الغمام بوجهه" ولم يره قط استسقى إنَّما كان ذلك منه بعد الهجرة! وأجاب بما حاصله: أنَّ أبا طالب أشار إلى ما وقع في زمن عبد المطَّلب حيث استسقى لقريش والنبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ معه غلام.[٢] انتهى

**وذكر ابن سعد في (الطبقات) بسند صحيح أنَّ أبا طالب طلب السُّقيا من سيِّدنا رسُول الله ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:**

أخبرنا إسحاق بن يوسف الأزرق، أخبرنا عبد الله بن عون عن عمرو ابن سعيد أن أبا طالب قال: كنت بذي المجاز ومعي ابن أخي، يعني النبي ﴿صلِّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فأدركني العطش فشكوت إليه فقلت: يا ابن أخي قد عطشت، وما قلت له ذاك وأنا أرى أن عنده شيئاً إلا الجزع، قال: فثنى وركه ثمَّ نزل فقال: يا عمُّ أعطشت؟ قال قلت: نعم، قال: فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال أشرب يا عمُّ، قال: فشربت.[٣]

---

﴿١﴾ رواه البخاري في صحيحه ج١ / ص ٣٤٢ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٢/٤٩٦)

﴿٣﴾ ابن سعد في الطبقات /ج١/ ص١٥٢

# الباب الثاني

## الفصل الثاني

## التوسل بالنبي بعد البعثة الشريفة

## التَّوسُّل بالنَّبيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد البعثة

كان السَّادة الصَّحابة "رضوان الله عليهم أجمعين"، وهم أعلم النَّاس بالتَّوحيد، وأدرى النَّاس بنصُوص الوحي الشَّريف، إذا ألَمَّ بهم كربٌ، أو نزل بهم بلاءٌ، أو داهمتهم شدةٌ لاذوا بحضرة سيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ليدعُوَ لهم الله، أن يكشفَ عنهم الضرَّ، ويزيلَ عنهم الغُمَّة، وهم يعلمون تمام العلم معنى قول الله تعالى ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[١] **وقوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾**.[٢] إلى غير ذلك من النُّصوص القرآنية، ومن العجيب حقًا أنَّ المنكرين للتَّوسُّل فهموا من الآية الثَّانية نفي الوسائط بينك وبين الله تعالى، مع أنَّ الآية المُباركة ذكر جمهور المفسِّرين أنَّها نزلت جوابا لسؤال سألوه للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أقريبٌ ربُّنا فنناجيه أم بعيدٌ فنناديه؟

**ويوردون هنا شُبهة ويقولون:** الدَّليل على نفي الواسطة بينك وبين الله حذف فعل (قل) مع أنَّ (قل) مقدرةً وجوبًا كما قال العلاَّمة أبو حفص عُمر بن علي بن عادل الدِّمشقي الحنبلي في تفسيره: وإن سألوه: إنَّا إذا أذنبنا ثُمَّ تُبنا، فهل يقبلُ الله توبتَنَا؟ صحَّ أن يجيبَ بقوله ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ أي: فأنا القريبُ بالنظر إليهم، والتجاوز عنهم، وقبُول التَّوبة منهم؛ فثبت أنَّ هذا الجواب مطابقٌ للسُّؤَالِ على كُلِّ تقدير.

قوله تعالى: ﴿ أُجِيبُ ﴾ فيها وجهان:

أحدهما: أنها جملةٌ في محلِّ رفع صفةً ل ﴿قَريبٌ﴾.

والثاني: أنها خبرٌ ثانٍ ل ﴿إنّي ﴾، لأنَّ ﴿قَريبٌ﴾ خبرٌ أوَّلُ.

ولا بُدَّ من إضمارِ قولٍ بعد فاء الجزاء، تقديرُه: فَقُلْ لهم إِنِّي قريبٌ، وإنما احتَجْنَا إلى هذا

---

﴿١﴾ سورة غافر: ٦٠

﴿٢﴾ سورة البقرة:/١٨٦

التَّقدير؛ لأنَّ المرتِّب على الشَّرط الإخبارُ بالقُرب.[1] ا.هـ

**قلتُ**: ولو فهمتم من الآية نفي الواسطة، لناقضتم أنفسكم، حيث أنَّكم مجمعُون على التَّوسُّل بدعاء الرَّجل الصَّالح، وَلَمَا كان هناك فائدة في طلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو من الرَّجل الصَّالح.

هذا وقد تواترت الأدِّلة الصَّحيحة على طلب الدُّعاء من الأنبياء والصَّالحين، ولقد ورد عن الصَّحب الكرام أنَّهم توسَّلوا بسيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بدعائه وتوسَّلوا بجاهه، وقَدْره، ومكانته عند ربه، وسُموِّ منزلته، وتوسَّلوا بذاته الشَّريفة، وتبرَّكوا بآثار حضرته الكريمَة. وها أنا أذكر إليك بعض الدَّلائل على ذلك.

---

﴿١﴾ تفسير اللباب لابن عادل ج٢/ ص ٣٦٠

## طلبُ الدُّعاء منه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

### ١- طلب الدُّعاء منه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في الاستسقاء:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قالَ: أصَابَتِ النَّاس سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَبَيْنَا النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا[١] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ وَمِنْ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ أَوْ قَالَ غَيْرُهُ فَقَالَ يَا رَسُول اللَّه تَهدَّم الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ اللَّهمَّ حَوَالَيْنَا وَلا علينا، فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ السَّحَابِ إلاَّ انْفَرَجَتْ، وَصَارَت الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةَ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ.[٢]

**وذكر العلاَّمة الحافظ ابن حجر العسقلاني في [الفتح] فقال:**

مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلائِل" مِنْ رِوَايَة مُسْلِم الْمُلائِيّ عَنْ أَنَس قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه: أَتَيْنَاك وَمَا لَنَا بَعِيرٌ يئط، وَلاَ صَبِيّ يَغِطّ. ثُمَّ أَنْشَدَهُ شِعْرًا يَقُول فِيهِ:

وَلَيْسَ لَنَا إلا إِلَيْك فِرَارنَا ... وَأَيْنَ فِرَار النَّاس إلا إِلَى الرُّسُل

---

﴿١﴾ طالب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أومن الرَّجل الصَّالح، في الحقيقة إنَّما هو توسُّل بمنزلة الدَّاعي، وقدره، وجاهه عند ربه، وإلاَّ لو كان غير ذالك لما كان لطلب الدُّعاء من الغير قيمة.

وقد أشار إلى هذا المعنى الشَّيخ الألباني في (التَّوسُّل) ص٢٨ فقال: كأن يقع المسلم في ضيق شديد أو تحل به مصيبةٌ كبيرةٌ، ويعلم من نفسه التَّفريط في جنب الله "تبارك وتعالى"، فيجب أن يأخذ بسببٍ قوي إلى الله فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصَّلاح والتَّقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسُّنة. فيطلب منه أن يدعوا له ربَّه. ليفرِّج عنه كربه ويزيل عنه همَّه. انتهي

﴿٢﴾ رواه البخاري / ج١ / ص ٣١٥ / رقم٨٩١ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

فَقَامَ يَجُرّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَر فَقَالَ: "اللَّهمَّ اِسْقِنَا "....الْحَدِيث.

وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: لَوْ كَانَ أَبُو طَالِب حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ.

مَنْ يَنْشُدنَا قَوْله؟ فَقَامَ على فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، كَأَنَّك أَرَدْت قَوْله:

وَأَبْيَض يُسْتَسْقِى الْغَمَام بِوَجْهِهِ.......الأبيات.﴿١﴾

**قلت:** أنظر قول الأعرابي وهو يقول لسيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

وَلَيْسَ لَنَا إلا إِلَيْك فِرَارنَا ... وَأَيْنَ فِرَار النَّاس إلا إِلَى الرُّسُل

ولم ينكر عليه رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قولته [وليس لنا إلا إليك فرارنا] وهو الذي أنزل الله عليه قوله ﴿**فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ**﴾.﴿٢﴾

**٢- السيِّدة أم حرام﴿٣﴾ تسأل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الدُّعاء:**

أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ خَالَتِهِ أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ قَالَتْ نَامَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَوْمًا قَرِيبًا مِنِّي، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَتَبَسَّمُ، فَقُلْتُ: مَا أَضْحَكَكَ؟ قَالَ: أُنَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عليَّ يَرْكَبُونَ هَذَا الْبَحْرَ الْأَخْضَر، كَالْمُلُوكِ عَلَى الأسِرَّةِ، قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا لَهَا، ثُمَّ نَامَ الثَّانِيَةَ، فَفَعَلَ مِثْلَهَا فَقَالَتْ مِثْلَ قَوْلِهَا فَأَجَابَهَا مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَنْتِ مِنْ الأوَّلِينَ فَخَرَجَتْ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ غَازِيًا أَوَّلَ مَا رَكِبَ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْرَ مَعَ مُعَاوِيَة، فَلَمَّا انْصَرَفُوا مِنْ غَزْوِهِمْ قَافِلِينَ

---

﴿١﴾ فتح الباري للحافظ ابن حجر / ج ٢ / ص ٤٩٥ / ط دار المعرفة – بيروت

وقال الحافظ معقبا على هذه الرِّواية: وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة، وقد ذكره ابن هشام في زوائده في السيرة تعليقا عمن يثق به.

﴿٢﴾ سورة الذاريات :٥٠

﴿٣﴾ هي الصَّحابية الجليلة: أم حرام بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار. الأنصاريَّة النَّجارية المدنية. أخت أم سليم. وخالة أنس بن مالك. وزوجة عبادة بن الصامت وذكر الحافظ المزي في تهذيب الكمال [ج٣٥ / ص٣٤٠] ناقلا عن الحافظ أبي نعيم، أن أهل الشَّام يستسقون بقبرها فقال: وقال الحافظ أبو نعيم: كانت تحت عبادة بن الصامت وخرجت معه في بعض غزوات البحر، وماتت بالشام وقبرت بقبرس، وقصتها بغلتها فماتت، وأهل الشام يستسقون بها ويقولون قبر المرأة الصَّالحة.

فَنَزَلُوا الشَّأْمَ[١]، فَقُرِّبَتْ إِلَيْهَا دَابَّةٌ لِتَرْكَبَهَا فَصَرَعَتْهَا فَمَاتَتْ.[٢]

**٤- توسُّل المُشركين بسيِّد الأنبياءِ والمُرسلين:**

أخرج البخاري في صحيحه وترجم له بقوله [باب إذا استشفع المُشركون بالمسلمين عند القحط] عن سيِّدنا عبد الله بن مَسْعُودٍ قَالَ: إِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنْ الإِسْلامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ، حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحمَّد جِئْتَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ فَقَرَأَ ﴿**فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ**﴾[٣] ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿**يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ**﴾[٤] يَوْمَ بَدْرٍ.

قَالَ أَبُو عَبْد اللَّهِ: وَزَادَ أَسْبَاطٌ عَنْ مَنْصُورٍ فَدَعَا رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعًا، وَشَكَا النَّاس كَثْرَةَ الْمَطَرِ، قَالَ: اللَّهمَّ حَوَالَيْنَا وَلا عَلَيْنَا فَانْحَدَرَتْ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ فَسُقُوا النَّاس حَوْلَهُمْ.[٥]

**قلت:** وأكتفي بذكر ما سبق، لأنَّ التَّوسُّل بطلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بابٌ كبيرٌ، وهذا النَّوع من التَّوسُّل ليس محل اختلاف.

ومن أراد الاستزادة، فليرجع إلى الصَّحيحين، والمسانيد، والسُّنن، ففيهم الغنية والكفاية.

---

﴿١﴾ أي: بلاد الشام.

﴿٢﴾ رواه البخاري ج٣ / ص٢٦٨ / ورواه مسلم ج٣ / ص١٥١٨

﴿٣﴾ سورة غافر: ١٠

﴿٤﴾ سورة غافر: ١٦

﴿٥﴾ رواه الإمام البخاري /ج١ / ص ٣٤٦ / رقم٩٧٤ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

## التَّوسلُ بالذَّاتِ المُحَمَّدية الشَّريفَةَ

لاشكَّ ولا ريب أنَّ ذاتَ الحبيب الأكرم سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أشْرف وأعظم الذَّوات على الإطلاق، لما فيها من أرفع الكمالات، التي لم تكن لأحدٍ غيره من أهل الأرض والسَّموات، فلقد بلغ غاية الكمال في جمال خِلقَتِه، وحُسْن خُلُقِه.

**ورحم الله الإمام البوصيري حينما قال:**

فَهُو الَّذي تَمَّ مَعناهُ وصُورتُه ... ثمَّ اصْطفاهُ حَبيباً بارئُ النَّسَمِ

مُنزَّهٌ عَنْ شَريكٍ في مَحاسِنِه ... فَجَوهَرُ الحُسْنِ فيه غَيرُ مُنقَسِمِ

**واعلم أخي المُحب:** أنَّ بشريَّة المَعْصُوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ليست كبشريَّة سائر الخلق، وقد بيَّن لنا ذلك الرَّسُولُ الكريم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في الحديث الصَّحيح الَّذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَقُولُ: لا تُوَاصِلُوا، فَأَيُّكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ حَتَّى السَّحَرِ قَالُوا فَإِنَّكَ تُوَاصِلُ يَا رَسُول اللَّهِ، قَالَ، إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ لِي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي، وَسَاقٍ يَسْقِينِ. ﴿١﴾

وأنَّ الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام"، وأنَّ وجود ذواتهم الشَّريفة أمانٌ من العذاب حتى للكفار، وما نزل عذابٌ بقوم من الأقوام إلا من بعد أن يأمرَ اللهُ نبيَّهم، أن يخرُج هو ومن آمن معه إلى مكان آخر، وقد ذُكر ذلك في القرآن الكريم في أكثر من موضع، عن سيِّدنا نوح، وسيِّدنا لوط، وسيِّدنا موسى وغيرهم من الأنبياء. "عليهم الصَّلاة والسَّلام".

ومن نعم الله تعالى حتى على أهل الشِّرك، رفع العذاب عنهم ما دام فيهم سيِّدنا رَسُول الله - ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ - بين أظهرهم.

فلقد ذكر أهل الحديث والسِّير والتَّفسير، أنَّ سببَ نزول قول الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ

---

﴿١﴾ صحيح البخاري برقم (١٩٦٤) وصحيح مسلم برقم (١١٠٥)

ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.[١]

ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللَّهمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾.[٢]

**وإلى هذا أشار الشيخ ابن قيِّم الجوزيَّة في [إعلام الموقعين] فقال:**

وتأمَّل قوله تعالى لنبيِّه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، كيف يُفهم منه أنَّه إذا كان وجود بدنه، وذاته فيهم، دفعَ عنهمُ العذاب وهم أعداؤه، فكيف وجود سره والإيمان به ومحبَّته، ووجود ما جاء به، إذا كان في قوم أو كان في شخص، أفليس دفعه العذاب عنهم بطريق الأولى والأحرى.[٣]

**وأيضاً ذكر هذا المعنى الشَّيخ ابن كثير في تفسيره فقال:** وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عبَّاس: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يقول: ما كان الله ليعذب قوماً وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يُخْرجهم، ثُمَّ قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ يقول: وفيهم من قد سبق له من الله الدُّخولُ في الإيمان، وهو الاستغفار - يستغفرون يعني: يصلون - يعني بهذا أهل مكة.[٤]

**ويقول العلاَّمة الإمام مُحمَّد متولي الشَّعراوي في تفسيره للآية الكريمة:**

الحقُّ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" قادرٌ على أن يصيب بالعذاب قوماً بعينهم، وقادرٌ على نجاة

---

﴿١﴾ سورة الأنفال: ٣٣

﴿٢﴾ صحيح البخاري / ج ٤ / ص ١٧٠٤/ ط دار ابن كثير – اليمامة - بيروت

﴿٣﴾ إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية / ج ١ / ص ٢٢٦ / ط دار الجيل - بيروت.

﴿٤﴾ تفسير ابن كثير ج٤ / ص٤٩

المؤمنين، وشاء الله سبحانه ألا ينزل العذاب، لأنَّ رؤية المتألم حتى ولو كان عدوًّا، فيه إيلام، لذلك قال الحقَّ "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى":﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ....﴾ لأن سنَّة الله مع خلقه المُكذبين للرسل، أنه "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" قبل أن يُنزِّل العذاب يخرج الرَّسُول والمؤمنين به، مثال ذلك أمْره نُوحاً "عليه السَّلام" بأن يصنع السَّفينة، لينجو من الطَّوفان. وكل رَسُول لم تستجب أمَّته أصابها شيءٌ من هذا، وعلى ذلك يخرج الرَّسُول أولا، ثُمَّ ينزل الحقُّ عذابه، كما أنَّه يقول "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" موضحاً فضل الُّلجوء إلى الله بالاستغفار ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾. وهم إن استغفروا الله فمعنى ذلك أنَّهم آمنوا به، ولكن الحقَّ جاء بهذا القول ليدلهم على المنقذ الذي يخلِّص الإنسان منهم من جريمة الكفر، وفي ذلك رحمة منه "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، وكأنه يحضُّهم على أن يستغفروا حتى لا ينزل بهم العذاب. ويرسم لهم وسيلة النجاة. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾. وتسمى اللام في «ليعذبهم» ب «لام الجُحُود» نجحد أن يعذبهم الله وفيهم رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، إذن فوجود الرَّسُول فيما بينهم أمر له تقديرٌ خاصٌ، أمَّا هم فالحقُّ "تَبَارَكَ وَتَعَالَى" يقول بشأنهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ ﴿١﴾

**قلتُ**: وممَّا سبق من دلالة الآية الكريمة، على أنَّ وجود الذَّوات الشَّريفة، مانعٌ من نزول عذاب الله، وحصنٌ وأمانٌ ما داموا في أقوامهم، فمن ذلك فَهِم أهلُ العلم من أهل السُّنة والجماعة جواز التَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة، لحُرمتها، وقدْرها، ومجْموع ما فيها من كمالات واصطفائات وخصوصيَّات.

ونؤكد هنا أنَّ الذَّات ما هي إلا جسدٌ وروحٌ، وهذه الذَّات إذا خلت من الإيمان بالله ومعرفته والقيام بحقه، فلا خير فيها، وإن أعجبك الجسد قال تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ

---

﴿١﴾ تفسير الشَّيخ الشَّعراوي / ص٤٦٨٧ – ٤٦٨٨

أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ﴾.﴿١﴾ فالذَّوات الخالية من الإيمان لا بركة فيها ولا نفع فيها لأحد، وشبههم الله تعالى بالخُشُب المُسندة التي لا ثمر فيها، ولا ورق، فلا هي يُستظل بها، ولا يُنتفع بها في وجه من وجوه المنفعة. ولكن أنظر إلى من أُعطي جوامع الكلم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لما شبَّه المسلم شَبَّهه بالنَّخلة بجامع الخير في كلٍ، فكلُ ما في النَّخلة فيه منفعة، وكذلك المسلم كل ما فيه منفعة فقال فيما رواه البخاري من حديث عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ: رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُول اللَّهِ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ.﴿٢﴾

وأعظم ما في النخلة التَّمر، وأعظم ما في المسلم الإيمان بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبسيِّدنا محمد نبيًا ورسولاً. فكلما زاد الإيمان وزادت المعرفة بالله تعالى ازدادت الذَّات بركة، قال الله تعالى في حق سيِّدنا عيسى "عليه السَّلام" ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا﴾.﴿٣﴾ فالعارفون بأقدار الأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام" نظروا إلى ذوات الأنبياء بمجموعها وبكليتها، فشهدوا البركة في عرقهم وتفلتهم، وشعرهم، وأيديهم، وفضل ماء وضوئهم، وثيابهم، ومكان جلوسهم، إلى غير ذلك من الآثار الشَّريفة، فتبركوا بها تبرُّك المحبِّين الموقِّرين لأصحابها، وما أظنه في إخواني المتلمِّسين للبركات في هذه الآثار النَّبويَّة الشَّريفة، إلا لحبهم لسيِّدي رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وكل مسلم يعلم أنَّ النَّافع والضَّار هو الله "جلَّ جلاله". ومن جَهِل عُلِّم.

فما بالُ أقوامٍ عميت بصائرُهم، واعوجت طريقتُهم، وضلَّت أفهامُهم، فحينما تتكلم عن

---

﴿١﴾ سورة المنافقون: ٤

﴿٢﴾ أخرجه: الحميدي (٦٧٦) و( ٦٧٧)، وأحمد ١٢/٢، والبخاري ٢٣/١ (٦١) ومسلم ١٣٧/٨) واللفظ له والنسائي في " الكبرى " ( ١١٢٦١) من طرق عن ابن عمر ، به . والروايات مطولة ومختصرة .

﴿٢﴾ سورة مريم: ٣١

خصائص الذَّات المُحمَّدية، وما مُيِّزت به عن سائر الذَّوات، سلقوك بألسنة حِداد، وكأنَّهم لم يحفظوا من كتاب الله تعالى إلا قوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.﴿١﴾ وذهبوا يشيعون أنَّ بشرية سيِّد الخليقة، وإمام أهل الحقيقة، كبشرية غيره ويقولون لا فرق بينك وبين السيِّد مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلا في الوحي والرِّسالة فقط، وضربوا عُرْضَ الحائط بالأحاديث التي لا حصر لها من كتب السُّنة الصَّحيحة، التي توضِّح بما لا يدع مجالاً للشك لكل موحد، أنَّ بشرية سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ليست كبشرية غيره، فهو ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كما قال العارف بالله السيِّد أبو الحسن الشَّاذِّلي﴿٢﴾ "قدَّس الله سرَّه": بَشَرٌ ليس كَالأبشار، كَمَا أَنَّ اليَاقُوتَ حَجَرٌ ليس كالأحْجَار.﴿٣﴾

فيا أخي: ألك بصرٌ كبصره؟ أترى من خلفك كما ترى من أمامك؟ أتسمع كما كان يسمع؟ أتواصل الصَّوم كما كان يواصل؟ أرائحة عرق جسدك كعرقه الشَّريف الذي كان أطيب من ريح المسك؟.

أيَّةُ قلُوبٍ هذه؟ أيَّةُ عقولٍ يحملها هؤلاء في رؤوسهم؟ أيُّ فكر هذا الَّذي يهدم تعظيم المُصطفى في قلوب المسلمين؟ ويُجرِّئُ النَّاس على التسُّور على مقامه الأعلى الشَّريف وقدره السِّامي المُنيف.

فاحذر أخي المُحب من تلك المَهالِك المُهلكة، والمسَالك الضيِّقة، وتلك الأفكار الشاذَّة المُنحرفة، التي تُصوِّر لك سيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مثْل سائر النَّاس

---

﴿١﴾ سورة الكهف: ١١٠

﴿٢﴾ هو الإمام الكبير العارف بالله تعالى الولي الرَّباني سيِّدي على بن عبد الله بن عبد الجبار المكنى بأبي الحسن الشَّاذِّلي، والذي ينتهي نسبه إلى سيِّدنا الإمام الحسن بن سيِّدنا على بن أبي طالب، ولد بغمارة بتونس سنة (٥٩٣ هـ) وتوفي بحميثرا على طريق عيذاب بصعيد مصر وهو ذاهب للحج.

﴿٣﴾ ذكر ذلك ابن الحاج صاحب المدخل /ج٢ / ص٢٦٧

ويفسِّرون آيات في القرآن الكريم، على غير معناها، من غير تذوُّق ولا إحساس، ودون فهم لمبناها، وفقه لفحواها، والرجوع إلى من أوكل الله له بيانها وتبيانها.

**واعلم أخي المحب:** أنَّ عامة من كفر بالأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام" إنَّما كان لشهودهم بشريَّة الأنبياء دون خصوصياتهم.

واقرأ بتمعنٍ قول الحق "تَبَارَكَ وَتَعَالَى" ﴿**وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ**﴾(١) وقال تعالى ﴿**مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾.(٢)

إلى غير ذلك من الآيات التي توضِّح وضوحا تاماً، أنَّ سبب إعراض المشركين عن الإيمان بالأنبياء والمُرسلين، إنَّما لكونهم شهدوا البشريَّة، ولم يشهدوا الخُصُوصيَّة.

**وإليك أخي الكريم بعض الدَّلائل التي أوردها المُحقِّقون من أهل العلم على مشروعيَّة التَّوسُّل بذوات الأنبياء وبحقِّهم وبجَاههم:**

١- أخرج الحاكمُ في مستدركه، والتِّرمذيُّ في سننه، والنَّسائيُّ في سننه، وأحمدُ في مسنده، وابن خزيمة في صحيحه، والبيْهقيُّ في دلائله، وعبدُ بن حميد في سننه وغيرُهم بألفاظ متقاربة: عن عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلاً ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ فَقَالَ: ادْعُهُ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ فَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعاء (اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنبيِّك مُحمَّد نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحمَّد: إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي اللَّهمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ).(٣)

---

﴿١﴾ سورة الشَّعراء: ١٨٦

﴿٢﴾ سورة الشَّعراء: ١٥٤

﴿٣﴾ أخرجه احمد في مسنده (ج٤ ص١٣٨)، والترمذي (ج٥ ص ٥٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح والنسائي في الكبرى (ج٦ ص ١٩٦)، وابن ماجه (ج١ ص ٤٤١)، والحاكم في المستدرك في موضعين (ج١ ص ٤٥٨)، والطَّبراني في الصغير (ج١ ص ٣٠٦)، والأوسط (ج٢ ص ١٠٥)، والكبير (ج٩ ص ٣٠)

**قلتُ:** هذا الحديث من أعظم الشَّواهد على التَّوسُّل بسيِّد الوُجود ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بذاته، وجاهه، وقدره، ومكانته الشَّريفة، في حضوره، ومغيبه، في حياته وبعد انتقاله.

ومعلوم من هذا الحديث أنَّ الرَّجل قال هذا الدُّعاء بعيداً عن مجلس الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وقد جمع الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ له في هذا الدُّعاء التَّوسُّل بدعاء الرَّجل نَفْسَه، وشاهده من الحديث (اللَّهمَّ إني أسألك)، والتَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وشاهدُه من الحديث (وأتوجَّه إليك بنبيِّك مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نبيَّ الرَّحمَة) وفي الحديث أيضًا جواز نداء الرَّسُول الأكرم، وشاهدُه من الحديث (يا مُحمَّد إنِّي توجَّهتُ بك إلى ربِّي في حاجتي هذه فتُقضى لي)، وفي الحديث أيضا اتخاذ الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ شفيعًا عند الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

هذا وإنَّ المنكرين للتَّوسُّل بذات الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وقعوا في مأزقٍ عظيمٍ عند هذا الحديث، فحاولوا بشتَّى الوسائل، وصُنُوف الحيل، صَرف الحديث عن ظاهره، وخالفوا بذلك السَّلف والخلف.

وأيَّدوا ما ذهبوا إليه بشُبهات لم يسبقْهم بها أحدٌ من علماء الأُمَّة، وإنَّما قلدوا فيها الشَّيخ ابن تيميَّة، وحذَوا حذْوه، وأنا أذكر لكم بمشيئة الله تعالى أهمَّ شُبهاتهم حول هذا النَّص النَّبويِّ الشَّريف والرَّد عليها:

**الشُّبهة الأُولى:**

قولُهم: أنَّ الرَّجل الأعمى إنَّما توسَّل بدُعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقط. ولم يتوسَّل بذاته أو بجاه عند ربه، وقالوا بتقدير محذوفٍ في نصِّ الدُّعاء الذي علمه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للأعمى وتقديره (اللَّهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك (بدُعاء) نبيِّك مُحمَّد.

وللأسف الشَّديد هذه الشُّبهة قد راجت على كثيرٍ من طلبة العلم، وكثيرٍ من البُسطاء. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**وردًا على هذه الشُّبهة أقُول وبالله التوفيق:**

١- من المقرر لدى علماء الأصول أنَّه لا يُصرف النَّص عن ظاهره،﴿١﴾ إلاَّ إذا كانت هُناك قرينةٌ مانعةٌ من إجراء النَّص على ظاهره، ولا توجد هنا قرينة تجعلنا نصرف النَّص عن ظاهرة. فلم قدَّرتم محذوفا في الدُّعاء بقولكم: وأتوجَّه إليك [بدُعاء] نبيِّك؟

٢- لو كان الدُّعاء وحده المقصود، أي - دعاء الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ - فما الفائدة في تعليم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ هذا الدُّعاء للرَّجل والتوجُّه به إلى الله؟ ولكان يكفي أن يدعو له النَّبيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كما فعل ذلك كثيرًا مع مَنْ كان يسألُه الدُّعاء في قضاء أمر من الأمور. وهذا كثير في السُّنة لا حصر له.

٣- إنَّ حفَّاظ الأُمَّة، ترجموا في كتبهم لهذا الحديث الشَّريف بما يُفْهَم من تراجمهم أنَّ هذا الدُّعاء ليس بمخصوص بالسَّائل، وإنَّما هو لسائر الأُمَّة، فمن الحفَّاظ من ترجم له بـ (صلاة الحاجة) ومنهم الهيثمي في (مجمع الزوائد)، وابن ماجة في (السنن) والحافظ المنذري في (الترغيب والترهيب)، وترجم له الإمام النَّووي في كتابه (الأذكار) في (باب أذكار صلاة الحاجة). والإمام النَّسائي ترجم له بباب (ما يقال عند الكرب إذا نزل) والإمام ابن خزيمة ترجمه (صلاة التَّرغيب والتَّرهيب) والإمام الحاكم في (كتاب الدُّعاء، والتَّكبير والتَّهليل، والتَّسبيح والذِّكر) وترجم له ابن السُّني في عمل اليوم واللَّيلة (باب ما يقول لمن ذهب بصره) والإمام الترمذي ترجم له في (بَاب فِي دُعَاءِ الضَّيْفِ) والإمام البيهقي ترجم له (باب ما في تعليمه الضَّرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر في ذلك من آثار النُّبوة) وذكره العلاَّمة ابن الجزري في (العُدَّة) في باب (صلاةُ الضرِّ والحاجة).

فمِن تراجم هؤلاء الحفَّاظ، يتضح لكل ذي لُبٍّ، أنَّهم فهموا استعمال هذا الدُّعاء لجميع الأُمَّة المُحمَّدية على ممر العصور إلى يوم القيامة، فهل جهل هؤلاء الحفَّاظ "رضي الله

---

﴿١﴾ وعهدُنا بهؤلاء المنكرين أنَّهم لا يصرفون النصَّ عن ظاهره في المسائل الكبيرة الخطيرة كمسائل العقيدة كصفات الله تعالى، حتى ولو أدى ذلك للتَّشبية والتَّجسيم للباري "سبحانه وتعالى"، ويصمُون كل متأول في حدود التنزيه لله "سبحانه وتعالى" بأنَّه جهمي، ومعطل، ومبتدع، إلى غير ذلك، فما بالهم يؤولون النَّص عن ظاهره في أمور تُعدُّ من الفروع لا من العقائد.

عنهم" أنَّ هذا الحديث الشَّريف خصوصيةُ لهذا الرَّجل، وفتحوا باباً للشِّرك للأمَّة المُحمَّدية والعياذُ بالله؟ سبحان مقلب القلوب.

**تنبيه:** لقد تغافل الشَّيخ الألباني تبويب أئمة الحديث وحفَّاظه على ما سبق ذكره، وزعم أنَّ هذا الحديث ذكره المُصنِّفون في مُعجزات النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:

سادسًا: إنَّ هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ودعائه المُستجاب. وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات، فإنَّه بدعائه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في (دلائل النُّبوة) كالبيهقي وغيره.[١]

ولم يستطع الألباني أن يذكر العلماء الذين ذكروا هذا الحديث في باب معجزات المُصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حتى الحافظ البيهقي[٢] الذي ذكره، هو على خلاف ما ادعاه فقد بوب له الحافظ البيهقي بقوله (باب ما في تعليمه الضَّرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر في ذلك من آثار النُّبوة) ويقصد الحافظ البيهقي بالتَّرجمة كما هو واضح، تعليم الضَّرير الدُّعاء وهو (اللَّهمَّ إنِّي أتوجَّه إليك....إلى آخره)، وهذا الدُّعاء كان بسببه الشفاء للضَّرير، وذلك ببركة الرَّسول الأكرم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

٤- لو قلتم أنَّه توسُّلٌ بدعاء الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقط.

فيلزم من قولكم أنَّ هذا الدُّعاء خاص بهذا الرَّجل، ولا يجوز لأحد من المسلمين الدُّعاء بهذا الدُّعاء لأنَّ من مذهبكم أنَّه لا يجوز التَّوسُّل بدعاء الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى.

---

﴿١﴾ التَّوسُّل أنواعه وأحكامه للألباني ص٧٥ .

﴿٢﴾ وممَّا أوقع الألباني في هذا، تقليدُه للشَّيخ ابن تيميَّة فنقل كلامه من (التَّوسُّل والوسيلة) وحتى من باب الأمانة العلمية لم يعزه إليه. حيث أن ابن تيميَّة ذكر نفس هذا الكلام، وما أظنُّ ولا يظن غيري أن ابن تيميَّة والألباني لم يطلعا على تبويب الحافظ البيهقي لهذا الحديث في كتاب الدعوات (باب ما في تعليمه الضرير ما كان فيه شفاؤه حين لم يصبر، وما ظهر في ذلك من آثار النبوة) ولا أظنُّ أنَّهما لم يطلعا على تبويب من ذكرنا لك من الحفَّاظ. اللَّهمَّ إنَّ هذا تدليسٌ وتلبيسٌ على المسلمين.

ومن ادعى تخصيص هذه الحادثة بهذا الرَّجل فقد افترى على رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لعدم ورود دليل على التَّخصيص، ومن المعلوم أنَّ خطابات الشَّرع الشَّريف محمولةٌ على العُموم، وإن كانت خارجة مخرج الخصُوص، حتى يقوم الدَّليل على التخصيص، وهو هنا مفقود.

٥- لقد ورد ما يفيد وقوع التَّوسُّل بهذا الدُّعاء من سلف الأُمَّة المُحمَّدية بعد انتقال الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلى الرَّفيق الأعلى، فلقد ذكر الشَّيخ ابن تيميَّة نفسه في الفتاوى أنَّ [السَّلف الصَّالح والإمام الحجَّة أحمد بن حنبل كانوا يستعملون هذا الدُّعاء] فقال: وروي في ذلك أثر عن بعض السَّلف مثل ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب [مجابي الدُّعاء] قال: حدثنا أبو هاشم سمعت كثير بن مُحمَّد بن كثير بن رفاعة يقول: جاء رجلٌ إلى عبد الملك بن سعيد بن أبجر فجسَّ بطنه فقال: بك داء لا يبرأ. قال: ما هو؟ قال: الدُّبيلة.﴿١﴾ قال فتحول الرَّجل فقال: الله الله ربي لا أشرك به شيئا اللَّهمَّ إني أتوجَّه إليك بنبيِّك مُحمَّد نبيّ الرَّحمة (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم تسليمًا) يا مُحمَّد إني أتوجَّه بك إلى ربِّك وربِّي يرحمني ممَّا بي. قال فجسَّ بطنه فقال: قد برئت ما بك علة.

قلتُ أي (ابن تيميَّة): فهذا الدُّعاء ونحوه قد رُوي أنَّه دعا به السَّلف، ونُقل عن أحمد بن حنبل في منسك المروذي التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في الدُّعاء ونهى عنه آخرون.﴿٢﴾

**ويقول في نفس الصفحة:**

وفي الجملة فقد نُقل عن بعض السَّلف، والعلماء، السؤال به﴿٣﴾ بخلاف دعاء الموتى

---

﴿١﴾ الدُّبَيلة هي خُرَاج ودُمَّل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالباً وهي تصغير دُبْلة وكُلُّ شيء جُمع فقد دُبِل والدُّبَيلة الداهية وهي مُصَغَّرة للتكبير يقال دَبَلَتْهم الدُّبيلة أي أَصابتهم الداهية. (لسان العرب)

﴿٢﴾ ومن الذي نهى عنه من علماء السَّلف بينوا لنا من هم (الآخرون) والقارئ يعلم تمام العلم حتى أتباع الشَّيخ ابن تيميَّة يعلمون أنَّه لو كان هناك (آخرون) لذكرهم ابن تيميَّة وعاد وزاد وأزبد وأرعد.

﴿٣﴾ أي: أنَّ بعض السَّلف والعلماء على حد قوله أجازوا السؤال بالنَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. فمن يا

والغائبين من الأنبياء... إلى آخر ما قال هناك.[١]

**وقال في (التَّوسُّل والوسيلة)**: والسُّؤال به (أي بالمخلوق) فهذا يجوِّزه طائفة من النَّاس، ونُقل في ذلك آثار عن بعض السَّلف، وهو موجود في دعاء كثير من النَّاس.[٢]

**وقال في الرَّد على الأخنائى:**

وهذا هو نصُّ عبارةِ أحمد بن حنبل فقال في منسك المروزي[٣] بعد كلام ما نصُّه: وسل الله حاجتك متوسَّلاً إليه بنبيِّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ تُقْضَ من الله "عَزَّ وَجَلَّ".[٤]

**تنبيه:** وبعد أن أقر ابن تيمية بوقوع التوسل من السَّلف الصَّالح ومنهم الإمام أحمد بن حنبل "رضي الله عنه" أنكر في موضع آخر من (الفتاوى) أن يكون أحد من السَّلف الصَّالح توسل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بالجاه والبركة فقال:

القسم الثالث: وهو أن يقول: الَّلهمَّ بجاه فلان عندك، أو ببركة فلان، أو بحرمة فلان عندك: افعل بي كذا وكذا. فهذا يفعله كثير من النَّاس، لكن لم ينقل عن أحد من الصَّحابة والتَّابعين، وسلف الأُمَّة أنهم كانوا يدعون بمثل هذا الدُّعاء، ولم يبلغني عن أحد من العلماء

---

تُرى أتباع السَّلف؟ أهم الذين يقولون أنَّ السؤال بالنَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ على أقل الأحوال ذريعة للشرك، أم هم الذين اقتدوا بالسَّلف في توسلهم بنبيهم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾.

﴿١﴾ الفتاوى لابن تيميَّة / ج١ / ص ٢٦٣

﴿٢﴾ التَّوسُّل والوسيلة لابن تيميَّة ص٦٥

﴿٣﴾ محمد بن نصر المروزى أبو عبد الله إمام فى الفقه والحديث ولد ببغداد ونشأ بنيسابور ثم استوطن سمرقند وتوفى بها له كتب كثيرة منها القسامة فى الفقة.

﴿٤﴾ الرَّد على الأخنائي لابن تيميَّة ص١٦٨

قلت: فماذا يقول من يدعي نهج طريق السَّلف الصَّالح في نقل الشَّيخ ابن تيميَّة أن السَّلف الصَّالح، ومعهم إمام أهل السُّنة الإمام أحمد "رضي الله عنهم جميعا" أنَّهم كانوا يستعملون هذا الدُّعاء، أأشرك هؤلاء السَّلف أم كفروا أم ماذا؟ أخبرونا من هم أتباع السَّلف ومن هم مخالفوهم.

وإن مال الشَّيخ ابن تيميَّة إلى رأي ابتدعه، وخالف به علماء السَّلف فهذا رأيه، فلم التعصب للشَّيخ ابن تيميَّة ومخالفة جمهور الأُمَّة من السَّلف والخلف، حتى وإن أدى رأيه هذا للطعن في علماء الأُمَّة؟ ما لكم كيف تحكمون.

في ذلك ما أحكيه، إلا ما رأيت في فتاوى الفقيه أبي محمد بن عبد السَّلام﴿١﴾. فإنَّه أفتى: أنه لا يجوز لأحد أن يفعل ذلك،﴿٢﴾ إلا للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ – إن صحَّ الحديث﴿٣﴾ في النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾..... الخ.

**تنبيه:** في كتاب [التَّوسُّل أنواعُه وأحكامُه] للشَّيخ الألباني بعد أن صال وجال في إنكار التَّوسُّل بالذَّات المُحمَّدية الشَّريفة، رجع فأقرَّ التَّوسُّل بالذَّات فقال:

**على أنَّني أقول:** لو صحَّ أنَّ الأعمى إنَّما توسَّل بذاته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيكون حُكما خاصًا به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لا يشاركُه فيه غيرُه من الأنبياء والصَّالحين، وإلحاقهم به ممَّا لا يقبله النَّظر الصَّحيح، لأنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ سيِّدهم وأفضلُهم جميعا، فيمكن أن يكون هذا ممَّا خصَّه الله به عليهم ككثير ممَّا صحَّ به الخبر، وبابُ الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات، فمن رأى﴿١﴾ أنَّ توسُّل الأعمى كان

---

﴿١﴾ هو: عز الدِّين بن عبد السَّلام بن أبى القاسم شيخ الإسلام ولد سنه ٥٧٧ هجرية وتوفي سنة ٦٦٠ هـ الأصول عن الآمدى والفقه عن ابن عساكر وقد انتهت إليه معرفه مذهب الشافعى بلغ مرتبة الاجتهاد ولقب بسلطان العلماء توفى بمصر. أنظر موسوعة الأعلام

﴿٢﴾ هذا تلبيس من الشَّيخ ابن تيمية لأنَّ سلطان العلماء يقصد الإقسام بالنّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لا التَّوسُّل به يقول الإمام القرافي: وأما التَّوسُّل ببعض مخلوقاته فجائز وأمَّا الإقسام على الله تعالى في الدُّعاء ببعض مخلوقاته كقوله يعني الدَّاعي (بحق محمَّد اغفر لنا) فخاصٌّ به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. ا. هـ

يعني إذا لاحظ الدَّاعي جعل(الباء) للقسم وإلا كان توسُّلا لا إقساما يشهد لذلك أمران الأول: قوله وأمَّا الإقسام إلى آخره. الثَّاني: ما ذكره العلاَّمة الشَّيخ علي الأجهوري في فتاويه من أنَّ العزَّ بن عبد السَّلام قال: إن صحَّ ما جاء في بعض الأحاديث من أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ علَّم بعض النَّاس الدُّعاء فقال له في أوله قل: (اللَّهمَّ إنِّي أقسم عليك بنبيِّك محمَّد نبيِّ الرَّحمة) فينبغي أن يكون مقصورًا عليه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأنَّه سيِّد ولد آدم وأن لا يقسم على الله بغيره من الأنبياء وغيرهم لأنَّهم ليسوا في درجته ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. ا .هـ

وخالفه ابن عرفة، واستدلَّ بما يدل له، بل إنَّما يدل لجواز التوسُّل ببعض المخلوقات وهو غير الإقسام وقد نبَّه على ذلك الحطَّاب. ا .هـ . أنظر (أنوار البروق في أنواع الفروق) للإمام القرافي.

﴿٣﴾ هو حديث الأعمى آنف الذِّكر وهو حديث صحيح.

﴿١﴾ جمهور الأمة رأوا ما توصلت إليه أخيرًا من التَّوسُّل بالذَّات المحمَّدية، فلم كان هذا العناد والاتهام بالشِّرك

بذاته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه كما نُقل عن الإمام أحمد والشَّيخ العزَّ بن عبد السَّلام "رحمهما الله تعالى". هذا هو الَّذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف والله الموفق للصَّواب.﴿٢﴾

**قلت:** ومن كلام الشَّيخ الألباني يتَّضح لنا:

١- إقرارُه بأنَّ الإمام الحجَّة سيِّدنا أحمد بن حنبل، ومعه سلطان العلماء العز بن عبد السَّلام أجازا التَّوسُّل.

٢- **قولُه:** أنَّ هذا النَّوع من التَّوسُّل وهو التَّوسُّل بالذَّات خصوصية لحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لا يشاركه فيها غيره من الأنبياء والصَّالحين.

ونحنُ نقول بنفس منهجهم: أين الدَّليل على ما تقولون من كتابٍ، أو سنَّةٍ، أو إجماعٍ، أو حتى قول إمامٍ واحدٍ من علماء السَّلف أنَّ التَّوسُّل بالذَّات خاصٌ بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دون سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين أو الصَّالحين.

٣- **قولـه:** فيمكن أن يكون هذا ممَّا خصَّه الله به عليهم أي (على الأنبياء) ككثير ممَّا صحَّ به الخبر وباب الخصُوصيات، لا تدخل فيه القياسات.

**نقول:** كيف تدَّعون أنَّ التَّوسُّل من أبواب العقيدة، والمتوسِّلون، أتوا باباً من أبواب الشِّرك، ثُمَّ تقول هنا بالظنِّ - والظنُّ لا يغني من الحقِّ شيئا - أنَّ هذا (يُمكن أن يُكون) خصوصية لسيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومن يسلِّم لكم أنَّ هذا من باب الخصُوصيات، وهذه كتب أهل العلم ممَّن ألفوا في الخصائص المُحمَّدية بين أيدينا، لم يذكروا أنَّ التَّوسُّل بالذَّات الشَّريفة من خصائصه.

وجمهور الأُمَّة المُحمَّدية وإجماعهم قام على مشروعيَّة التَّوسُّل بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وألحقوا به الأنبياء، والمرسلين، والصَّالحين، حيث لم يرد التخصيص، وأنت في أول كتابك أقررت أنَّ جمهور المسلمين من قرون طويلة يتوسَّلون فقُلتَ: وقد اعتاد

---

والضَّلال، هل هو مخافة الاتهام للإمام أحمد بالشِّرك، أم هو لقوة الدلائل والبراهين؟.

﴿٢﴾ التَّوسُّل أنواعه وأحكامه. للألباني ص٧٧

جمهورُ المسلمين منذُ قرونٍ طويلةٍ أن يقولوا في دعائهم مثلا: (اللَّهمَّ بحق نبيِّك أو بجاهه أو بقدْره عندك عافني واعف عنِّي) و (اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحقِّ البيت الحرام أن تغفر لي) و (اللَّهمَّ بجاه الأولياء والصَّالحين ومثل فلان وفلان.. ) أو (اللَّهمَّ بكرامة رجال الله عندك، وبجاه من نحن في حضرته، وتحت مدده، فرج الهمَّ عنَّا وعن المهمُومين) و (اللَّهمَّ إنَّا قد بسطنا إليك أكف الضراعة متوسِّلين إليك بصاحب الوسيلة والشَّفاعة أن تنصر الإسلام والمسلمين...).﴿١﴾

فأنت ومن قلَّدك "يرحمك الله" خالفت جُمهور المسلمين من قرون طويلة - (كما قلتَ) - ووصمتمُوهم بالشِّرك والبدعة، والضَّلالة، ولا يخفاك قول حبيبنا المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من حديث أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: قال رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: إذا سمعتم الرَّجُل يقولُ هلك النَّاس فهو أهلكهم.﴿٢﴾

**الشُّبهة الثانية:**

وهذه الشُّبهة تابعة للأُولى وهي قولهم:

إصرار الأعمى على الدُّعاء وهو قوله: (فادع) فهذا يقتضي أنَّ الرَّسول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دعا له لأنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ خير من وفىَّ بما وعد وقد وعده بالدُّعاء له إن شاء كما سبق، فقد شاء الدُّعاء وأصرَّ عليه، فإذنْ لا بد أنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دعا له فثبت المراد.﴿٣﴾

**قلت**: مستعينًا بالله وهو خير مُعين:

١- نسلِّم للشَّيخ الألباني مبدئيا﴿٤﴾ أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دعا لهذا الرَّجل الأعمى. وحقًا ما قال أنَّه بأُمي هو وأبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ خيرُ من وفيَّ بما

---

﴿١﴾ التَّوسُّل للألباني ص٦

﴿٢﴾ رواه مالك في الموطأ رقم (٦٠٩)، وأحمد (٢٧٢/٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٥٩)، ومسلم في صحيحه (٣٦/٨)، وأبو داود (٤٩٨٣)، جميعهم من حديث أبى هريرة.

﴿٣﴾ التَّوسُّل أنواعه وأحكامه للشَّيخ الألباني / ص٧١

﴿٤﴾ لا نسلم أن الأعمى شفي بدعائه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ فقط وإنما بدعائه وتوسل الأعمى به.

وعد.

**ولكن أقول:** من تتَّبع هدي المُصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيمن يَطلب منه الدُّعاء، يجد أنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مرةً يدعو مباشرةً إذا طُلب منه الدُّعاء ومن ذلك أحاديث كثيرة، منها على سبيل المثال دعائه للصحابية أم حرام بن ملحان وفيه: قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُول اللَّهِ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهمْ فَدَعَا لَهَا.﴿١﴾

ومرةً يُطْلب منه الدُّعاء ولا يدعو ومثاله أنَّه لم يدع للأنصاري: عن أبي هُرَيْرَةَ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَقُولُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي زُمْرَةٌ هِيَ سَبْعُونَ أَلْفًا تُضِيءُ وُجُوهُهُمْ إِضَاءَةَ الْقَمَرِ، فَقَامَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأسَدِيُّ يَرْفَعُ نَمِرَةً عَلَيْهِ قَالَ: ادْعُ اللَّهَ لِي يَا رَسُول اللَّهِ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ مِنْ الأنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقَالَ رَسُول اللَّهِ: سَبَقَكَ عُكَاشَةُ.﴿٢﴾

ومرةً يدعو ويأمر طالب الدُّعاء بعمل صالح ومثاله: عن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي سَلْ فَقُلْتُ أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ قُلْتُ هُوَ ذَاكَ قَالَ فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ.﴿٣﴾

**قلت:** وفي هذا الحديث نوعين من التَّوسُّل: التَّوسُّل بدُعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والتَّوسُّل بالعمل الصَّالح.

ومرةً يدعو لطالب الدُّعاء ويعلمه التَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومثاله حديث

---

﴿١﴾ رواه الإمام البخاري /ج١ / ص ٣٤٦ / رقم٩٧٤ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ أخرجه البخاري (٦٥٤٢) ، وابن منده في "الإيمان" (٩٧٠) ، والبغوي (٤٣٢٣) ، وأبو نعيم في "الحلية" ٨/١٨٤–١٨٥. وأخرجه مسلم (٢١٦) (٣٦٩) ، وأبو عوانة ١/١٤٠

﴿٣﴾ أخرجه مسلم (٤٨٩) (٢٢٦) قال السندي: قوله: "فأكثر السجود": قد جاء أنه اسودت جبهته وركبتاه من كثرة السجود.

هذا الباب وهو حديث الأعمى.

فقد دعا له النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على ما يُفهم من بعض طرق الحديث أنَّ الأعمى قال للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: فادعه.

وكذلك يُفهم من جميع طرق الحديث أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ علمه دُعاء فيه التَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو قوله: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لِتُقْضَى.

إذا فلا إشكال في الحديث سواء قلنا أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دعا له أم لم يدعو لأنَّ محل البحث هو في تعليم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للأعمى التَّوسُّل والتَّوجُّه به إلى الله تعالى. ولو كان المقصود دعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحده، فما هناك فائدة في تعليم الدُّعاء للأعمى، ودعاء نبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحده كافٍ بقدرة الله تعالى لردِّ البصر للأعمى.

ويوضح هذا المعنى رواية سيِّدنا كعب الأسلمي التي سأل فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مرافقته في الجنَّة، فأرشده إلى كثرة السُّجود مع دعائه له، وكان يكفي أن يدعو له بمرافقته في الجنَّة، ولكن أرشده إلى عملٍ صالحٍ يتوسَّل به إلى الله تعالى. مع دعائه له ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. فهل يُعقل أنَّ هذا الحديث خاصُ بسيِّدنا كعب الأسلمي، أم أنَّه عامٌ لجميع أمته إلى يوم القيامة، فكل من أكثر من صلاة النَّوافل بعد الفرائض فهو لا شك داخلٌ في هذا الحديث، ينالُ شرفَ مرافقة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وله حظ من دعائه.

وكذلك الدُّعاء الذي علمه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للأعمى عامٌ لجميع الأُمَّة وله حظٌ من دعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

٢- من خلال تتبُّعي لطرق حديث الأعمى وجدت أنَّ الإمام الحاكم في (المستدرك) روى هذا الحديث بأربعة طرق منها طريقين فيها قول الأعمى (فادعه).

والطريق الثَّالث طلب الأعمى من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ تعليمه دُعاء يدعو به يرُد الله به عليه بصره فقال الحاكم: أخبرنا حمزة بن العبَّاس العقبي ببغداد، ثنا العبَّاس بن محمد الدُّوري، ثنا عون بن عمارة البصري، ثنا روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي،

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف "رضي الله عنه"، أنَّ رجلاً ضريرَ البصر أتى النَّبيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، فقال: يا رَسُول الله، علِّمني دعاء أدعو به يرُد الله عليَّ بصري.

وهذه الرِّواية غفل أو تغافل الشَّيخُ الألباني عن ذكرها في كتابه (التَّوسُّل) وكذلك فعل مِنْ قبله الشَّيخ ابن تيميَّة في (التَّوسُّل والوسيلة) والرِّواية واضحة ليس فيها طلب الدُّعاء من النبَّي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهذا يهدم ما سبق من شُبهة المنكرين أنَّ توسُّل الأعمى كان بدعاء النَّبي فقط.

وممَّا يؤيد هذا ما رواه الحاكم بسنده: أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سهل الدَّباس بمكة من أصل كتابه، ثنا أبو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصائغ، ثنا أحمد بن شبيب بن سعيد الحبطي، حدثني أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني وهو الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، قال: سمعت رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وجاءه رجلٌ ضريرٌ، فشكا إليه ذهاب بصره فقال: يا رَسُول الله، ليس لي قائد، وقد شقَّ عليَّ.

وروي البيهقي في (دلائل النُّبوة) نفس هذا الطريق عن الإمام الحاكم.﴿١﴾

وهذه الرِّواية أيضًا خلت من طلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وإنَّما شكا الضَّريرُ له.

وكذلك يؤيد ما سبق أنَّ راوي الحديث سيِّدنا عثمان بن حنيف "رضي الله عنه" علَّم رجلاً في عهد سيِّدنا عثمان هذا الدُّعاء، فهو أعلم وأدرى من غيره بأنَّ هذا الدُّعاء لهذا الأعمى ولغيره. وكذلك ما فهمه حفَّاظ الأمَّة من تراجمهم لهذا الحديث على ما ذكرت لك سابقا، ولم أعلم أنَّ أحدًا من علماء الإسلام خصص هذا الحديث بالرَّجل الأعمى فقط غير الشَّيخ ابن تيميَّة ومن قلَّده. حتى الإمام التِّرمذي الَّذي ذُكر في روايته كلمة (فادعه) قال في كتابه العلل: جميعُ ما في هذا الكتاب من الحديث معمولٌ به وبه أخذ بعض أهل العلم ما خلا

---

﴿١﴾ دلائل النبوة للحافظ البيهقي (١٦٧/٦) (١٦٨/٦) دار الكتب العلمية – بيروت

حديثين[١]. ولم يذكر منهما هذا الحديث.

(وكذلك لم يَرِد في أيِّ طريق من طرق الرِّواية لهذا الحديث نصُ دعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لهذا الرَّجل.

إذًا أمام المنكرين خيارين: إمَّا أن يسلموا بأنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دعا لهذا الأعمى وعلَّمه دعاء يتوسَّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

وإمَّا أن يسلموا بأنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ علَّم هذا الرَّجل التَّوسُّل به ولم يدعو له.

وهذا ما ترشحه الرِّوايات التي جاءت خالية من طلب الأعمى الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**الشُّبهة الثَّالثة:**

وهي من الشُّبهات التي تُضْحك الثكلى[٢]:

قولُ ابن تيميَّة في (الفتاوى) وتبعه عبد العزيز بن باز في (فتاوى الَّلجنة الدَّائمة) والألباني في (التَّوسُّل أنواعُه وأحكامُه): لو كان السِّرُّ هو في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لكان كل من دعا به من العُميان مخلصًا إليه تعالى مُنيبًا إليه قد عوفي:

**وإليك ما قاله الألباني:**

ويؤيده أنَّه لو كان السِّرُّ هو في دعاء الأعمى وحده دون دعائه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لكان كل من دعا به من العُميان مُخلصًا إليه تعالى مُنيبًا إليه قد عوفي. بل على الأقل لعوفي واحدٌ منهم، وهذا ما لم يكن، ولعله لا يكون أبدا، كما أنَّه لو كان السِّر في شفاء الأعمى أنَّه تَوسَّل بجاه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وقدْره، وحقِّه، كما يَفْهَم عامةُ المُتأخرين، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشِّفاء لغيره من العُميان الَّذين يتوسَّلون بجاهه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بل ويضمُّون إليه أحيانًا جاه جميع الأنبياء والمرسلين،

---

﴿١﴾ نقلا عن الرد المحكم المتين للحافظ الغماري / ص١٥٣

﴿٢﴾ الثُّكْلُ: فقْدانُ الحَبِيبِ والوَلَدِ، ثَكِلَتْه أُمُّه فهيَ ثَكْلى. وأَثْكَلَتِ المَرْأةُ فهي مُثْكِلٌ

وكل الأولياء، والشَّهداء، والصَّالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة والإنس، والجنِّ أجمعين، ولم نعلم ولا نظنُّ أحدًا قد علم حصول مثل هذا خلال هذه القرون الطويلة بعد وفاته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلى اليوم.﴿١﴾

**قلت:** هذا نصُّ الشُّبهة التي تلقفوها عن الشَّيخ ابن تيميَّة ورددوها على ألسنتهم وسطروها في كتبهم، من غير روِّية ولا تفكر ولا تدبر.

وللرَّد على هذه الشُّبهة أقول ببركة سيِّدي رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

١- أول من ابتدع هذه القول هو الشَّيخ ابن تيميَّة، ولم يسبقه إلى هذا القول أحد من علماء الأُمَّة فيما أعلم، وتبع ابن تيميَّة على هذا القول حذو النَّعل بالنَّعل، من أُشْرِبَ حُبَّه وغالى في اقتفاء أثره، ولو كان هذا مما يُخالف الأئمة المُجتهدين.

٢- قد علمتَ ممَّا سبق آنفا أنَّ الشَّيخ الألباني أقر بالتَّوسُّل بذات المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: فمن رأى أنَّ توسل الأعمى كان بذاته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فعليه أن يقف عنده ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد، والشَّيخ العز بن عبد السَّلام﴿٢﴾ "رحمهما الله تعالى".

**قلت:** والذي رأى أنَّ الأعمى أبصر ببركة توسله بالرَّسول الكريم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ هم جُمهور الأُمَّة المُحمَّدية.

٣- **قوله:** بل على الأقل لعوفي واحد منهم، وهذا ما لم يكن، ولعله لا يكون أبدا.

**قلت:** "سبحان الله" وما الذي أدراك أنَّه لم يُعافى أحدٌ، وهل يلزم من عدم النَّقل عدم الوقوع، وكيف تقول (ولعله لا يكون) أطَّلعت على الغيب، مع أنَّ هذا الأمر في دائرة الإمكان لا دائرة المستحيل.

وحاصل الأمر أنَّ عدم توسُّل العُميان احتمال فقط لا يؤيده الدَّليل، وهم إمَّا توسَّلوا فاستُجيب لهم، أو تركوه رغبة في الأجر والثَّواب، أو توسَّلوا وادُّخِرَ لهم في الآخرة.

---

﴿١﴾ التَّوسُّل أنواعه وأحكامه للألباني ص ٧٥- ٧٦

﴿٢﴾ تقدم أن سلطان العلماء العز بن عبد السلام "رحمه الله تعالى" كان كلامه في الإقسام وليس في التوسل.

ولقد كان من هذا القسم من الصَّحابة "رضوان الله عليهم" سيِّدنا ابن أم مكتوم[١] وسيِّدنا عُمير بن عدي الخطمي إمام بني خطمة وقارئهم[٢]، وسيِّدنا عبد بن جحش بن رياب[٣]، وغيرهم، ولكنَّهم لم يتوسلوا بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم يطلبوا منه الدُّعاء أفيدُل ذلك على عدم مشروعيَّة التَّوسُّل؟.

كما أنَّ منهم من طلب من سيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أن يُردَّ عليه بصره كسيِّدنا قتادة بن النُّعمان "رضي الله عنه" فعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن أبيه عن جده قتادة ابن النُّعمان: أنه أصيبت عينه يوم بدر فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها، فسألوا النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: لا. فدعا به فغمز عينيه براحته) فكان لا يدري أي عينيه أصيبت.[٤]

والملاحظ في هذا أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لم يعلمه دعاء يقوله بل رُدَّ عليه

---

﴿١﴾ هو الصحابي الجليل: عمرو . وقيل: عبد الله . بن قيس بن زائدة بن الأصم القرشي، وأم مكتوم، أمه وهي: عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة. أسلم قديمًا بمكة وكان من المهاجرين الأولين إلى المدينة قبل قدوم النَّبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليها ، وكان النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يستخلفه على المدينة يصلي بالنَّاس في عامة غزواته، وشهد القادسية، واستشهد بها وكان معه اللواء، وقيل: بل رجع للمدينة فمات بها. انظر: الإصابة (٢ / ٥٢٣ ، ٥٢٤) ، (ترجمة ٥٧٦٤) .

﴿٢﴾ عمير بن عدي الخطمي إمام بني خطمة وقارئهم الأعمى، ورُوى عدي بن عمير. فإن كان الذي روى عنه زيد بن إسحاق فهو الذي قتل أخته لشتمها رَسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أبعدها الله. قال أبو عمر: هما عندي واحد. قال ابن الدباغ: هو عمير بن عدي بن خرشة بن أمية بن عامر بن خطمة شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وكان ضعيف البصر وقد حفظ طائفةً من القرآن فسمي بالقارئ وكان يؤم بني خطمة هذا قول ابن القداح. أنظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ ابن عبد البر/ حرف العين

﴿٣﴾ أبو أحمد بن جحش الأعمى اسمه عبد بن جحش بن رياب بن يعمر الأسدي. أمه وأم أخيه عبد الله بن جحش بن رياب المجدع في الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رَسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. وقيل اسمه ثمامة ولا يصح. والصحيح في اسمه عبد وكان أبو أحمد هذا شاعراً. أنظر ترجمته في الاستيعاب في معرفة الأصحاب للحافظ ابن عبد البر/ باب الكنى / حرف الألف

﴿٤﴾ بداية السول في تفضيل الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للشَّيخ العلاَّمة العزِّ بن عبد السَّلام بتحقيق الشَّيخ الألباني / ص٤١/ الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت / وقال الألباني: صحيح بتعدد طرقه

بصره بقدرة الله معجزة لسيِّدنا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

والحاصل أنَّ مكفوفي البصر من السَّادة الصَّحابة على أقسام ثلاثة:

١- منهم من طلب من النَّبي الدُّعاء له في ردِّ بصره فعلمه النَّبي دعاء فيه التَّوسُّل به.

٢- ومنهم مَنْ لم يطلب من النَّبي الدُّعاء في ردِّ بصره ولم يَرِد أنَّهم توسلوا به.

٣- ومنهم مَنْ طلب من النَّبي ردَّ بصره فردَّها معجزة.

فإن قلتم أنَّ ترك التَّوسُّل من مكفوفي البصر من السَّادة الصَّحابة "رضي الله عنهم"، دليلٌ على عدم مشروعيَّة التَّوسُّل كما تزعمون.

نقول لكم: إذا يلزم من قولكم هذا أنَّ الصَّحابة الَّذين لم يطلبوا من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الدُّعاء لهُم في ردِّ بصرهم في حياته، ما كانوا يعتقدون في مشروعيَّة طلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحاشاهم من ذلك الاعتقاد "رضي الله عنهم" فإن أجبتم: بأنَّهم تركوا طلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ رجاء المثُوبة من الله تعالى لقول ربِّ العزَّة في الحديث القُدسيِّ فيما أخرجه التِّرمذيُّ من حديث أبي هريرة رفعه إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال: يقول الله "عزَّ وجلَّ": مَنْ أذْهبتُ حبيبتيه فصَبر واحتسَب، لم أرض له ثوابًا دُون الجنة.

وفي الباب عن عرباض بن سارية قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.﴿١﴾

ولن تقولوا غير هذا، إذاً أجبتم على شُبهتكم بأنفسكم.

٤- ألم تعلم أنَّ الدُّعاء له شروط وآدابٌ لا بد من توافرها، وأنَّ الإجابة خاصة بالله العلى القدير، وهل كل داع يجب على الله تعالى استجابة دعائه؟ "سبحانه" ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾.﴿٢﴾

٥- **قُلْ لي بربِّك:** أيقولُ كلُّ من دعا الله "تَبَارَكَ وَتَعَالَى" ولم يُستجبْ له، لِمَ لمْ يُستَجبْ

---

﴿١﴾ صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤٠١/٥)

﴿٢﴾ سورة الأنبياء: ٢٣

لي وقد قال الله تعالى في كتابه﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾.﴿١﴾

وكم من داعٍ توسَّل لله بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا، أو تَوسَّل بعمله الصَّالح، أو بدعاء رجُلٍ صَالحٍ، ولم يُستجبْ له. أيلزم من ذلك عدم مشروعيَّة هذه الوسائل الشَّرعيَّة؟

٦- ولو كان الأمر كما تظنُّون لبطل العمل بكثير من الأدعيَّة النَّبوية، التي وعد النَّبيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قائلها بتفريج كَربٍ أو بلاءٍ أو شفاء مريض....الخ.

هذا وممَّا سبق يتضح لكل من كان له عقل، أنَّ هذه الشُّبهة التي أثارها المنكرون لا تدل إلا على الإفلاس الفكري، والتَّخبط القلبي، وليعذرني القارئ في التطويل على الرَّد على هذه الشُّبهة نظرًا لأنَّني وجدت أنَّ كل من تعصبَّ للشَّيخ ابن تيميَّة وقلَّده ذكر هذه الشُّبهة وكأنَّها من الدَّلائل المُسكتة القاطعة، ومع أنَّها كما رأيتَ شُبهة داحضة، وتشغيبُ وتهويلُ، وتلبيس. من غير فائدة.

**أخي القارئ:** وبعدَ أن فرغتُ من الرَّدِّ على أهمِّ الشُّبه التي أثارها المنكرون أذكر لك بقية دلائل التوسُّل بالذَّات المُحمَّدية.

**٢- ومن التَّوسُّل بالذَّات الاستسقاء بوجه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن دينار عن أبيه قال: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ للأرَامِلِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ حَمْزَةَ حَدَّثَنَا سَالِمٌ عَنْ أَبِيهِ رُبَّمَا ذَكَرْتُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَسْتَسْقِي فَمَا يَنْزِلُ حَتَّى يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأرَامِلِ

وَهُوَ قَوْلُ أَبِي طَالِبٍ.﴿٢﴾

**قلت:** والشَّاهد هنا هو قول أبي طالب:

---

﴿١﴾ سورة غافر: ٦٠

﴿٢﴾ فتح الباري ج٢ / ص٤٩٤

وَأَبْـيَضَ يُسْتَسْـقَى الْغَمَـامُ بِوَجْهِـهِ ثِمَـالُ الْيَتَـامَى عِصْـمَةٌ لِلْأَرَامِـلِ

فهذا توسُّلٌ صريحٌ بالذَّات المُحمَّدية، حيث أنَّ الوجه في اللُّغة العربيَّة، من معانيه أنَّه يطلق على الذَّات، وعلى الوجاهة، والمكانة، وهنا أطلق الجزء وأراد به الكل ومثال ذلك كما جاء في القرآن كقوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ﴾[١] فالمقصود هنا تولية الذَّات لا تولية الوجه فقط.

وهذا البيتُ المتقدم من قصيدة بليغة وطويلة لأبي طالبٍ، ذكرها ابن هشام في السِّيرة وكان سيِّدنا عبد الله ابن عمر "رضي الله عنهما" يتمثل ببيت منها، بل وطلب الرَّسُولُ إنشاده:

فقد ذكر العلاَّمة ابن حجر في الفتح فقال: مَا أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "الدَّلائِل" مِنْ رِوَايَة مُسْلِم الْمُلائِيّ عَنْ أَنَس قَالَ: "جَاءَ رَجُل أَعْرَابِيّ إِلَى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، أَتَيْنَاك وَمَا لَنَا بَعِير يَئِطّ، وَلا صَبِيّ يَغِطّ. ثُمَّ أَنْشَدَهُ شِعْرًا يَقُول فِيهِ:

وَلَيْسَ لَنَا إِلاَّ إِلَيْك فِرَارنَا وَأَيْنَ فِرَار النَّاس إِلاَّ إِلَى الرُّسُل

فَقَامَ يَجُرّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَر فَقَالَ: " اللَّهمَّ اِسْقِنَا "....الْحَدِيث.

وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: لَوْ كَانَ أَبُو طَالِب حَيًّا لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ. مَنْ يَنْشُدنَا قَوْله؟ فَقَامَ عَلِيّ فَقَالَ: يَا رَسُول اللَّه، كَأَنَّك أَرَدْت قَوْله: " وَأَبْيَض يَسْتَسْقِي الْغَمَام بِوَجْهِهِ " ........الأَبْيَات.[٢]

فهذا إقرارٌ من رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بصحَّة قول أبي طالب، ولا تفسير هنا للوجه إلا ذاته الشَّريفة، أو جاهه ومكانته وقدره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**قلتُ**: من مجمُوع ما سبق يتَّضح لكل ذي لبٍّ مشروعيَّة التَّوسُّل بالذَّات المُحمَّدية

---

﴿١﴾ سورة البقرة: ١٤٤

﴿٢﴾ فتح الباري / ج ٢ / ص ٤٩٥ / ط دار المعرفة – بيروت

وقال الحافظ ابن حجر بعد هذا الحديث في الفتح (٢ / ٤٩٥): وإسناد حديث أنس وإن كان فيه ضعف لكنه يصلح للمتابعة. ا.هـ

الشَّريفة وبحقه الشَّريف، وقدْره المنيف، وضَعْف ما ذهب إليه المُنكرون، وما أثاروه من شُبَهٍ داحضة، وحيل عقيمة، ومشاغبات خاسرة، وتبيَّن لك أخي القارئ ممَّا سبق مدى التَّخبط الفكري، وهم يحاولون بشتَّى الوسائل والحِيَل صرف النُّصُوص عن ظاهرها وتأويلها بأوجه بعيدة. لا تثبت أمام النقد العلمي.

وَصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا مُحمَّد وعلىٰ آل سيِّدنا مُحمَّد

## التَّوسُّلُ بحقِّ الأنبياء والمُرسلين

١- أخرج الطَّبراني في الكبير والأوسط قال: عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ، قَالَ: لَمَّا مَاتَتْ فَاطِمَةُ بنتُ أَسَدِ بن هَاشِمٍ أُمُّ عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ، دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهَا، فَقَالَ:رَحِمَكِ اللَّهُ يَا أُمِّي، كُنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي، وتُشْبِعِينِي وتَعْرَيْنَ، وتُكْسِينِي، وتَمْنَعِين نَفْسَكِ طَيِّبًا، وتُطْعِمِينِي تُرِيدِينَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُغَسَّلَ ثَلاثًا، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ الَّذِي فِيهِ الْكَافُورُ سَكَبَهُ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بِيَدِهِ، ثُمَّ خَلَعَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قَمِيصَهُ، فَأَلْبَسَهَا إِيَّاهُ وَكَفَّنَهَا بِبُرْدٍ فَوْقَهُ، ثُمَّ دَعَا رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، وَأَبَا أَيُّوبَ الأَنْصَارِيَّ، وَعُمَرَ بن الْخَطَّابِ، وَغُلامًا أَسْوَدَ يَحْفُرُونَ فَحَفَرُوا قَبْرَهَا، فَلَمَّا بَلَغُوا اللَّحْدَ حَفَرَهُ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بِيَدِهِ، وَأَخْرَجَ تُرَابَهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ دَخَلَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: فَاضْطَجَعَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ:اللَّهُ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، اغْفِرْ لأُمِّي فَاطِمَةَ بنتِ أَسَدٍ، ولَقِّنْهَا حُجَّتَها، وَوَسِّعْ عَلَيْهَا مُدْخَلَهَا، بِحَقِّ نبيِّك وَالأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِي، فَإِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَكَبَّرَ عَلَيْهَا أَرْبَعًا وأَدْخَلُوها اللَّحْدَ هُوَ وَالْعَبَّاسُ، وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.﴿١﴾

---

﴿١﴾ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ( ٩/ ٢٥٧): رواه الطَّبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح وثقة ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح. اهـ

والحديث في سنده [روح بن صلاح المصرى ويقال له ابن سيابة يكني أبا الحارث] اختلف فيه:

ذكره ابن حبان في الثقات (٢٤٤/٨ )، وقال عنه الإمام الحاكم في سؤالات السجزي: ثقة مأمون. وروى عنه يعقوب بن سفيان الفسوي في المعرفة والتاريخ (٤٠٦/٣) فهو ثقة عنده، قال الفسوي (التهذيب: ١١ /٣٧٨): كتبت عن ألف شيخ وكسر كلهم ثقات. اهـ.

أمَّا من جرَّح (روح بن صلاح) فلم يذكر سبب جرحه ولم يفسره:

ففي (المؤتلف والمختلف) للدارقطني (١٣٧٧/٣ ) قال: روح بن صلاح بن سيابه، يروي عن ابن لهيعة وعن الثوري وغيرهما كان ضعيفاً في الحديث سكن مصر. اهـ.

ومثله لابن ماكولا في الإكمال (١٥/٥) وابن عدي في الكامل (١٠٠٥/٣).

وهذا جرح مبهم، غير مفسَّر، فيُرد في مقابل التعديل المذكور قبله كما هو مقرر.

**والشَّاهد:** أنَّ الرَّسُول الأكرم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ توسَّل إلى الله بحقِّه عند ربِّه، وبحقِّ الأنبياء السَّابقين، وفي الحديث أيضًا التَّوسُّل بالأنبياء والمُرسلين، بع انتقالهم إلى الرَّفيق الأعلى، وفيه التَّبرُّك بقميص الرَّسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الذي باشر أشرف ذات في الوجود؟.

٢- أخرج ابن ماجة من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلاة فَقَالَ: اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا، وَلا بَطَرًا، وَلا رِيَاءً، وَلا سُمْعَةً وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنْ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ.﴿١﴾

**قُلتُ:** والشَّاهد من الحديث هو قول النَّبيِّ المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: (اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ). وهو توسُّل بحق السَّائلين الله "سُبْحُانَه وَتَعَالَى" بجَاهِهم وقدْرهم ومكانتهم والحقُّ هنا (تفضلٌ من الله ومنَّةٌ على عباده بالإجابة، لا حقَّ وجُوبٍ عليه سُبْحَانه).

يقول العلاَّمة ابن عِلاَّن في شرح (الأذكار) معلقاً على هذا الحديث:

---

قال الشَّيخ الحافظ الغماري في [إتحاف الأذكياء] ص٢٠: وروح هذا ضعفه خفيف عند من ضعفه، كما يُستفاد من عباراتهم، ولذا عبَّر الحافظ الهيثمي بما يفيد خفة الضعف كما لا يخفى على من مارس كتب الفن. فالحديث لا يقل عن رتبة الحسن بل هو على شرط ابن حبان صحيح.

﴿١﴾ رواه ابن ماجة في سننه / ج١ / ص٢٥٦ / والإمام أحمد في المسند (٢١/٣)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (١٨/١٧)، والبيهقي في كتاب الدعوات (ص٤٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (ج٧ / ص٢٩) وابن السني في عمل اليوم والليلة (ص٤٠)، والطَّبراني في كتاب الدُّعاء (٢/ ٩٩٠). ا.هـ

وحسَّنه جمع من الحفَّاظ منهم الحافظ الدِّمياطي في (المتجر الرَّابح في ثواب العمل الصَّالح) (ص٤٧١_٤٧٢)، والحافظ أبو الحسن المقدسي شيخ الحافظ المنذري كما في التَّرغيب والتَّرهيب (٢٧٣/٣)، والحافظ العراقي في تخريج أحاديث الحياء (٢٩١/١)، والحافظ بن حجر العسقلاني في أمالي الأذكار (٢٧٢/١)، وقال الحافظ البوصيري في مصباح الزُّجاجة (٩٩/١): لكن رواه ابن خزيمة في صحيحه من طريق فضيل بن مرزوق، فهو صحيح عنده. ا.هـ

فيه التَّوسُّل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السَّائلين، ومثلهم بالأولى الأنبياء والمرسلون.﴿١﴾

**مِمَّا سبق أخي الحَبيب:**

يتَّضحُ لكُل مُنصفٍ عاقلٍ، أنَّ التَّوسُّل بالأنبياء والمُرسلين، سواءٌ كان بدعائهم، أو بذواتهم الشَّريفة، أو بحقِّهم، أو بمكانتهم، وقَدْرهم، وعلوِّ شأنهم، جاءت به الدَّلائل السَّاطعة من سُنة المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، ولقوة هذه الدَّلائل البيِّنة، والبراهين النيِّرة، اضطَّرب الشَّيخ ابن تيميَّة ومن تبعه، وتناقضوا في أقوالهم فمرَّةً ينقُلون عن السَّلف الصَّالح ومنهم الإمام أحمد، توسَّلهم برسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومرَّةً يتَّهمُون كلَّ متوسِّل بالشِّرك والضَّلال، ومرةً ينفُون أشدَّ النَّفي التَّوسُّل بالذَّات، ويرمُون كلَّ مَنْ تَوسَّل بالذَّات المُحمَّدية بالزَّيغ عن الحقِّ، والابتداع في دين الله. ومرَّةً يُقرُّون التَّوسُّل بالذَّات لكن يخصُّونه بسيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كما فعل الألباني، ومرَّةً يقولون أنَّ التَّوسُّل مكروه، ومرَّةً يقولون أنَّه وسيلة للشِّرك.

وَصلَّىٰ الله علىٰ سيِّدنا مُحمَّد وعلىٰ آل سيِّدنا مُحمَّد

---

﴿١﴾ شرح الأذكار لابن علان ج٢ ص٢٩

# التَّبرك بالآثار المُحمَّدية الشَّريفة في حياته

لاشك أنَّ الأسباب غير فاعلة ومؤثِّرة بذاتها، وهو ما نعتقده اعتقاداً جازماً لا ريب فيه وأنَّ الفاعل على الحقيقة هو الله "عزَّ وجلَّ"، ولكن اقتضت حكمة الله تعالى في خلق بعض الأسرار في الأسباب، إما بالسَّلب أو الإيجاب، كما هو مشاهدٌ ومعروفٌ.

ولقد ذكر الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" ذلك في قصة موسى السَّامري، الَّذي قبض قبضة من أثر الرَّسُول ونبذها في العجل فدَّبت فيه الحياة، وأصبح له خُوار، فقال الله تعالى ﴿ **قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى**﴾.﴿١﴾ فما هو هذا الأثر الَّذي فعل به السَّامري ما فعل؟

**يقول الإمام الطبري في تفسيره:**

وقوله ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ**﴾ يقول قبضت قبضة من أثر حافر فرس جَبْرَئيل﴿٢﴾، وبنحو الَّذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

عن ابن عبَّاس قال: لما قذَفت بنُو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النَّار وتكسَّرت، ورأى السَّامري أثر فرس جَبْرَئيل "عليه السَّلام"، فأخذ ترابًا من أثر حافره، ثُمَّ أقبل إلى النَّار فقذفه فيها وقال: كن عجلاً جسدًا له خوار، فكان للبلاء والفتنة.

وذُكر عن ابن عباس قال: قبض قبضة منه من أثر جَبْرَئيل: فألقى القبضة على حليِّهم فصار عجلاً جسدًا له خوار.﴿٣﴾

---

﴿١﴾ سورة طه: ٩٦

﴿٢﴾ وجَبْرَئِيلُ اسمٌ يقال هو: جبر أضِيف إلى إيل، وفيه لغات: جَبْرَئِيل بوزن جَبْرَعِيل، يُهْمَز ولا يُهْمَز وجَبْرَئِل بوزن جَبْرَعِل، وجِبْرِيل بكسر الجيم، وجَبْرِين بفتح الجيم وكسرها. جبرئل وجبريل وجبرِين بفتح الجيم وكسرها.

﴿٣﴾ تفسير الطبري / ج١٦ / ص ٢٠٥/ ط دار الفكر – بيروت

**قُلتُ:** تدبَّر ما ذُكر عن حبر الأُمَّة وتُرجمان القرآن سيِّدنا عبد الله بن عبَّاس "رضي الله عنهما" فهذا سرٌّ خلقه الله تعالى في أثر حافر فرس سيِّدنا جبريل "عليه السَّلام"، أو أثر سيِّدنا حبريل، ولاشك أنَّ السِّرَّ في سيِّدنا جبريل "عليه السَّلام"، لا في الفرس كما عبَّر القرآن الكريم ﴿**فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ**﴾ فهذا تأثير الأثر بإذن الله تعالى.

فهذه حِفنةٌ من تُراب قبضها السَّامري من تحت فرس أمين الوحي جبريل "عليه السَّلام" وفعل بها ما فعل بإذن الوَّهاب. فما بالك إذا كان هذا الأثر أثر إمام الوُجود ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

ولقد ذكر لنا القرآن الكريم أعظم شاهدٍ على تكريم آثار الأنبياء، والحِفَّاظ عليها متمثلا ذلك في مقام الخليل "عليه السَّلام"، قال الله تعالى مُبينًا أهميَّة هذا الأثر العظيم ﴿**فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ**﴾[١] بل من السُّنة أن تصلي عند هذا الأثر العظيم ركعتين وأنزل الله تعالى قرآنا يتلى إلى يوم القيامة فقال ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ**﴾.[٢] ما هو هذا الأثر الذي كرَّمه الله تعالى، بأن جعله آية من آيات المسجد الحرام، والَّذي شُرع لنا الصَّلاة عنده؟ هذا الأثر هو عبارة عن حجر فيه أثر قدم الخليل "عليه الصَّلاة والسَّلام"، يُذكِّر المُوحِّدين إلى أن تقوم السَّاعة، بمن رفع القواعد من البيت الحرام، أول بيت وضع للنَّاس، وقبلة المُوحِّدين، وهذا ما ذكره عامَّة المفسِّرين لكتاب الله تعالى.

ولقد ذكرنا لك أيها القارئ الكريم كيف كانت الأمم السَّابقة يتوسَّلون بآثار أنبيائهم وسجَّل ذلك القرآن الكريم في شأن التَّابوت، وفي شأن قميص سيِّدنا يوسُف عليه السَّلام ولاشكَّ ولا مريَّة عند العقلاء، أنَّ التَّوسُّل والتَّبرك بآثار سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أولى وأجْدَر، لأنَّه سيِّدُ الخلق على الإطلاق، وما خلق الله خلقًا أكرم عليه من نبيِّنا ﴿صلَّى الله

---

﴿١﴾ سورة آل عمران:٩٧

﴿٢﴾ سورة البقرة:١٢٥

عليه وآله وسلَّم﴾، ولقد ذكر لنا أهل الحديث والسيرة، ما يفوق الحصر والعدَّ من دلائل على مشروعيَّة واستحباب التَّبرك بآثار نبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وسوف ترى أيَّها القارئ أنَّ الصحابة وهم أولياء الأُمَّة، أصحاب المقامات العالية وهم خير من عرفوا التوحيد تبركوا بآثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ سواء كان بذاته أو بعرقه، أو بثيابه، أو بفضل ماء وضوئه، أو بريقه، أوبنخامته أو بدمه الطَّاهر، أو بما مسَّه فمه الشَّريف، أو بشعره الشَّريف، أو بالأماكن التي صلَّى فيها أو مَرَّ بها، أو جلس عندها، ولقد وردت بذلك الأحاديث الصَّحيحة، والآثار المقبولة التي تناقلها أئمَّة الحديث والسِّيرة والتَّفسير، ولا ينكرها إلا من عميت بصيرته، وران على قلبه، وضلَّ فكره في بيداء الجَهالة.

وهذا بعض ما ورد في التَّبرك بالذَّات المُحمَّدية، وآثاره الشَّريفة، في حياته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**١- التَّبرك بنُخَامة الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبفضل ماء وضوءه:**

أخرج البخاري في صحيحه (باب الشُّروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشُّروط) وفيه: ثُمَّ إِنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بِعَيْنَيْهِ قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ﴿١﴾.

**قُلتُ:** أنظر أيها المُحبُّ إلى الصَّحابة "رضي الله عنهم وأرضاهم" وهم سادة أولياء هذه

---

﴿١﴾ البخاري /ج ٢ / ص ٩٧٦/ رقم ٢٥٨١ / ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

الأُمَّة، ما تنخَّم سيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلا واجتهد صحابته الكرام "رضي الله عنهم" أن تقع هذه النُّخامة التي خرجت من أشرف ذات، في كف واحدٍ منهم يدلك بها جسده رجاء بركة سيِّد السَّادة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

وانظر إلى سادتنا وهم يقتتلون على فضل ماء وضُوء سيِّد الأولين والآخرين، تخيَّل يا محبُّ هذا المشهد الرَّائع العظيم، أي إجلال هذا؟ أيُّ حبٍ هذا؟ أيُّ تقديرٍ هذا؟ أيتطرق الشَّك في قلب أي مسلم أنَّ أولياء الأُمَّة يغالون في محبتهم، وتقديرهم لسيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾؟

**٢- التَّبرك بماء غسل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ به وجهه ويديه ومجَّ فيه:**

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي موسى "رضي الله عنه" قال: كُنْتُ عِنْدَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وَهُوَ نَازِلٌ بِالْجِعْرَانَةِ﴿١﴾ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ بِلالٌ فَأَتَى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: أَلا تُنْجِزُ لِي مَا وَعَدْتَنِي. فَقَالَ لَهُ أَبْشِرْ: فَقَالَ: قَدْ أَكْثَرْتَ عَلَيَّ مِنْ أَبْشِرْ، فَأَقْبَلَ عَلَى أَبِي مُوسَى وَبِلالٍ كَهَيْئَةِ الْغَضْبَانِ. فَقَالَ: رَدَّ الْبُشْرَى فَاقْبَلا أَنْتُمَا. قَالا: قَبِلْنَا. ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ فِيهِ مَاءٌ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ، وَوَجْهَهُ فِيهِ، وَمَجَّ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: اشْرَبَا مِنْهُ وَأَفْرِغَا عَلَى وُجُوهِكُمَا وَنُحُورِكُمَا وَأَبْشِرَا، فَأَخَذَا الْقَدَحَ فَفَعَلا. فَنَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ: أَنْ أَفْضِلا لأُمِّكُمَا فَأَفْضَلا لَهَا مِنْهُ طَائِفَةً.﴿٢﴾

**قلت**: أليس الشَّاهد في هذا الحديث الشَّريف أوضح من الشَّمس في ضُحاها، فسيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يُرشد هذين الصَّحابيِّين بالتَّبرك بماء غسل فيه سيِّدنا يديه ووجهه ومجَّ فيه، وأن يُفرِغا من هذا الماء المبارك على وجوههما ونحورهما فسارعا إلى ما أمرهم به حبيبُهم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وتدَّبر أخي الحبيب وتخيَّل هذا المشهد الرَّائع من أمِّ المؤمنين سيِّدتنا أمّ سلمة "رضي الله عنها" وهي تحرص كل الحرص على

---

﴿١﴾ الجعرانة: موضع على سبعة أميال من مكة إلى الطائف.

﴿٢﴾ البخاري /ج ٤ / ص١٥٧٣/ رقم٤٠٧٣/ ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

وأخرج هذا الحديث الإمام ابن حبان في صحيحه، وترجم له بقوله (ذكر ما يستحب للمرء التَّبرك بالصَّالحين وأشباههم) / ج٢ / ص ٣١٨ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

التَّبرك من هذا الماء المُبارك، وهي تقول لسيِّدنا أبي موسى وسيِّدنا بلال من وراء السِّتر (أفضلا لأمِّكما فأفضلا لها منه طائفة).

**٣- التَّبرك بفضل ماء وضُوء رَسُول الله:**

أخرج الإمام ابن حبان في صحيحه، وترجم له بقوله [ذكر إباحة التَّبرك بوضوء الصَّالحين من أهل العلم، إذا كانوا متَّبعين لسُنن المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دون أهل البدع منهم] عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في قبُّةٍ حمراء ورأيت بلالاً أخرج وضوءه، فرأيت النَّاس يبتدرون وضوءه يتمسَّحون، قال ثُمَّ أخرج بلال عَنَزة﴿١﴾ فركزها، ثُمَّ خرج رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حُلةٍ حَمْراء سِيَرَاء﴿٢﴾ فصلى إليها، والنَّاس والدَّواب يمرُّون بين يديه.﴿٣﴾

**والشَّاهد:** حرص الصَّحابة الكرام "رضوان الله عليهم جميعا" على التَّبرك بفضل ماء وضوء سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وإقرار الرَّسُول بذلك وانظر إلى فقه الإمام ابن حبان في ترجمته لهذا الحديث جعلني الله وإياكم من المحبين لأهل العلم والمتبعين لسيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأعاذنا وإياكم من أهل البدع.

**٤- التَّبرك بشُرب دمه الذَّكي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

ذكر العلاَّمة الهيثمي عن عبد الله بن الزُّبير: أنه أتى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو يحتجم، فلما فرغ قال يا عبد الله: اذهب بهذا الدَّم فأهْرِيقَه حيث لا يراه أحد فلما برزت عن رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عمدتُ إلى الدَّم فحسَوتُه﴿٤﴾، فلمَّا رجعت إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال ما صَنعتَ يا عبدَ الله؟ قال: جعلته في مكان ظننت أنه خافٍ عن النَّاس. قال: فلعلك شربته؟ قال: نعم. قال: ومَنَ أمرك أن تشرب الدَّم، ويلٌ لك

---

﴿١﴾ الْعَنَزَةُ ) شَبِيهُ الْعُكَّازَة.

﴿٢﴾ حُلَّة مُسَيَّرَةٌ أي فيها خطوط من إبْرَيْسَمٍ كالسُّيُورِ والسِّيَرَاءُ ضَرْبٌ من النَّبْتِ.

﴿٣﴾ صحيح ابن حبان / ج ٤ /ص ٨٢ / ط مؤسسة الرسالة - بيروت

﴿٤﴾ الحَسْوُ الفعل، يقال حسا يَحْسو حَسْواً، والشيء الذي يُحْسَى اسمه الحَسَاءُ ممدود. والحسْوَةُ مِلْءُ الفَمِ. ويقال اتخذو له حَسِيَّةً. والحُسْوَةُ الشيء القليل منه.

من النَّاس وويلٌ للنَّاس منك. رواه الطَّبراني والبَّزار باختصار ورجال البَّزار رجال الصَّحيح، غير هنيد بن القاسم وهو ثقة.

وعن سفينة قال: احتجم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال خذ هذا الدَّم فادفنه من الدَّواب، والطَّير، والنَّاس، فتغيَّبت فشربتُه، ثُمَّ ذكرت ذلك له فضحك.

رواه الطَّبراني، والبَّزار، باختصار الضَّحك ورجال الطَّبراني ثقات.

وعن أبي سعيد الخدري أنَّ أباه مالك بن سنان لما أُصيب رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في وجهه يوم أحد مصَّ دمَ رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وازْدَرَدَه﴿١﴾ فقيل له أتشرب الدَّم؟ فقال نعم أشرب دم رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ خالط دمي دمه، لا تمسه النَّار.

رواه الطَّبراني في الأوسط، ولم أر في إسناده من أُجْمِع على ضعفه.﴿٢﴾

**والشَّاهد:** هو شربُ الصَّحابة دمَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من فرط حُبِّهم وتقديرهم، تبرُّكا به، وتوسُّلاً به إلى الله أن يجيرهم من النَّار، لأنَّ في جوفهم دم الحبيب المحبوب، وانظر إلى شهادة الرَّسُول الأعظم لمالك بن سنان "رضي الله عنه: بالجنَّة لحُسن اعتقاده، وحبِّه للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وفي الحديث كذلك: امتثال الأدب أولى من امتثال الأمر.

**٥- التَّبرك بشعره الشَّريف ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

روي مسلم في صحيحه من حديث سيِّدنا أنس بن مالك فقال: أَنَّ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَتَى مِنًى فَأَتَى الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاقِ: خُذْ وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأيْمَنِ، ثُمَّ الأيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاس.

و حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَابْنُ نُمَيْرٍ، وَأَبُو كُرَيْبٍ، قَالُوا: أَخْبَرَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ عَنْ هِشَامٍ بِهَذَا الإِسْنَادِ، أَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ فِي رِوَايَتِهِ لِلْحَلاقِ: هَا وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الْجَانِبِ

---

﴿١﴾ إبتلعه وشربه.

﴿٢﴾ أنظر مجمع الزوائد للهيثمي ج٨ / ص٢٧٠

الْأَيْمَنِ هَكَذَا، فَقَسَمَ شَعَرَهُ بَيْنَ مَنْ يَلِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْحَلاقِ وَإِلَى الْجَانِبِ الأيْسَرِ فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّ سُلَيْمٍ، وَأَمَّا فِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ قَالَ: فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ فَوَزَّعَهُ الشَّعرةَ وَالشَّعرتَيْنِ بَيْنَ النَّاس، ثُمَّ قَالَ بِالأيْسَرِ فَصَنَعَ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: هَا هُنَا أَبُو طَلْحَةَ فَدَفَعَهُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ.﴿١﴾

**قلت:** ما أعظم هؤلاء القمم الشَّوامخ الَّذين يحرصون كلَّ الحرص، على التَّبرك بشعر سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ تعقَّل تعقَّل، وتدبَّر تدبَّر، وتفكَّر تفكَّر. فهؤلاء سادة الأُمَّة المُحمَّدية، يتسَابقون على نيل شعرة من سيِّدي ومولاي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فما بالُ أقوام ينكرون التَّوسُّل بذات الحبيب وتقوم قيامتهم حينما يذكر أحدٌ التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو بآثاره الشَّريفة ويعُدون ذلك من الشِّرك والعياذ بالله تعالى، فلو اقتربت من الحُجرة النَّبوية الشَّريفة لتُمتِّع عينيك بالنَّظر إليها والتَّبرك برؤيتها، أو حرصت على الصَّلاة في المواضع التي صلَّى فيها سيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كما كان يفعل السَّلف الصَّالح من هذه الأُمَّة، سلقوك بألسنة حداد، ونظروا إليك شزَرًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**وذكر الإمام الشَّوكاني في (نيل الأوطار) تعليقاً على الحديث السَّابق فقال:**

قوله (ثمَّ جعل يُعطيه النَّاس) فيه مشروعيَّة التَّبرك بشعر أهل الفضل، ونحوه، وفيه دليل على طهارة شعر الآدمي.﴿٢﴾

**قلت:** فهذا الإمام الشَّوكاني، يجيز التَّبرك بشعر أهل الفضل، ويستنبط كما استنبط غيره من فقهاء الأُمَّة طهارة شعر الآدمي، فهل الشَّوكاني من عباد الآثار؟؟؟

**٦- التَّبرك بعرقه وشعره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج البخاري في صحيحه في باب (مَنْ زَارَ قومًا فقَال﴿٣﴾ عندهم) عن أَبِي عَنْ ثُمَامَةَ

---

﴿١﴾ صحيح مسلم ج٢ / ص٩٤٧ / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

﴿٢﴾ نيل الأوطار للشوكاني ج٥ / ص ١٤٨/ ط دار الجيل – بيروت

﴿٣﴾ قال: من القيلولة. وهي وقت الظهيرة.

عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ كَانَتْ تَبْسُطُ للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نِطَعًا﴿١﴾ فَيَقِيلُ عِنْدَهَا عَلَى ذَلِكَ النِّطَعِ، قَالَ فَإِذَا نَامَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَخَذَتْ مِنْ عَرَقِهِ، وَشَعَرِهِ فَجَمَعَتْهُ فِي قَارُورَةٍ، ثُمَّ جَمَعَتْهُ فِي سُكٍّ﴿٢﴾، قَالَ: فَلَمَّا حَضَرَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْوَفَاةُ، أَوْصَى إلى أَنْ يُجْعَلَ فِي حَنُوطِهِ مِنْ ذَلِكَ السُّكِّ، قَالَ: فَجُعِلَ فِي حَنُوطِهِ.﴿٣﴾

**والشَّاهد:** التَّبرك بعرق النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وشعره، في حياته وبعد انتقاله، لفعل سيِّدنا أنس بن مالك "رضي الله عنه". هذا فعل صحابي جليل وهو يحرص كل الحرص ويوصي أن يُجعل في حنُوطه﴿٣﴾، شعرات من سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أليس هذا دليل على رجاء بركته والتَّبرك بأثره الشَّريف، والتَّبرك بالأثر ما هو إلا التَّوسُّل بصاحبه.

ما فائدة هذا العرق؟ وما فائدة هذا الشَّعر؟، حتى يحرص سيِّدنا أنس خادمُ الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على أن يُوصي بأن يوضع في حنُوطه﴿٤﴾ من هذا العرق وهذا الشَّعر الشَّريف؟ أليس هم تلمس بركة المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**٧- التَّبرك بإزاره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج البخاري في الصحيح من حديث أُمِّ عَطِيَّةَ الْأَنْصَارِيَّةِ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا" قَالَتْ:

---

﴿١﴾ النِّطْعُ، بالكسر وبالفتح وبالتحريكِ، وكعِنَبٍ (بساطٌ من الأديم)، جمعه أَنْطاعٌ، ونُطُوعٌ.

﴿٢﴾ السُّكُّ: طِيْبٌ يُتَّخَذُ من مِسْكٍ ورامِكٍ

﴿٣﴾ البخاري /ج ٢ / ص ٢٣١٦/ رقم ٢٩٢٥/ ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٤﴾ من العجيب زَعْمُ الألباني في كتابه (التَّوسُّل أنواعه وأحكامه) أن التَّبرك إنما هو لحصُولِ خير دُنيوي فقط فقال: أن التَّبرك يرجى به شيء من الخير الدُّنيوي فحسب، بخلاف التَّوسُّل الذي يُرجى به أي شيء من الخير الدُّنيوي والأخروي.ا.هـ. وكأنه ما قرأ صحيح البخاري ورأى ما فعله سيِّد الخلق ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ مع ابنته السيِّدة زينب "عليها السلام" من إعطائه إزاره الشَّريف لمن يقوم بتغسيلها لكي يُشْعِرْنَها إياه، وكأنه ما قرأ ما فعل الصحابي الجليل سيِّدنا أنس بن مالك في الحديث السَّابق والذي أوصى أن يُجعل في حنُوطه من عرق النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وشعره الشَّريف.

﴿٤﴾ الْحَنُوطُ وَالْحِنَاطُ مِثْلُ: رَسُولٍ، وَكِتَابٍ، طِيبٌ يُخْلَطُ لِلْمَيِّتِ خَاصَّةً، وَكُلُّ مَا يُطَيَّبُ بِهِ الْمَيِّتُ مِنْ مِسْكٍ وَذَرِيرَةٍ، وَصَنْدَلٍ وَعَنْبَرٍ وَكَافُورٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُذَرُّ عَلَيْهِ تَطْيِيبًا لَهُ، وَتَجْفِيفًا لِرُطُوبَتِهِ، فَهُوَ حَنُوطٌ .

دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حِينَ تُوُفِّيَتْ ابْنَتُهُ فَقَالَ: اغْسِلْنَهَا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ، بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ كَافُورًا أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا فَرَغْتُنَّ فَآذِنَّنِي، فَلَمَّا فَرَغْنَا آذَنَّاهُ، فَأَعْطَانَا حِقْوَهُ فَقَالَ: أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ تَعْنِي إِزَارَهُ.﴿١﴾

**قال الشَّيخ الشَّوكاني في شرح هذا الحديث:**

قال في الفتح: قيل الحكمة في تأخير الإزار معه إلى أن يَفْرُغن من الغُسل ولم يناولهن إياه أولا، ليكون قريب العهد من جسده، حتى لا يكون بين انتقاله من جسده إلى جسدها فاصل، وهو أصل في التَّبرك بآثار الصَّالحين، وفيه جواز تكفين المرأة في ثوب الرَّجل وقد نقل ابن بطال الاتفاق على ذلك.﴿٢﴾

**والشَّاهد:** تعليم سيِّدنا ومولانا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لنا أنَّ إزاره الشَّريف، ينفع الميت بإذن الله تعالى، وما ذلك إلا لملامسة جسده الطَّاهر الشَّريف.

وانظر أخي الحبيب ما قاله الحافظ ابن حجر: وهو أصل في التَّبرك بآثار الصَّالحين.

**٨- التَّبرك بيد رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحرص الصَّحابة على التَّبرك بشعره:**

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ فِيهَا الْمَاءُ فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلا غَمَسَ يَدَهُ فِيهَا فَرُبَّمَا جَاءُوهُ فِي الْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا.

**يقول العلامة النَّووي في شرحه:**

في هذه الأحاديث بيان برُوزه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ للنَّاس وقربه منهم ليصل أهل الحقُوق إلى حقوقهم، ويرشد مسترشدهم، ليشاهدوا أفعاله وحركاته فيُقتدى بها، وهكذا ينبغي لولاة الأمور، وفيها صبره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على المشقَّة في نفسه لمصلحة المسلمين، وإجابته من سأله حاجة أو تبريكا، بمسِّ يده، وإدخالها في الماء كما ذكروا، وفيه

---

﴿١﴾ صحيح البخاري ج١ / ص ٤٢٢ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ نيل الأوطار للشوكاني / ج ٤ / ص ٦٤ / ط دار الجيل – بيروت

التَّبرك بآثار الصَّالحين وبيان ما كانت الصَّحابة عليه من التَّبرك بآثاره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وتبركهم بإدخال يده الكريمة في الآنية، وتبركهم بشعره الكريم، وإكرامهم إياه أن يقع شيء منه إلا في يد رجل سبق إليه.﴿١﴾

**والشَّاهد:** هو حرص أهل المدينة المنوَّرة من الصَّحابة "رضي الله عنهم جميعا" وحشرنا الله في زمرتهم، على التَّبرك بيد المجتبى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كل يوم بعد صلاة الفجر، تأتي وفودهم بالآنية فيها الماء، إلى سيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ليضع يده النَّدية الشَّريفة الكريمة في آنيتهم، بأبي هو وأمي، ويجبر خاطرهم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حتى ولو كان في أيام الشِّتاء الباردة.

ما هذا الحب الذي بلغ بقلوب هؤلاء القمم الشَّوامخ؟ وما هذا الحنان الَّذي يفيض من قلب سيِّد الوجود على مُحبيه؟ اللَّهمَّ يا ربّ اجعلنا ممن يُحبُّه أكثر من نفسه وأهله وولده واجعلنا من المعظِّمين لحضرته، واحشرنا معه بحقِّ جاهه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**٩- التَّبرك والاستشفاء بقطعة من قِرْبة لامست فيِّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

ذكر الإمام النووي في شرح صحيح مسلم فقال: وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيّ وَغَيْره عَنْ كَبْشَة بِنْت ثَابِت، وَهِيَ أُخْت حَسَّان بْن ثَابِت "رَضِيَ اللَّه تَعَالَى عَنْهُمَا" قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُول اللَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَشَرِبَ مِنْ قِرْبَة مُعَلَّقَة قَائِمًا، فَقُمْت إِلَى فِيهَا فَقَطَعْته، قَالَ التِّرْمِذِيّ: هَذَا حَدِيث حَسَن صَحِيح.

وَقَطْعهَا لِفَمِ الْقِرْبَة فَعَلَتْهُ لِوَجْهَيْنِ:

**أَحَدهمَا:** أَنْ تَصُونَ مَوْضِعًا أَصَابَهُ فَم رَسُول اللَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عَنْ أَنْ يُبْتَذَل وَيَمَسّهُ كُلّ أَحَد.

**وَالثَّانِي:** أَنْ تَحْفَظهُ لِلتَّبَرُّكِ بِهِ وَالاسْتِشْفَاء. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.﴿٢﴾

---

﴿١﴾ شرح النووي / ج١٥ ص / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

﴿٢﴾ شرح النووي /ج ١٣ /ص ١٩٤/ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

**١٠- التَّبرك بتقبيل كَشْح النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج الحاكم في المستدرك عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه قال: كان أسيِّد بن حضير رجُلاً صالحًا ضاحكًا مليحًا، فبينما هُو عند رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يحدِّث القومَ ويُضْحكُهم، فطعَن رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في خاصرته فقال: أوجعتني قال: اقتص. يا رَسُول الله إنَّ عليك قميصًا، ولم يكن على قمِيص، قال: فرفع رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قميصَه فاحتضنه ثُمَّ جعل يقبل كَشْحِه﴿١﴾، فقال بأبي أنت وأمي يا رَسُول الله أردت هذا.

هذا لفظ حديث جرير، عن حصين فإن حديث ورقاء مختصر صحيح الإسناد ولم يخرجاه.﴿٢﴾

**١١- التَّبرك بالشُّرب من سُؤْره﴿٣﴾ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث سهل بن سعد "رضي الله عنه" أنَّ رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أُتِيَ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلام: إِنْ أَذِنْتَ لِي أَعْطَيْتُ هَؤُلاءِ؟ فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ يَا رَسُول اللَّهِ أَحَدًا، فَتَلَّهُ فِي يَدِهِ.﴿٤﴾

**والشَّاهد:** أنَّ هذا الغلام وهو سيِّدنا عبد الله بن عباس "رضي الله عنهما" كما جاء مفسرًا في رواية أخرى، حرَص على أن يتبرك بموضع فِيِّ الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأقسم بالله قائلا: والله يا رَسُول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا.

**١٢- التَّبرك بالشُّرب في قدح شرب فيه المُصطفى، وحِرْص سيِّدنا عُمر بن عبد العزيز على هذا الأثر الشَّريف:**

أخرج البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد "رضي الله عنه" قال: ذكر للنَّبي ﴿صلَّى

---

﴿١﴾ الكشح : الخصر . وهو ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلفي

﴿٢﴾ الحاكم في المستدرك /ج٣ / ص ٣٢٧/ ط دار الكتب العلمية – بيروت

﴿٣﴾ السُؤْرِ وَهُوَ: بَقِيَّةُ الْمَاءِ الَّذِي يُبْقِيهَا الشَّارِبُ فِي الْإِنَاءِ

﴿٤﴾ البخاري / ج٥ / ص ٢١٣٠ / ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

الله عليه وآله وسلَّم﴾ امرأة من العرب، فأمر أبا أسيِّد السَّاعدي أن يُرسل إليها فأرسل إليها فقدمت فنزلت في أجَم[١] بني ساعدة، فخرج النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حتى جاءها فدخل عليها فإذا امرأة منكسةٌ رأسها، فلما كلَّمها النَّبيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قالت أعوذ بالله منك فقال: قد أعذتك منِّي، فقالوا لها أتدرين من هذا؟ قالت لا قالوا: هذا رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ جاء ليخطبك، قالت: كنت أنا أشقى من ذلك. فأقبل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه ثُمَّ قال: اسقنا يا سَهلُ فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتُهم فيه، فأخرج لنا سهلُ ذلك القدح فشربنا منه، قال ثُمَّ استوهبه عُمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له.[٢]

**والشَّاهد:** حرص الصَّحابة "رضوان الله عليهم" على آثار نبيِّنا ومُصطفانا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحرص الفقيه الإمام العادل سيِّدنا عمر بن عبد العزيز "رضي الله عنه" أن يحتفظ بهذا الأثر الشَّريف، ليتبرَّك بالشُّرب من موضع شرب منه المُصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

ولقد ذكر العلاَّمة ابن حجر العسقلاني "رضي الله عنه" في شرح هذا الحديث في الفتح فقال: وفي الحديث التبسُّط على الصَّاحب، واستدعاء ما عنده من مأكُولٍ ومشْروبٍ وتعظيمه بدعائه بكنيته، والتَّبرك بآثار الصَّالحين واستيهاب الصَّديق ما عليه هبته ولعل سهلاً سمح بذلك، لبَدلٍ كان عنده من ذلك الجنس، أو لأنَّه كان محتاجًا فعوَّضه المُستوهِب ما يسدُّ به حاجته. والله أعلم، ومناسبته للترجمة ظاهرة من جهة رغبة الذين سألوا سهلاً أن يخرج لهم القدح المذكور ليشربوا فيه تبرُّكا به.[٣]

**١٣- التَّبرك بنخامة النَّبي وبوضوئه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال: حدثني من لا أتهم من الأنصار أنَّ رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كان إذا توضَّأ أو تنخَّم، ابتدروا نُخامته ووضوءه فمسحوا

---

﴿١﴾ والآجَامُ: قِرَانُ الجِبَالِ. وهي القُصُوْرُ أيضاً، والواحِدُ أُجُمٌ. وعن الأَصْمَعِيِّ:الأُجُمُ: البَيْتُ المُرَبَّعُ المُسَطَّحُ.

﴿٢﴾ البخاري / ج٥ / ص ٢١٣٤/ ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٣﴾ فتح الباري ج١٠ / ص ٩٩/ ط دار المعرفة – بيروت

بها وجوههم وجلودهم، فقال رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لم تفعلون هذا قالوا نلتمس به البركة، فقال رَسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مَنْ أحبَّ أن يحبَّه الله ورسوله فلْيصدق الحديث، وليؤد الأمانة، ولا يؤذ جاره.﴿١﴾

أخي المُحبُّ لسيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كانت هذه بعض الدَّلائل التي توضِّح بما لا يدع مجالاً للشَّك أو الرَّيب، على جواز التَّبرك بذات النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عرقه، وشعره، وفمه، وفضل ماء وضوئه، ويده، ووجهه، ودمه، وبملبسه وتقبيله في جسده، والتَّبرك بقدح شرب فيه، والتَّبرك بسؤره الشَّريف، واهتمام الصَّحابة والتَّابعين على المحافظة على هذه الآثار.

أفبعد هذه الدَّلائل يخرج علينا من يُكفِّر المتلمِّسين البركة المُحمَّدية في آثاره الشَّريفة وينسُبه إلى الشِّرك، أو الضَّلال، أو الابتداع في الدِّين، أو الانحراف عن عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وبالله عليكم إن لم يكن صحابة رَسُول الله والتَّابعون لهم بإحسان، والعلماء المُقتَدى بهم هُم أهل السُّنة والجماعة فَمَنْ إذًا؟ وإنِّي لأعجب كل العجب ممَّن ينكرون التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين، وهم يعلمون أنَّ أولياء الأُمَّة المُحمَّدية، من الصَّحابة والتابعين وهم أعلم النَّاس بالتوحيد تبركوا برسولنا، بل وحافظوا على آثاره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى.

**أخي القارئ:** إن الأحاديث والآثار الواردة في التَّبرك بآثار الأنبياء والصَّالحين تفوق الحصر والعدَّ، وكتب الحديث والسِّيرة والتَّفسير مشحُونة بالدَّلائل على ذلك، ولكن المُنكرون يكتُمونها عن النَّاس، بدعواهم المحافظة على التَّوحيد، وهي [كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطل]. فمن رأوه يتبرك بآثار المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ صاحوا في وجهه وسلقوه بأبشع الاتهامات، بقولهم أنت قبوري أي [من عُبَّاد القُبور]، أو تُغالي في النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، أو يُصَوِّرون له سيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بأنَّه بشرٌ مثله وهكذا، وضلَّلوا شباب الأُمَّة المُحمَّدية، بتلكم الدَّعاوي العريضة المريضة والأفكار السَّقيمة، والفكر

---

﴿١﴾ الجامع لمعمر بن راشد/ ج١١/ ص٧/ ط المكتب الإسلامي – بيروت/كذا في كنز العمال /ج٨/ص ٢٢

المُنحرف عن هدي السَّلف والخلف. بل وتضيق صدور بعضهم عند سماع هذه الأحاديث الشَّريفة.

ماذا نفعل بهذه النُّقول المستفيضة عن الصَّحابة الكرام أنحذفها من كتب الصِّحاح والسُنن والمسانيد؟.

فنصيحتي التي أسوقها خالصة لوجه الله الكريم، من يقرأ هذه الدَّلائل الصَّحيحة ويضيق صدره، فليسأل الله قلبًا غير قلبه، وليبك على نفسه، هداني الله وإيَّاكم إلى محبة الله ورسُوله والصَّالحين من عباده.

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم

# الباب الثاني

## الفصل الثالث

## التوسل بالنبي بعد انتقاله للرفيق الأعلى

# التَّوسُّل بالحبيب بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى

بِسْمِ الله، والحَمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيِّدنا رسُول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين. أما بعد:

فإنَّ عقيدة المُحبين لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أنَّه حيٌّ في قبره الشَّريف، حياةً هي أكمل من حياة الشُّهداء، الَّذين نهانا الله تعالى أن نقول عنهم أنَّهم أموات، فقال "جلَّ جَلالُه" ﴿**وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ**﴾.﴿١﴾ وأنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ متواصلٌ مع أُمَّته، يفْرحُ بطاعتهم لله، ويستَغفِرُ لمُذنبهم، ويزورُ مُحبيه، ويرونه، وينْعمون بالنَّظر إلى مُحيًّا وجْهه الشَّريف ويخاطبُونه ويخاطبُهم، وأخبرنا وهو الصَّادق أنَّ الشيطان لا يتمثل في صورته فقال: من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشَّيطان لا يتمثل بي.﴿٢﴾

فو الله ما هناك نعمةٌ بعد رؤية الله تعالى، أعظم، ولا أشرف، ولا أكمل من النَّظر إلى وجه السِّراج المُنير، فهو الذي قال لنا فيما صحَّ عنه: مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ.﴿٣﴾

ومِنْ هنا كان المحبُّون لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لا يفرِّقُون بين حياته، وبين انتقاله للرَّفيق الأعلى، فهو في كلا الحياتين حيٌّ، يسمع سلامنا عليه، ويُسَرُّ بصلاتنا عليه، وتُعرض عليه أعمالنا.

فالمُحبُّون إن توسَّلوا به فلأنَّهم يعتقدون الاعتقاد الجازم، أنَّ مكانتَه العُليا، ومقامَه الشَّريف الأكرم، وجاهَه السَّامي الأفخَم، وقدرَه العالي المُعظَّم، تلكم الصِّفات موصوف بها ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حياته وبعد انتقاله.

ولأنَّهم يعتقدون أنَّ الله تعالى يطلعه على أحوال أُمَّته، فهو الشَّاهد، والمبشِّر، والنَّذير

---

﴿١﴾ سورة آل عمران:١٦٩

﴿٢﴾ صحيح مسلم برقم (٢٢٦٦)

﴿٣﴾ صحيح مسلم . كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . باب فيمن يود رؤية النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بأهله وماله ٤/ ٢١٧٨

والدَّاعي إلى الله بإذنه، والسِّراج المُنير. ولا حرج على فضل الله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ﴾.[١] وما كانت عقيدة المُحبِّين في يومٍ من الأيام أنَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ انقطع عن الدُّنيا. بل من ظنَّ ذلك فهو المحروم، والمقطوع.

ومن هذا المنطلق ذهب جمهورُ أهل السُّنة والجماعة، بمشْروعيَّة التَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى، لأنَّ المُتوسِّل به إنَّما يتوسَّل بحبه، وبقدره وبجاهه، ومنزلته عند ربه، وبحب الله له. ولقد استدلوا على مشروعيَّة ذلك من الكتاب والسُّنة، والإجماع، والمعقول. وها أنا ذا أذكر لكل ذي لُبٍّ، أدلتهم الجليَّة، وبراهينهم العليَّة، والردِّ على شُبهات المُنكرين، فأقول مستعينًا بالله:

**أولاً: الدَّليل من القرآن الكريم:**

١- قول الحق تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[٢]

وقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾.[٣]

**ووجه الدَّلالة من الآيتين:**

أنَّ لفظ الوسيلة في الآيتين عامٌّ، يشمل التَّوسُّل بالأحياء والأموات، ويشمل التَّوسُّل بالمعاني الرفيعة، والأعمال الصَّالحة، وهذا يقتضي الإطلاق العامَّ في الآيتين، والقول بتخصيص الوسيلة بالعمل الصَّالح هنا تحكمٌ بغير دليل.

٢- واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ

---

﴿١﴾ سورة النِّساء: ٥٤

﴿٢﴾ سورة المائدة: ٣٥

﴿٣﴾ سورة الإسراء: ٥٧

وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾.[١]

**ووجه الدَّلالة من الآية الشَّريفة:**

أنَّ الآية الشَّريفة دلَّت على حثٍّ من ظلم نفسه على المجيء لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وطَلَب المغفرة من الله، والطَلَب من الرسُول الدُّعاء له بالمغفرة، وهذا لا ينقطع بانتقاله إلى الرَّفيق الأعلى، لأنَّ هذه الآية فيها من التَّنويه بسموٍّ وعلو المقام النَّبوي الشَّريف، ما لا يوصف، فقد قال العلاَّمة الزَّمخشري: ولم يقل: "واستغفرت لهم" [وعدل عنه إلى طريق الالتفات] لأنَّ في هذا الالتفات بيان تعظيم استغفاره، وأنَّ شفاعة من اسمه [الرسُول] بمكان.[٢]

وإن كانت هذه الآية نزلت لسبب مخصوص، ووردت في قوم معيَّنين في حال الحياة الدُّنيا، لكنها تعمُّ بعموم العلَّة، فكلُ من وُجِد فيه ذلك الوصف وهو (الظُّلم للنَّفس) وأيُّنا لم يظلم نفسه بمعصية.

ففي هذه الآية الشَّريفة أنَّ تَحَقُّقَ التَّوبة من الله تعالى، ورحمته لعبده، متوقف على:

١- المجيء لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[٣]

٢- وطلب المغفرة من الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى".

٣- ودعاء الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ له بالمغفرة.

أفيُحرم هذا الفضل العظيم من جاء بعد انتقال الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلى الرَّفيق الأعلى، ويُسلب نبيُّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ هذا الفضل والشَّرف وسمو الجاه، والتَّنويه بفضل شفاعته. والمعلوم أن الخصائص لا تنسخ.

فممَّا سبق فهم جمهور علماء الأُمَّة من هذه الآية العُموم، وذكرها الفقهاء من المذاهب الأربعة في كتب الفقه عند ذكرهم زيارة سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

---

﴿١﴾ سورة النِّساء: ٦٤

﴿٢﴾ البرهان في علوم القرآن / للعلامة بدر الدِّين الزَّركشي / ج٣/ ص٣٢٨

﴿٣﴾ ومن هذا استنبط فقهاء الأُمَّة من المذاهب الأربعة استحباب زيارة الرسُول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وشدِّ الرَّحل إليه، خلافا لمن شذَّ ومنع ذلك.

وسوف أذكر لك أخي بمشيئة الله تعالى بعض العلماء الذين ذكروا هذه الآية الكريمة في توسُّلهم بسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في هذا الفصل، وفي الفصل الأخير من هذا البحث.

**قال العلاَّمة الحافظ عبد الله بن مُحمَّد الصِّديق الغماري "رحمه الله":**

فهذه الآية عامة تشمل حالة الحياة وحالة الوفاة، وتخصيصها بأحدهما يحتاج إلى دليل وهو مفقود هنا، فإن قيل: من أين أتى العمُوم حتى يكون تخصيصها بحالة الحياة دعوى تحتاج إلى دليل؟ قلنا: من وقوع الفعل في سياق الشَّرط، والقاعدة المقررة في الأصول أنَّ الفعل إذا وقع في سياق الشَّرط كان عاماً، لأنَّ الفعل في معنى النَّكرة لتضمنه مصدراً منكراً، والنَّكرة الواقعة في سياق النَّفي أو الشَّرط تكون للعموم وضعا.﴿١﴾

**شُبهة والردِّ عليها:**

لقد اعترض الشَّيخ مُحمَّد بن صالح العُثيمين على الاستدلال بهذه الآية الشَّريفة على التَّوسُّل برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:

[إذْ] هذه ظرفٌ لما مضى وليس ظرفاً للمستقبل، لم يقل الله: ولو أنَّهم (إذَا) ظلموا بل قال: [إذْ ظلموا] فالآية تتحدث عن أمرٍ وقع في حياة الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ واستغفار الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد ممَّاته أمرٌ متَعذرٌ لأنَّه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال الرسُول﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: (صدقةٌ جاريةٌ، أو علمٌ يُنتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له) فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يستغفر لأحدٍ، بل ولا يستغفر لنفسه أيضًا، لأن العمل انقطع.﴿٢﴾

**وللرَّد على هذه الشُّبهة أقول مستعينا بالله:**

إنَّ علماء الُّلغة العربيَّة قالوا بأنَّ (إذْ) تأتي بمعنى (إذا) وكما تأتي للماضي تأتي للمستقبل ولها معاني أخرى يُرجع لها في كتب اللُّغة:

**يقول الثَّعالبي:** (إذْ) بمعنى (إذا) كما قال "عزَّ وجلَّ": ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا

﴿١﴾ الرَّد المُحكم المتين للحافظ عبد الله الصديق الغماري/ ص٤٤

﴿٢﴾ فتاوى مهمة لعموم الأمة لابن العثيمين ج٣ / ص١٠٠

**فَوۡتَ﴾**[١] **ومعناه:** إذا فَزِعُوا.

وقال "عزَّ وجلَّ": ﴿**وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى**﴾.[٢] والمعنى: وإذا قال الله يا عيسى، لأنَّ (إذا) و(إذْ) بمعنى واحد في بعض المواضع كما قال الرَّاجز:

**ثمَّ جزاه الله عنِّي إذْ جزى جناتُ عَدنٍ في العَلاليِّ العُلى**

والمعنى: إذا جزى. لأنَّه لم يقع بعد.

فأمَّا قوله "عزَّ وجلَّ": ﴿**وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ**﴾[٣] (فترى) مستقبل (وإذْ) للماضي، وإنَّما قال كذلك: لأنَّ الشيء كائنٌ وإن لم يكن بعد، وهو عند الله قد كان، لأنَّ علمه به سابق وقضاؤه نافذ، فهو لا محالة كائنٌ.[٤] انتهي.

**أمَّا عن قوله:** (واستغفار الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أمرٌ متعذر لأنَّه إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث). فلا يمكن للإنسان بعد موته أن يستغفر لأحدٍ، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً، لأن العمل انقطع.

**قلت:** هذا كلام ساقط لا يُلتفت إليه، لأنَّ استغفار سيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ غيرُ متعذر لأنَّه قد صحَّ أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وغيره من إخوانه من الأنبياء والمرسلين أحياءٌ في قبورهم قال رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: "الأنبياءُ أحياءٌ في قبُورهم يصلون".[٥]

وقال رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ

---

﴿١﴾ سورة سبأ: ٥١

﴿٢﴾ سورة المائدة: ١١٦

﴿٣﴾ الأنعام الآية ٢٧

﴿٤﴾ أنظر تهذيب اللُّغة للأزهري / لسان العرب لابن منظور / تاج العروس للزبيدي

﴿٥﴾ أخرجه أبو يعلى في مسنده (١٤٧/٦)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (٨٣/٢)، والبيهقي في حياة الأنبياء (ص١٥). وغيرهم. وقال الهيثمي في المجمع (٨ /٢١١): (ورجال أبي يعلى ثقات). ا.هـ والحديث له طرق، وقال الألباني في (السلسلة الصحيحة مختصرة) صحيح.

الْأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ.»[١]

وثبت أنَّ الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أمَّ الأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام" وصلى بهم في رحلة الإسراء والمعراج وهذا متواتر، وراجعه سيدنا موسى "عليه السَّلام" في الصَّلوات. وأراني لا أُطول في ذكر الدَّلائل على حياة الأنبياء والمرسلين، لأنَّ هذا ممَّا يعلمه صغار طلبة العلم، فضلاً عن كبارهم، فقد أفرد العلماء مصنفات في حياتهم منهم الحافظ الكبير البيهقي في كتابه (ما ورد في حياة الأنبياء بعد وفاتهم) والحافظ السيوطي في (إنباء الأذكياء في حياة الأنبياء) والعلاَّمة المحدث محمد بن عبد الله القلقشندي (الاستعلام عن رؤية النَّبي في المنام، وكشف النقاب في حياة الأنبياء إذا تواروا في التراب) وغيرهم الكثير.

فإذا ثبتت حياة نبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فكيف يتعذر عليه الاستغفار؟ وإذا ثبت أنَّه يصلي فالصَّلاة في اللغة هي الدعاء، فكيف لا يستغفر لنفسه.

**قلت:** ولله در الحافظ شهاب الدِّين أحمد بن حجر المكي الهيتمي حينما قال:

تَواتَرتِ الأدلَّة والنُّقولُ ... فَمَا يُحْصي المُصنِّف مَا يقولُ
بأنَّ المُصْطفى حَيٌّ طريٌّ ... هلالٌ ليس يطرقُه أُفولُ
وأنَّ الجسمَ منه بقَاعِ لحدٍ ... كَوردٍ لا يُدنِّسُهُ الذُّبولُ
وأنَّ الهاشميَّ بكُل وصفٍ ... جميلٌ لا يغيِّرهُ الحُلولُ
ويَسمعُهم إذا صَلُّوا عليه ... بأذنيه فقصِّر يا مَلولُ
ومَنْ لم يعتقد هذا بطه ... يقينًا فَهْوَ زنديقٌ جهُولُ
عُبيدٌ هيتمي مُستجيرٌ ... بمن حطَّت بساحته الحُمولُ

**ثانيا:الدَّليل من السُّنة النَّبوية الشَّريفة على التَّوسُّل بعد الإنتقال:**

**١- إرشاد السيِّدة عائشة للنَّاس بالتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج الحافظ الدَّارمي في سننه [باب ما أكرم الله تعالى نبيَّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد موته] فقال: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَانِ، حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ مَالِكٍ النُّكْرِيُّ حَدَّثَنَا

---

﴿١﴾ أخرجه مسلم (١٨٤٥/٤)، وأحمد (٣ /١٢٠) والبغوي في شرح السنة (١٣ / ٣٥١) وغيرهم.

أَبُو الْجَوْزَاءِ: أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: قُحِطَ[١] أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ. قَالَ: فَفَعَلُوا فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الإِبِلُ[٢]، حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ[٣].[٤]

**يقول العلامة السَّمهُودي:**

قال الزَّين المراغي[٥]: وفتح الكوَّة عند الجدب سنَّة أهل المدينة حتى الآن، يفتحون كوَّة في أسفل قبَّة الحُجرة، أي القبَّة الزَّرقاء المحترقة في زماننا، يفتحونها من جهة القبلة وإن كان السَّقف حائلا بين القبر الشَّريف وبين السَّماء.

---

﴿١﴾ القحط: الجدب والجفاف واحتباس المطر وعدم نزوله

﴿٢﴾ الإبل: الجمال والنُّوق ليس له مفرد من لفظه.

﴿٣﴾ سُمي بعام الفتق: لتفتق بُطون الإبل بالشَّحم.

﴿٤﴾ الدارمي في سننه / ج ١/ ص ٥٦/ رقم ٩٢/ ط دار الكتاب العربي – بيروت

قال الحافظ الغماري ورجال هذا السَّند لا بأس بهم، ومن العجيب أن ابن تيميَّة أنكر هذا الأثر في كتابه الرد على البكري ج١/ (ص ٦٨– ٦٩) . ونسب هذا الأثر لابن زبالة الذي تركه العلماء ولا يُحتج به، ولم يذكر هذا الأثر عن الإمام الحافظ الدارمي في سننه، مع أن ابن تيميَّة يفضل الحافظ الدارمي على الإمام مسلم والترمذي، قال في مجموع الفتاوى (ج ٢ / ص٤): ابتدأ البخاري صحيحه ببدء الوحي ونزوله، فأخبر عن صفة نزول العلم، والإيمان على الرسُول أولا، ثمَّ اتبعه بكتاب الإيمان، الذي هو الإقرار بما جاء به، ثمَّ بكتاب العلم، الذي هو معرفة ما جاء به فرتبه الترتيب الحقيقي، وكذلك الإمام أبو مُحمَّد الدارمي صاحب المسند ابتدأ كتابه بدلائل النبوة، وذكر في ذلك طرفا صالحا، وهذان الرَّجلان أفضل بكثير من مسلم، والترمذي، ونحوهما، ولهذا كان أحمد بن حنبل يعظم هذين الرَّجلين، لأنهم فقهاء في الحديث أصولا وفروعا. ا.هـ. كلام ابن تيميَّة. أنظر (الرَّد المحكم ص ٧٩)

وليس من المعقول أنَّ ابن تيميَّة لم يطلع على سنن الدارمي الذي بوب لهذا الأثر (باب ما أكرم الله نبيه بعد موته).

﴿٥﴾ هو العلامة القاضي أبو بكر بن الحسين بن أبي حفص عمر بن أبي عبد الله مُحمَّد بن يونس ابن أبي الفخر بن مُحمَّد بن عبد الرحمن بن نجم بن طولو الزين أبو مُحمَّد القرشي العبشمي الأموي العثماني المراغي المصري الشافعي نزيل المدينة النَّبوية. ولد سنة ٧٢٧ هـ بالقاهرة وتوفي سنة ٧٩٥ هـ أو ٩٨ وله كتاب (تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة) وغيره. أنظر ترجمته في الضوء اللامع للحافظ السخاوي.

**قلت:**أي (السَّمهُودي)[١] وسنَّتهم اليوم فتح الباب المواجه للوجه الشَّريف من المقصُورة المُحيطة بالحُجرة الشَّريفة، والاجتماع هناك، ثمَّ إنَّ الشُّجاعي شاهين الجمالي[٢] لما بنى أعالي القبَّة الخضراء الآتي ذكرها في الفصل بعده، اتخذ في ذلك كوَّة عليها شبَّاك حديد ثمَّ فتح كوة في محاذاتها بالقبَّة السُّفلى المتخذة بدل سقف الحُجرة الشَّريفة الآتي ذكرها في الثَّاني عشر، وجَعل على هذه الكوَّة شُبَّاكا أيضًا، وجعل على هذا الشَّباك بابًا يفتح عند الاستسقاء للجدب.[٣] انتهي

**قلت:** هذه عادة جُمهور الأُمَّة إلى بداية القرن الثَّامن الهجري، يفتحون الكوَّة التي فوق القبر النَّبوي الشَّريف للاستسقاء بسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. كما نقل العلاَّمة السَّمهودي عن العلامة الزَّين المراغي، بل واستمر العمل على ذلك إلى بداية القرن العاشر على ما ذكر مفتي المدينة المنورة العلاَّمة السَّمهودي، ولا أستبعد استمرار العمل بذلك إلى ظهور الحركة الوهابيَّة في الجزيرة العربية.

**شُبهة تضعيف الشَّيخ الألباني لحديث فتح الكوَّة والرَّد عليه:**

ضعف الشَّيخ الألباني حديث فتح الكوَّة، وها هي حجته قال:

**قلت:** وهذا سندٌ ضعيفٌ لا تقوم به حجةٌ لأُمور ثلاثة:

**أولها:** أنَّ سعيد بن زيد وهو أخو حمَّاد بن يزيد فيه ضعف. قال فيه الحافظ في (التَّقريب): صدوقٌ له أوهامٌ.

وقال الذَّهبي في (الميزان): ( قال يحيى بن سعيد: ضعيف. وقال السَّعدي: ليس بحُجَّة يضعِّفون حديثه. وقال النَّسائي وغيره: ليس بالقوي وقال أحمد: ليس به بأس. كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه)

---

﴿٢﴾ العلاَّمة السَّمهودي هو: علي بن عفيف الدِّين عبد الله بن أحمد ابن علي بن محمد نور الدين أبو الحسن السَّمهودي الشَّافعي الحسني نزيل المدينة المنورة المفتي بها ولد سنة ٨٤٤ هـ وتوفي سنة ٩١١ هـ إحدى عشرة وتسعمائة. له من التصانيف (اقتناء الوفاء بأخبار دار المصطفى في التاريخ). (أمنية المعتنين بروضة الطالبين للنووي حاشية). (إكمال المواهب ذيلا على المواهب الكريم). (الأنوار السنية في أجوبة أسئلة اليمنية) وغيرها.

﴿٣﴾ الشجاعي شاهين الجمالي هو: شيخ خدَّام الحرم النَّبوي الشَّريف أيام قايتباي. الضوء اللامع للسَّخاوي

﴿٤﴾ خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى / للعلامة السمهودي /ج١/ ص١٤١

**وثانيها:** أنَّه موقوف على عائشة، وليس بمرفوع إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولو صحَّ لم تكن فيه حُجَّة، لأنَّه يُحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصَّحابة، ممَّا يُخطئون فيه ويُصيبون، ولسنا مُلزمين بالعمل بها.

**وثالثها:** أنَّ أبا النُّعمان هذا هو مُحمَّد بن الفضل، يعرف بعارم، وهو وإن كان ثقة فقد اختلط في آخر عمره. وقد أورده الحافظ برهان الدِّين الحلبي في (الاغتباط بمن رُمي بالاختلاط) تبعا لابن الصَّلاح حيث أورده في (المختلطين) من كتابه (المقدمة) وقال:

(والحكم فيهم أنَّه يُقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط، ولا يقبل من أخذ عنهم بعد الاختلاط، أو أُشكل أمرُه فلم يُدرَ هل أُخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده)

**قلت:** وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدَّارمي منه قبل الاختلاط أو بعده، فهو إذن غير مقبول فلا يُحتج به. انتهي قول الألباني.

**هذه حُجج الشَّيخ الألباني في تضعيفه وللرَّد عليه أقول مستعينا بالله:**

**أولاً:** الشَّيخ الألباني دلَّس في تضعيف (سعيد بن زيد) حيث أنَّه نقل من (تقريب التَّهذيب) للحافظ ابن حجر قوله: صدوقٌ له أوهام.

والشَّيخ الألباني "رحمه الله" إذا أراد تضعيف راوي نقل أقوال مُضَعِّفيه، دون من وثَّقه وخاصَّة إذا كان الحديث ممَّا يخالف مذهبه.

لأنَّه لم ينقل أنَّ سعيد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي أبو الحسن البصري أخو حمَّاد بن زيد (ثقة).

قال البخاري: حدثنا مسلم هو: ابن إبراهيم، ثنا سعيد ابن زيد أبو الحسن. صدوق حافظ وقال الدوري عن ابن معين: (ثقة).

وقال ابن سعد: روى عنه وكان (ثقة). مات قبل أخيه.

وقال العجلي: بصري ثقة.

وقال أبو زرعة: سمعت سليمان بن حرب يقول: ثنا سعيد بن زيد وكان (ثقة).

وقال أبو جعفر الدارمي: ثنا حبان بن هلال، ثنا سعيد بن زيد، وكان حافظًا صدوقًا.﴿١﴾

---

﴿١﴾ أنظر تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر /ج٤/ ص٢٩

ثمَّ إنَّ الألباني لم يذكر أنَّ (سعيد بن زيد) روى له الإمام مسلم في صحيحه. وروى له البخاري تعليقًا.﴿٢﴾، ووصله في (الأدب المفرد) كما ذكر الحافظ في (الفتح).

إذًا يتبين أنَّ كلام الشَّيخ الألباني مَردُود، لأنَّ سعيد بن زيد بن درهم، من رواة مسلم ولأنَّه وثَّقه يحيي بن معين، وابن سعد، وسليمان بن حرب، والعجلي.

**ثانيا:** أمَّا قوله: أنَّ هذا موقوف على السيِّدة عائشة "رضي الله عنها" ولو صحَّ لما كان فيه حجَّة لأنَّه يُحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصَّحابة، ممَّا يخطئون فيه ويصيبون، ولسنا ملزمين بالعمل بها.

فهذا كلام ساقط فيه تلبيس، لأنَّ السيَّدة عائشة فعلت هذا ولم يثبت أنَّ أحدًا من الصَّحابة أنكر عليها ذلك، ولا من التَّابعين، ولا حتى أتباع التَّابعين، إلى بداية القرن الثَّامن الهجري، وأوَّل من أنكر هو الشَّيخ ابن تيميَّة.

وهل يرضى المُنكرون أن نقول: أنَّ سيِّدنا عمر بن الخطَّاب، حينما توسَّل بالعبَّاس ولم يتوسَّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أنَّ هذا كان اجتهادًا منه، واجتهاده يُصيبُ ويُخطئ ولسنا ملزمين باجتهاده.

فإن قالوا أنَّه لم يُنكر عليه أحدُ من الصَّحابة وهم يقولون لك.

قُلنا لهم: وكذلك أمُّ المؤمنين عائشة لم ينكر عليها أحد من الصَّحابة. بل وصار ما فعلته عادة لأهل المدينة المنوَّرة خلال قرون طويلة.

**ثالثا:** أمَّا عن اختلاط أبي النُّعمان فهو تضعيف غير صحيح، لأنَّ اختلاطه لم يؤثر في روايته، قال الحافظ في (تهذيب التَّهذيب): وقال الإمام الدَّارقطني: تغير بآخرة وما ظهر له

---

﴿٢﴾ روي البخاري في صحيحه قال: حَدَّثَنَا آدَمُ قَالَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسًا يَقُولُ: كَانَ النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ قَالَ: اللَّهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ.
تَابَعَهُ ابْنُ عَرْعَرَةَ عَنْ شُعْبَةَ وَقَالَ: غُنْدَرٌ عَنْ شُعْبَةَ، إِذَا أَتَى الْخَلاءَ.
وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ إِذَا دَخَلَ. وَقَالَ (سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ.
قال: الحافظ ابن حجر: وَرِوَايَته هَذِهِ وَصَلَهَا الْمُؤَلِّف فِي الأدَب الْمُفْرَد قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النُّعْمَان، حَدَّثَنَا سَعِيد بْن زَيْد، حَدَّثَنَا عَبْد الْعَزِيز بْن صُهَيْب، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَس قَالَ: كَانَ النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُل الْخَلاء قَالَ . . فَذَكَرَ مِثْل حَدِيث الْبَاب.

بعد الاختلاط حديثٌ منكر، وهو ثقة.

وقال ابن حبَّان: اختلط فى آخر عمره و تغير، حتى كان لا يدرى ما يحدث به فوقع فى حديثه المناكير الكثيرة، فيجب التنكب عن حديثه فيما رواه المتأخرون، فإن لم يُعلم هذا من هذا ترك الكل، ولا يحتج بشىء منها.

قرأتُ بخط الذَّهبي: لم يقدر ابن حبان أن يسوق له حديثا منكرًا، والقول فيه ما قال الدارقطنى.﴿١﴾

إذًا يتبين ممَّا سبق ضَعفُ ما ذهب إليه الشَّيخ الألباني وصحَّةُ ما ورد عن أُمِّ المؤمنين ومنه يُعلم أنَّ التوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى جائز عند السَّلف الصالح "رضي الله عنهم".

وأُمّ المؤمنين ما كانت تعتقد عقيدة هؤلاء المنكرين، بانقطاع نبيِّنا عن الدُّنيا، بل روى عنها الإمام أحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه، وابن معين في جزءه أنَّها قالت: كُنْتُ أَدْخُلُ بَيْتِي الَّذِي دُفِنَ فِيهِ رسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وَأَبِي فَأَضَعُ ثَوْبِي فَأَقُولُ إِنَّمَا هُوَ زَوْجِي وَأَبِي، فَلَمَّا دُفِنَ عُمَرُ مَعَهُمْ فَوَ اللَّهِ مَا دَخَلْتُ إلاَّ وَأَنَا مَشْدُودَةٌ عَلَيَّ ثِيَابِي حَيَاءً مِنْ عُمَرَ.﴿٢﴾

### الشَّيخ ابن تيميَّة وحديث فتح الكوَّة:

من خلال ما تتبَّعتُ فيما كتبه الشَّيخ ابن تيميَّة حول حديث فتح الكوَّة، وجدتُه قد خالف القواعد العلميَّة في النَّقد، وإرساله الكلام بلا خطام، وتلبيسه وتدليسه، وهذا كثيرًا ما تراه في مسائله التي خالف فيها علماء الإسلام، فحين لا يجد دليلاً يُسعفه، تراه يلجأ إلى التَّهويل، والاحتمالات البعيدة، ومن العجيب أنَّ مقلديه، اتبعوا سَنَنَه شبرًا بشبر، وذراعًا بزراع. وها أنا أذكر لك أخي القارئ ما قاله في حديث فتح الكوَّة.

١- قال في (الرَّد على البكري): وما رُوي عن عائشة "رضى الله عنها" من فتح الكوَّة من قبره إلى السَّماء لينزل المطر فليس بصحيح، ولا يثبُت إسناده، وإنَّما نَقل ذلك من هو

---

﴿١﴾ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر/ ج٩/ ص٣٣٥٧ - ٣٥٨

﴿٢﴾ وقال الألباني (صحيح) في تحقيق (مشكاة المصابيح) باب زيارة القبور/٣٩٨

معروفٌ بالكذب.[١] انتهي

**قلت**: أهكذا تُردُّ الأحاديث؟ ولا أدري من يقصد في قوله (وإنَّما نَقل ذلك من هو معروفٌ بالكذب) أهُم رجال السَّند الثِّقات؟، أم هو الإمام الحافظ الدَّارمي صاحب السُّنن؟.

إن كان يقصد رجال السَّند فبيننا وبينه كتب الرِّجال، فلا يوجد منهم من اتُّهم بالكذب.

وإن كان يقصد الحافظ الدَّارمي، فتلك داهيةٌ كبرى.

فهل يُعقل أن يَرُد أحدٌ روايةً من الرِّوايات هكذا، بدون النَّظر في سندها ومتنها؟ الَّلهمَّ إلا إن كان الشَّيخ ابن تيميَّة، يطَّلع على الغيب.

٢- ذكر الشَّيخ ابن تيميَّة حديث الكوَّة في (اقتضاء الصَّراط المستقيم) بما يُشعر أنَّ حديث فتح الكوَّة ضعيف، وليس كما ادعى سابقًا بأنَّها غير ثابتة السَّند، ونقلها من هو معروفٌ بالكذب فقال: بل قد رُوي عن عائشة "رضي الله عنها" أنَّها كشفت عن قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لينزل المطر، فإنَّه رحمةٌ تنزل على قبره، ولم تستسق عنده ولا استغاثت هناك.[٢]

**قلت**: يلاحظ القارئ أنَّ ابن تيميَّة لم ينكر الرِّواية - وسوف يقَّويها على ما أذكر لك بعد قليل - ولكنه استخدم التلبيس في كلامه على عادته، ففسَّر فتح الكوَّة، بتفسير عجيب وغريب، لم يسبقه به سابق ولم يلحقه به لاحق، لماذا فُتحت الكوَّة؟ الجواب لينزل المطر على القبر. وما الحكمة من هذا؟ لأنَّه رحمة.

بالله يا ذوي الألباب أيُعقل هذا؟ الم تخش أم المؤمنين من نزول المطر على القبر الشَّريف أن تمتلأ الحجرة التي تسكنها؟ وما وجه استفادة مَنْ أرسله الله رحمة للعالمين بهذا المطر الَّذي هو (رحمة) على حد تعبير شيخ الإسلام؟ ثمَّ في أي كتاب وأي مرجع نقل منه ابن تيميَّة هذا التعليل الكاسد؟ ثمَّ ما هذا الفقه العجيب من أم المؤمنين الصِّديقة الذي نسبه لها؟ أهذا هو فهم السَّلف الصَّالح الذي يريد منَّا إخواننا أن نتعلمه من شيخ الإسلام ولا نعترض عليه، حتى لا نُتهم بالبدعة، والضَّلال، والشِّرك؟

---

﴿١﴾ الرَّد على البكري /ابن تيمية (١٦٣/١) مكتبة الغرباء الأثرية/ المدينة المنورة الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ تحقيق : محمد علي عجال

﴿٢﴾ اقتضاء الصراط المستقيم ج١ / ص ٣٣٨

**أمَّا تقويته لما سبق من كلامه فقوله:** ولهذا لما بُنيت حجرتُه على عهد التابعين – بأبي هو وأمي – ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ – تركوا في أعلاها كوَّة إلى السَّماء وهي إلى الآن باقية فيها، موضوعٌ عليها مشمع على أطرافه حجارة تمسكه، وكان السَّقف بارزًا إلى السَّماء، وبُني كذلك لما احترق المسجد والمنبر، سنة بضع وخمسين وستمائة.﴿١﴾

**قلت:** حرف (اللام) في كلمة (ولهذا) يوضح لك ما يقصد الشَّيخ، فهو أراد أن يقول أنَّ التابعين، اقتدوا بأمِّ المؤمنين، في فتح الكوَّة لإنزال مطر الرَّحمة على حدِّ زعمه.

هكذا يكون العلم لا تحقيق، ولا تدقيق، ولا جرح، ولا تعديل، ما جادت به قريحة الشَّيخ من وهم، زاده وهمًا على وهم. فالتَّابعون يا شيخ: نعم فتحوا كُوَّة فوق القبر الشَّريف، وهي بالفعل باقية لزمانك، والحمد لله أنَّك أقررت أنَّها باقية لزمانك.﴿٢﴾ ولكن ما نقله لنا علماء الإسلام هو أنَّهم فتحوا الكوَّة اقتداءً بأمِّ المؤمنين للاستسقاء بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وقد قدمت للقارئ ما نقله العلاَّمة السَّمهودي عن القاضي الزَّين المراغي نزيل المدينة المنوَّرة قوله: وفتح الكوَّة عند الجدب سنَّة أهل المدينة حتى الآن يفتحون كوَّة في أسفل قبَّة الحجرة، أي القبَّة الزَّرقاء المحترقة في زماننا، يفتحونها من جهة القبلة، وإن كان السَّقف حائلا بين القبر الشَّريف وبين السَّماء.

والقاضي المؤرخ الزَّين المراغي ولد بعد ممَّات الشَّيخ ابن تيميَّة "غفر الله له" بسنة واحدة، حيث أنَّه ولد سنة (٧٢٧ هـ) وتوفي (٧٩٥ هـ) والشَّيخ ابن تيميَّة ولد سنة (٦٦١ هـ) وتوفي سنة (٧٢٨ هـ).

ولا يغيب عن القارئ أنَّ القاضي الزَّين المراغي كان يعيش في المدينة. وقديما قالوا: أهل مكة أدرى بشعابها.

**قلت:** قد رأيتَ أخي القارئ ما علَّل به الشَّيخ ابن تيميَّة من فتح الكوَّة على القبر النَّبوي الشَّريف، وأيد ذلك باقتداء التَّابعين لأم المؤمنين، في فتح كوَّة لإنزال مطر الرَّحمة.

فما رأيك لو قلتُ لك أنَّ الشَّيخ ابن تيميَّة أنكر إنكارًا شديدًا أنَّ أم المؤمنين فتحت كوَّة

---

﴿١﴾ اقتضاء الصراط المستقيم للشيخ ابن تيميَّة ج ٢/ ص ٦١

﴿٢﴾ قلت بل هذه الكوة موجودة إلى الآن فوق القبة الخضراء فوق قبره المعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

على القبر الشَّريف؟ واقرأ وتعجب قال في (الرَّد على البكري): وممَّا يبين كذب هذا أنَّه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوَّة، بل كان باقيا كما كان على عهد النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعضه مسقُوف، وبعضه مكشُوف، وكانت الشَّمس تنزل فيه.﴿١﴾ انتهي

وما دليل الشَّيخ ابن تيميَّة الَّذي – حيَّرنا – على ذلك قال: كما ثبت في الصَّحيحين عن عائشة أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كان يصلي العصر والشَّمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد.

**قلتُ:** هذا تلبيس عجيب، وهل يلزم من ظهور أشعة الشَّمس في الحُجرة أن يكون بعضها مسقوف وبعضها غير مسقوف، ولم يحدد لنا الشَّيخ ابن تيميَّة ما مقدار المسقوف والغير مسقوف. بل أجمع المؤرخون أنَّ الحجرات الشَّريفة حينما بنيت كانت مسقوفة بجريد النَّخل، قال الحافظ في (الفتح): وقد عُرف بالاستفاضة والمشاهدة أنَّ حجر أزواج النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لم تكن متَّسعة. ونقل عن الحافظ عن النَّووي فقال: قال النَّووي: كانت الحجرة ضيقة العَرْصَة﴿٢﴾، قصيرة الجدار، بحيث كان طول جدارها أقل من مسافة العرْصَة بشيء يسير، فإذا صار ظل الجدار مثله كانت الشمس بعد في أواخر العَرْصَة.﴿٣﴾

فالحجرات كان بها رحبة بجوارها، فلعل أشعة الشمس كانت تنزل بها. أما الحُجرات فكانت مسقوفة بالجريد، وفي ذلك يقول الحافظ ابن كثير ناقلا عن السُّهيلي في (الرَّوض): وقال السُّهيلي في (الرَّوض): كانت مساكنه "عليه السَّلام" مبنيَّة من جريد عليه طين بعضها من حجارة مرضُومة﴿١﴾ وسقوفها كلها من جريد.﴿٢﴾ ونقل ابن كثير عن الحسن البصري فقال: قال الحسن بن أبي الحسن البصري – وكان غلاما مع أمه خيرة مولاة أمِّ سلمة – لقد

---

﴿١﴾ الرَّد على البكري لابن تيمية (١٦٣/١) مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ تحقيق: محمد علي عجال

﴿٢﴾ العرْصَة هي: العَرْصَة بفتح المهلتين وسكون الراء بينهما: هي البقعة الواسعة بغير بناء من دار وغيرها.

﴿٣﴾ فتح الباري للحافظ ابن حجر (٢٦/٢) ط دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩ –

﴿١﴾ الرَّضَمُ: حِجارةٌ مُجتَمِعةٌ غيرُ ثابتةٍ في الأرض، كأنَّها منثورةٌ في بطُون الأوديةِ، ويُجْمَع الرَّضَمُ على رِضام. وحِجارةٌ مَرْضومةٌ بعضُها فوقَ بعضٍ.

﴿٢﴾ البداية والنهاية لابن كثير /ج٣ / ص٢٦٨

كنت أنال أطول سقف في حجر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بيديَّ.

قلت: إلا أنه قد كان الحسن البصري شكلا ضخما طوالا رحمه الله.﴿١﴾ انتهي

**قلتُ:** ثمَّ علل الشَّيخ ابن تيميَّة فتح الكوَّة في زمن الوليد بن عبد الملك فقال:

ثمَّ إنَّه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدار عال، وبعد ذلك جعلت الكوَّة، لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنس أو تنظيف.﴿٢﴾ وأمَّا وجود الكوَّة في حياة عائشة فكذب، ولو صح ذلك لكان حجة ودليلا على أنَّ القوم لم يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، ولا يتوسَّلون في دعائهم بميِّت، ولا يسألون الله به، وإنَّما فتحوا على القبر لتنزل الرَّحمة عليه.﴿٣﴾ انتهي

**قلت:** هذا ما قاله الشَّيخ ابن تيميَّة عن حديث فتح الكوَّة الصحيح، وأنت ترى أخي القارئ ويرى كل منصف غير متعصِّب، مدى التَّخبط، والتدَّليس، والتَّهويل، الَّذي جاء به الشَّيخ، ووالله إنَّ الأمر أهون من ذلك كلِّه، فكان يكفيه وهو الموصوف من محبيه بأنَّه كان يستحضر مُتون الأحاديث من دواوين السَنة، والبارع في علم الجرح والتَّعديل، أن ينظر فيما روي عن أمِّ المؤمنين عائشة "رضي الله عنها" بما وضعه أهل صناعة علم الحديث، وهو خبير بها فينظر في السَّند، والمتن، وينقد بالعدل والإنصاف، كما هو مقرر في هذا العلم الشَّريف. أمَّا إنّه يأتي بأعاجيب، ويرد الرَّوايات بمحض الهوى والتعصب للرأي، فهذا لا يقبله مسلم يرعى حرمات الشَّريعة.

والشَّيخ ابن تيميَّة – "رحمه الله وغفر له" – بصنيعه هذا في الكثير من المسائل التي شذَّ بها عن جُمهور الأمَّة، وجانب فيها قواعد وضوابط العلم، فتح بابًا للفتنة من عصره إلى يومنا هذا، حتى استفحل الأمر في العصور المتأخرة، فازدادت حدَّة التكفير، بل وصار الشَّيخ ابن تيميَّة عند البعض ميزانًا يوزن به المسلم، من يتمسك بما شذَّ به عن علماء الأمَّة، فهو سلفي، ومن أتباع السَّلف الصَّالح، ومن أهل السُّنة والجماعة، ومن الفرقة النَّاجية، ومن

---

﴿١﴾ البداية والنهاية لابن كثير/ج٣/ ص٢٦٨

﴿٢﴾ لاحظ هنا أنَّ الشَّيخ ابن تيميَّة علل فتح الكوة فوق القبر النَّبوي الشَّريف، لنزول من يكنس أو ينظف، مخالفا ما قرره سابقا أن فتح الكوة كان لنزول المطر على القبر الشَّريف.

﴿٣﴾ الرَّد على البكري لابن تيمية (١/١٦٤) مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٤١٧

حاد عن منهجه، فهو من أهل البدعة، والضَّلالة، فلمصلحة من هذا؟ لمصلحة من تقام مؤسَّسات، ومجامع علمية، وجامعات، للطعن في عقيدة المسلمين، بحجة الحفاظ على التَّوحيد، وإثارة قضايا فرعيَّة تفرِّق ولا تجمِّع.

ومع أنَّ أمر التَّوسُّل أمرٌ فرعي فقهي، ما رأينا عالما، ولا سمعنا، أنَّه قال أحدٌ: أنَّ التَّوسُّل فرضُ عين على كل مسلم ومسلمة، فمن توسَّل بما قرره لنا فقهاءُ الأمَّة وحفَّاظُها فقد أتى بأمر مباح، ومن لم يتوسَّل، فما أتى ولو بمكروهٍ شرعًا.

ويعلم الله تعالى أنَّني ما بيني وبين الشَّيخ ابن تيميَّة عداوة، فأنا أجله وأحترمه، أمَّا إذا كان ما يقوله يمسُّ الجناب النَّبوي الشَّريف، أو عقائد الأمَّة المجمع عليها، أو فتح أبواب التكفير، فليذهب ولا كرامة.

**أخي القارئ**: بعدما جمح بى القلم، في أودية شُبهات المنكرين، حول حديث فتح الكوَّة، أعود لما بدأت به من ذكر الدَّلائل على التَّوسُّل بسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى، فأقول والله المُستعان:

**٢- توسُّل (رجل) أو سيِّدنا بلال بن الحارث المزني الصَّحابيّ بالنَّبي عند قبره:**

قال العلاَّمة ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري): ورَوى بن أبي شيبة بإسنادٍ صحيح من رواية أبي صالح السَّمان عن مالك الدَّار وكان خازن عمر قال: أصاب النَّاس قحط في زمن عمر فجاء رجلٌ إلى قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال يا رسُول الله: استسق لأمَّتك فإنَّهم قد هلكوا، فأتى الرَّجل في المنام، فقيل له ائت عمر..الخ.

وقد روى سيفٌ في الفتوح، أنَّ الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصَّحابة.﴿١﴾

---

﴿١﴾ ذكرها الحافظ بن حجر في [فتح الباري] وصحح سندها /ج٢/ ص ٤٩٥/ ط دار المعرفة بيروت/ الإصابة لابن حجر العسقلاني/ج٦/ ص ٢٧٤/ ط دار الجيل - بيروت/ الاستيعاب لابن عبد البر/ ج٣/ ص ١١٤٩/ ط دار الجيل - بيروت / والبيهقي في الدلائل / وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٥٩/٤٨٩، وابن أبي شيبة في مصنفه/ ج٦/ ص ٣٥٦ / ط مكتبة الرشد - الرياض / (البداية والنهاية لابن كثير) ج٧/ ص١٠٤/ وقال وهذا إسناد صحيح/ (الإرشاد في معرفة علماء الحديث) للخليلي ج١/ ص١٩٠/ وذكرها ابن تيميَّة في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص٣٧٣

**ووجـه الدَّلالـة مـن هـذا:** توسّل هذا (الرَّجل) أو سيِّدنا بـلال بن الحـارث المزنـي بسيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عند قبره الشَّريف، ولم ينكر عليه الصَّحابة الأجلاء فعله هذا، فهذا إجماع من الصَّحابة على التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى.

وهذا الأثر جاء بسندٍ صحيح صحَّحه الحافظ ابن حجر في (الفتح)، وصحَّحه العلاَّمة ابن كثير في (البداية والنِّهاية)، وقد طعن فيه المنكرون، بما يخالف قواعد أهل العلم وسوف ترى ذلك مفصلا - إن شاء الله - في الفصل اللاَّحق.

**٣- تعليم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كيفية التَّوسُّل به:**

أخرج العلاَّمـة الهيثمي فـي مجمـع الزَّوائد فقال: وعن عثمـان بـن حنيـف أنَّ رجـلاً كـان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجةٍ له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته فلقى عثمان بن حنيف فشكا ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثمَّ ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثمَّ قل:(اللَّهمَّ إني أسألك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نبي الرَّحمة، يا مُحمَّد إنِّي أتوجَّه بك إلى ربي فيقضي لي حاجتي وتذكر حاجتك) ورُحْ إلى حين أروح معك، فانطلق الرَّجل فصنع ما قال له، ثمَّ أتى باب عثمان، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطِّنفسة﴿١﴾ وقال: حاجتك. فذكر حاجته فقضاها له، ثمَّ قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كانت هذه السَّاعة، وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا، ثمَّ إنَّ الرَّجل خرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرًا، ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلفت إلىَّ حتى كلمته فيَّ، فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلَّمْتُه، ولكن شهدتُ رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأتاه رجل ضريرٌ فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو تصبر؟ فقال يا رسُول الله: إنَّه ليس لي قائدٌ وقد شق عليَّ، فقال له النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ائت الميضأة فتوضأ، ثمَّ صلِّ ركعتين، ثمَّ ادع بهذه الكلمات فقال عثمان بن

---

﴿١﴾ الطِّنْفِسَةُ بِكَسْرَتَيْنِ فِي اللُّغَةِ الْعَالِيَةُ وَاقْتَصَرَ عَلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ابْنُ السِّكِّيتِ وَفِي لُغَةٍ بِفَتْحَتَيْنِ وَهِيَ بِسَاطٌ لَهُ خَمْلٌ رَقِيقٌ وَقِيلَ هُوَ مَا يُجْعَلُ تَحْتَ الرَّحْلِ عَلَى كَتِفَيْ الْبَعِيرِ وَالْجَمْعُ طَنَافِسُ. أنظر (المصباح المنير)

حنيف: فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل عليه الرَّجل كأنَّه لم يكن به ضرر قط.

**قلت:** روى الترمذي، وابن ماجة طرفًا من آخره خاليًا عن القصَّة، وقد قال الطَّبراني عقبه: والحديث صحيح بعد ذكر طرقة التي رُوى بها.[١] انتهى

من هذه الرِّواية الصَّحيحة فَهِمَ الصَّحابي، أنَّ الحديث عامٌ لكل المسلمين، وليس بخاص للرَّجل الأعمى، فلو كان المقصود في هذا الحديث التَّوسُّل بدعاء النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لما أرشد سيِّدنا عثمان بن حنيف هذا الرَّجل إلى هذا الدُّعاء. وقد تقدم ذلك فارجع إليه.[٢]

**٤- وذكر العلاَّمة ابن كثير في التفسير عن الإمام العتبي قال:**

كنتُ جالسًا عند قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فجاء أعرابيٌّ فقال: السَّلام عليك يا رسُول الله، سمعتُ الله يقول ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾.[٣] وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بك إلى ربِّي. ثمَّ أنشأ يقول:

| | |
|---|---|
| يَا خَيرَ مَنْ دُفِنتْ بالقَاعِ أعْظمُه | فَطابَ مِنْ طيبهنَّ القَاعُ وَالأكمُ |
| نفسي الفداء لقبر أنْتَ سَاكنُه | فيه العفافُ وفيه الجُودُ والكرمُ |

ثمَّ انصرف الأعرابي فغلبتني عيني فرأيت النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في النَّوم

---

﴿١﴾ مجمع الزوائد للهيثمي /ج٢ /ص ٢٧٩ / ط دار الريان للتراث

﴿٢﴾ تقدم في الفصل السَّابق رد شبهات المنكرين، حول توسُّل الضرير بسيدنا رسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وبينا بوضوح أنَّ الدعاء الذي علمه له النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ليس بخاص بهذا الرجل، وإنما هو عام لكل الأمة على ما فهمه علماء السَّلف والخلف.

﴿٣﴾ سورة النساء: ٦٤

فقال يا عتبي[١] إلحق الأعرابي فبشره أنَّ الله قد غفر له.[٢]

وقد استحسن هذه القصة جمهور الأُمَّة قديمًا وحديثًا في توسّلهم بحضرة الرسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عند زيارته في روضته الشَّريفة. ومن العلماء الذين ذكروا هذه القصة من المفسِّرين والفقهاء واستحسنوها على سبيل المثال لا الحصر:

١- الإمام الماوردي المتوفى سنة [٤٥٠ هـ] في الأحكام السلطانية ج١ / ص١٩٥

٢- الإمام الحافظ البيهقي المتوفى سنة [٤٥٨ هـ] في شعب الإيمان ج٣ / ص ٤٩٥

٣- القاضي عياض المتوفى سنة [٤٦٧ هـ] في كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى

٤- ابن الجوزي الحنبلي المتوفى سنة [٥١٠ هـ] في المنتظم ج٩ / ص ٩٣

٥- السيِّد عبد القادر الجيلاني الحنبلي المتوفى سنة [٥٦١ هـ] في كتابه الغنية

٦- ابن خلكان المتوفى سنة [٦٨١ هـ] في وفيات الأعيان ج٥/ ص ١٣٦

٧- القرطبي المتوفى سنة [٦٧١ هـ] في تفسيره ج٥/ ص ٢٦٥-٢٦٦

٨- الإمام النووي المتوفى سنة [٦٧٦ هـ] في المجموع ( ج٨ / ص ٢٧٤)

٩- الشَّيخ القرافي المتوفى سنة [٦٨٤ هـ] في الذخيرة ج ٣ / ص ٣٧٥-٣٧٦

١٠- النَّسفي المتوفى سنة [٧١٠ هـ] في تفسيره ج١/ ص ١ / ص ٢٣٠-٢٣١

١١- ابن قدامة المقدسي المتوفى سنة [٧٤٤ هـ] في المغني ج ٣ / ص ٢٩٧-٢٩٩

١٢- الشَّيخ أبو حيان المتوفى سنة [٧٤٥ هـ] في تفسير المحيط ج٤/ ١٨٠

١٣- ابن كثير المتوفى سنة [٧٧٤ هـ] في تفسيره ج١/ ص٢٥٠-٥٢١

١٤- ابن الملقن المتوفى سنة [٨٠٤ هـ] في غاية السول ص ١٨٣

١٥- العلاَّمة الحصني المتوفى سنة [٨٣٩ هـ] في دفع شبه ص ١١٥

١٦- الكمال ابن الهمام المتوفى سنة [٨٦١ هـ] في فتح القدير ج٣ / ص ١٧٩-١٨١

١٧- الثعالبي المتوفى سنة [٨٧٥ هـ] في تفسيره ج١/ ص ٣٢٤

---

﴿١﴾ العتبي هو: محمد بن عبد الله، بن عمرو، بن معاوية، بن عمرو بن عتبة، بن أبي سفيان: صخر بن حرب، كان من أفصح النَّاس، صاحب أخبار، ورواية للأدب، وحدَّث عن أبيه، وسفيان بن عيينة، توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، يكنى أبا عبد الرحمن.

﴿٢﴾ تفسير ابن كثير ج٢ / ص٣٤٨

١٨- ابن مفلح الحنبلي المتوفى سنة [٨٨٤ هـ] في المبدع ج٣ / ص ٢٥٩

١٩- الحافظ السُّيوطي المتوفى سنة [٩١١ هـ] في الدر المنثور ج١ / ص ٤٧٥

٢٠- الإمام الفقيه السَّمهودي المتوفى سنة [٩١١ هـ] في خلاصة الوفا / ج١/ ص٤٥

٢١- الإمام الصَّالحي المتوفى سنة [٩٤٢ هـ] في سبل الهدي/ ج١٢/ ص٣٩٠

٢٢- الحافظ ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة [٩٧٤ هـ] في الجوهر المنظم

٢٣- الشرنبلالي الحنفي المتوفى سنة [١٠٦٩ هـ] في نور الإيضاح ج١ / ص ١٥٥

٢٤- الفقيه الجاوي المتوفى سنة [١٣١٥ هـ] في نهاية الزين ج١/ ص ٢٢٠- ٢٢١

**أخي الحبيب:** ماذا لو قال لك أحدهم أنَّ هؤلاء السَّادة العلماء الأجلاء السَّابق ذكرهم مبتدعون، وقد أقروا في كتبهم الشِّرك الأكبر، لأنهم ذكروا قصة الأعرابي، وطلبه من حضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الشَّفاعة؟ ماذا لو أنَّ أحدًا اتهم هؤلاء العلماء السابقين ممن ذكرنا لك وممَّن لم نذكر، أنَّهم مخالفون لإجماع الصَّحابة، والتابعين، وسائر المسلمين، وأنَّهم أحدثوا من الشِّرك والعبادات ما لم يأذن به الله؟

**واقرأ بتمعن ما قاله الشَّيخ ابن تيميَّة:**

ومنهم من يتأول قوله تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ يقولون إذا طلبنا منه الإستغفار بعد موته كنَّا بمنزلة الَّذين طلبوا الاستغفار من الصَّحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصَّحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر المسلمين، فإن أحداً منهم لم يطلب من النَّبي بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئا ولا ذكر ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين في كتبهم. ا.هـ

**ويقول:** فهذه الأنواع من خطاب الملائكة، والأنبياء، والصَّالحين بعد موتهم عند قبورهم، وفي مغيبهم، وخطاب تماثيلهم، هو من أعظم أنواع الشِّرك الموجود في المشركين، من غير أهل الكتاب، وفي مبتدعة أهل الكتاب، والمسلمين الَّذين أحدثوا من الشِّرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى.﴿١﴾ ا.هـ

---

﴿١﴾ الفتاوى [ج ١ / ص ١٥٩]

فبالله عليك انظر، ودقق، وحقق، وإيَّاك والعصبية، وادعاء العصمة للشَّيخ ابن تيميَّة فالقضية ليست قضية أشخاص، فالقضية خطيرة خطيرة، أين إجماع الصَّحابة والتَّابعين وسائر المسلمين وأئمة المسلمين، من أين نقل الشَّيخ ابن تيميَّة هذا الإجماع؟ من أي كتاب ومن أي مرجع؟ ومَنْ مِن السَّادة العلماء الذين تقدموه ذكر هذا الإجماع؟ وقد ذكرتُ لك أخي الحبيب عن أجل علماء الأُمَّة المُحمَّديَّة قصة الأعرابي، ممَّن سبق الشَّيخ ابن تيميَّة وممَّن أتى بعده حتى من تلامذته كالعلاَّمة ابن كثير، نقلوا قصَّة الأعرابي واستحسنوها وقلَّما تجد كتابًا من كُتب الفقهاء من المذاهب الأربعة، لم يذكر هذه القصَّة، فأين هذا الإجماع الذي ذكره الشَّيخ ابن تيميَّة؟ أين هو؟

**أوقع الشَّيخ ابن تيميَّة مَنْ بعده بين خيارين:**

إمَّا أن نتهم هؤلاء السَّادة العلماء من الحفَّاظ والفقهاء ممَّن ذكرنا وممَّن لم نذكر، الَّذين نقلوا قصَّة الأعرابي واستحسنوها، بالشِّرك الأكبر على حدِّ تعبير الشَّيخ ابن تيميَّة، وهذا يقتضي يقينا طرحُ كُتبهم وعدم الأخذ بها.

وإما أنَّه أخطأ في نقله إجماعا لم يكن من قبل ولادته ولو بيوم واحد، ولا حتى من بعد موته بيوم واحد، لأنَّ هذا الإجماع الذي ذكره، لن يستطع أتباع الشَّيخ ابن تيميَّة أن يأتوا به من أي كتاب ممَّن سبقه، ولو كان بعضُهم لبعض ظهيرًا.

وَصلَّى الله علىٰ سيِّدنا مُحمَّد وعلىٰ آل سيِّدنا مُحمَّد

## مُناداة النَّبيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله

ممَّا تمسك به المنكرون للتَّوسّل بالأنبياء والصَّالحين بعد انتقالهم إلى الرَّفيق الأعلى قول الله تعالى ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[١] وقصدوا بذلك أنَّ مَنْ يزور مسجد الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لا يناديه قائلاً يا رسُول الله، أو يا نبيَّ الله، ومن باب أولى منعوا ذلك إذا كان بعيدًا عن مسجده، بل ويحكُمون بالكفر، أو الشِّرك على من ينادي نبيًا، أو صالحًا في حال غيبته، أو بعد انتقاله إلى الحياة البرزخيَّه ويستشهدون بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾.[٢] وقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ﴾.[٣] وهم بذلك لا فرق عندهم بأن تدعوا صنمًا، أو نبيًا، أو صالحاً، - وأستغفر الله - ولا يفرِّقون بين دعاء العبادة من دون الله، والطَّلب من العبد فيما يقدر عليه. وصدق ابن عمر في قوله عن الخوارج: «إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتٍ نَزَلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَى المُؤْمِنِينَ».[٤]

**وردًا على هذه الشُّبهة أقول مستعينا بالله:**

أما الدُّعاء المقصود منه في هاتين الآيتين فهو دعاءُ العبادة، وإشراك إله مع الله، يُعبد من دون الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"، فمن اعتقد اعتقاداً جازماً بالشَّريك مع الله، أو يشبه الله "جلَّ وَعَلا"، أو يملك النَّفع والضُّر على الحقيقة، يبيِّن له السَّادة العلماء خطأه وجهله ببيان شاف كافٍ، فإن أصرَّ على معتقده بعد شرح عقيدة التَّوحيد له، فهذا مرتدٌ وكافرٌ بإجماع المسلمين، أمَّا أن نسارع بتكفيره، وإخراجه من حَظيرَة الإيمان، فهذا خطأٌ شنيعٌ.

وأما دعاء الأنبياء والصَّالحين بمعنى النِّداء، والطَّلب منهم فيما يقْدِرُون عليه، سواء في

---

﴿١﴾ سورة الجن:١٨

﴿٢﴾ سورة الأعراف:١٩٤

﴿٣﴾ سورة الحج:٧٣

﴿٤﴾ صحيح البخاري (١٦/٩)

الحياة، أو بعد انتقالهم إلى الرَّفيق الأعلى، فهذا يجوز ولا إشكال فيه، ولقد ثبت بأكثر من دليل وقوع ذلك من الأُمَّة المُحمَّديَّة، وذكر ذلك الحفاظ. منها على سبيل المثال:

**١- السيِّدة فاطمة "عليها السَّلام" تنادي على أبيها ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس قال: لمَّا ثقُل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ جعل يتغشَّاه، فقالت فاطمة "عليها السَّلام": واكرب أبتاه فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه: أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه: مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة "عليها السَّلام": يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ التراب.﴿١﴾

**٢- السيِّدة زينب "عليها السَّلام" تُنادي على جدِّها ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾**

ذكر الإمام الطَّبري في التَّاريخ: عن قرة بن قيس التَّميمي قال: قول زينب ابنة فاطمة حين مرَّت بأخيها الحسين صريعًا، وهي تقول ( يا مُحمَّداه يا مُحمَّداه ) صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء مرَّمل بالدِّماء، مقطع الأعضاء، يا مُحمَّداه وبناتك سبايا وذريتك مقتلة، تسفي عليها الصَبا. قال: فأبكت والله كل عدو وصديق.﴿٢﴾

**٣- الصَّحابة ينادون الرسُول في معركة اليمامة:**

ذكر الحافظ ابن كثير أنَّ شعار المسلمين في موقعة اليمامة كان [مُحمَّداه] قال:

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال، وحمل فيهم حتى أبعدهم، وأصيب "رضي الله عنه" وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة، وجعل يترقب أن يصل إليه فيقتله ثمَّ رجع، ثمَّ وقف بين الصفين ودعا البراز وقال:

أنـا ابـن الوليـد العـود    أنـا ابـن عـامر وزيـد

ثمَّ نادى بشعار المسلمين وكان شعارهم يومئذ ( يا مُحمَّداه ) وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتله، ولا يدنو منه شيء إلا أكله.﴿٣﴾

---

﴿١﴾ رواه البخاري / ج ٤ / ص ١٦١٩ / رقم ٤١٩٣ / ط دار ابن كثير اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ الطبري في التاريخ / ج٣ / ٣٣٦ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

وابن كثير في البداية والنهاية ج٨ / ص ١٩٣

﴿٣﴾ الطبري في التاريخ / ج٢ / ص٥١٣ / البداية والنهاية لابن كثير ج٦/ ص٣٥٧

**٤- النِّداء على الرسُول الكريم بالسَّلام عليه في الصَّلاة وفي غيرها:**

من المعلوم أيضًا أننا نقول في كل تشهد في الصَّلاة (السَّلام عليك أيها النَّبي ورحمة الله وبركاته) ولفظ (أيَّها النَّبي) أليس هو من صيغ النِّداء. وكذلك من علامات المحبَّة لرسُولنا إلقاء السَّلام عليه حتى في خارج الصَّلاة، ودليل ذلك حديث النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الذي رواه الإمام أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرُدَّ عليه السَّلام.﴿١﴾

**٥- (رجل) ينادي الرسُول ويطلب منه أن يستسقي لأمته:**

قد تقدم أنَّ رجلاً جاء إلى قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: يا رسُول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتى الرَّجل في المنام، فقيل له ائت عمر..الحديث.

وقد روى سيف في الفتوح، أن الذي رأى المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصَّحابة. ﴿٢﴾

وروى سيف عن مبشر بن الفضيل، عن جبير بن صخر، عن عاصم بن عمر بن الخطَّاب أن رجلاً من مزينة عام الرَّمادة سأله أهله أن يذبح لهم شاة فقال: ليس فيهن شيء فألحوا عليه فذبح شاة فإذا عظامها حُمر فقال: ( يا مُحمَّداه )....إلى آخر ما قال﴿٣﴾

**٧- تعليم سيِّدنا عثمان بن حنيف لرجل في خلافة سيِّدنا عثمان الدعاء وفيه مناداة الرسُول الأكرم:**

حديث سيِّدنا عثمان ابن حنيف الذي قال فيه: يا رسُول الله إني أتوجَّه بك إلى ربي في حاجتي...الحديث. حيث ثبت الدعاء بهذا الدعاء بعد انتقال النَّبي في عهد سيِّدنا عثمان وقد سبق ذكر الحديث في التَّوسُّل بالنَّبي بعد البعثة فراجعه هناك.

---

﴿١﴾ أخرجه الإمام أحمد في المسند (ج٢/ ٥٢٧). وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (ج٢/ ٥٣٤) وعزاه السخاوي في القول البديع (ص ١٦١) إلى الطبراني والبيهقي، وصححه النووي في رياض الصالحين وفي الأذكار، وقال الحافظ ابن حجر: رجاله ثقات، كما في فيض القدير.

﴿٢﴾ البداية والنهاية لابن كثير / ج ٦/ ص ٣٢٤/ ابن الأثير في الكامل ج ٢/ ص ٢٢١/ فتح الباري/ ج٢/ ص ٤٩٥/ ط دار المعرفة بيروت

﴿٣﴾ البداية والنهاية لابن كثير / حوادث سنة ثمان عشر / ج٧/ ص ١٠٥

**٩- السيِّدة الجليلة صفيَّة بنت عبد المُطلب تنادي على رسُول الله:**

جاء في المواهب اللَّدنية أنَّ السيِّدة صفيَّة بنت عبد المطلب رثت الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بقصيدة مطلعها:

ألاَ يا رَسُولَ الله كُنتَ رَجائنا وكُنت بنا برًا ولمْ تكُ جافيًا ﴿١﴾

**١٠- سيِّدنا أبو بكر ينادي على رسُول الله:**

عن عائشة أنَّ أبا بكر دخل على النَّبي﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد وفاته فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه، وقال وانبياه واخليلاه واصفياه.﴿٢﴾

**١١- أخت السيِّدة عائشة وإرادتها الشَّكوى لرسُول الله:**

ذكر العلاَّمة ابن عبد البَّر في (الاستيعاب) والعلاَّمة ابن عساكر في (تاريخ دمشق):

عن إسماعيل بن أبي خالد قال: خطب عمر بن الخطَّاب أم كلثوم بنت أبي بكر إلى عائشة فأطمعته، وقالت: أين المذهب بها عنك؟ فلما ذهبت قالت الجارية تزوجيني عمر وقد عرفت غيرته وخشونة عيشه، والله لئن فعلت لأخرجن إلى قبر رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولأصيحن به... إلى آخر ما ذكر.﴿٣﴾

**١٢- سيِّدنا عيسي ينادي على نبيِّنا ويجيبه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج أبو يعلي، وابن عساكر، بإسناد صحيح، عن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: سمعت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده، لينزلنَّ عيس بن مريم، إمامًا مقسطًا وحكمًا عدلاً، فليكسرنَّ الصليب، ويقتلنَّ الخنزير، وليصلحنَّ ذات البين، وليذهبن الشَّحناء، وليعرضنَّ المال فلا يقبله أحد، ثمَّ لئن قام على قبري فقال يا مُحمَّد لأجبته.﴿٤﴾

**قلت:** مهلاً يا روح الله، يا نبيَّ الله، لا تخاطب النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد

---

﴿١﴾ بيان للناس من الأزهر الشَّريف / ج ٢/ ص ١٠٢/ ط مطبعة الأزهر

﴿٢﴾ مسند أحمد / ج ٦/ ص ٣١/ ط مؤسسة قرطبة - مصر

﴿٣﴾ الاستيعاب /ج٤ / ص ١٨٠٧- ١٨٠٨ / تاريخ دمشق لابن عساكر/ج٢٥- ص٩٦

﴿٤﴾ مجمع الزوائد للهيثمي/ج ٨- ص ٢١١ / قال الهيثمي: قلت: هو في الصحيح باختصار، رواه أبو يعلي ورجاله رجال الصحيح. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٧٣٣

انتقاله، لأنَّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة، أخبر أنَّه لن يُجيبك رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولن أستطع أن أكمل والعيَاذ بالله وأستغفر الله العظيم، وإنما أنقل كلامه بحروفه من كتبه:

**يقول:** وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب إذْ كانت عائشة "رضي الله عنها" فيها وبعد ذلك، إلى أن بُني الحائط الآخر، وهم مع ذلك التَّمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه، لا لسلام، ولا لصلاة عليه، ولا لدعاء لأنفسهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشَّيطان يطمع فيهم، حتى يُسمعهم كلامًا، أو سلامًا، فيظنون أنَّه هو كلمهم وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو قد ردَّ عليهم السَّلام بصوت يُسمع من خارج كما طمع الشَّيطان في غيرهم، فأضلَّهم عند قبره، وقبر غيره، حتى ظنُّوا أنَّ صاحب القبر يحدثهم، ويفتيهم، ويأمرهم، وينهاهم في الظاهر، وأنَّه يخرج من القبر، ويرونه خارجا من القبر.﴿١﴾

**قلت: لنا هنا عدة ملاحظات على كلام الشَّيخ ابن تيميَّة:**

١- ألم يقرأ الشَّيخ ابن تيميَّة هذا الحديث السَّابق، الذي أخرجه أبو يعلي، وابن عساكر بسند صحيح، فلم سكت عنه؟ ولا أظنه غابت عنه النُّقول السَّابقة، وهو الموصوف بالتبحر في علم الحديث، حتى قالوا: أنَّ كل حديث لا يعرفه ابن تيميَّة فهو غير صحيح.

٢- في أي كتاب على وجه البسيطة أنَّ صحابة الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وُصِفوا بهذا الجفاء، واللامبالاة بالقبر النَّبوي الشَّريف، حتى أنَّهم يدخلون بجوار قبره فلا يسلمون على حضْرته، ولا يصلون عليه؟ اللَّهمَّ غفرانك.

٣- كيف تطيب نفس ابن تيميَّة ويذكر أنَّ الشَّيطان عليه لعنة الله تعالى، إذا سلم أحدٌ على النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يرد عليه السَّلام، ويوهم السَّامع أنَّ هذا الرَّد من النَّبي نفسه.

٤- ومن التناقض العجيب أنَّ ابن تيميَّة نفسه، ذكر أنَّ سماع السَّلام من قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو من قبور الصَّالحين حقٌ.

---

﴿١﴾ الفتاوى /ج ٢٧ – ص ٣٨٨

**واقرأ وتعجب قال:** ولا يدخل في هذا الباب: ما يُروى مِنْ أنَّ قوماً سَمِعوا ردَّ السَّلام من قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، أو قبور غيره من الصَّالحين. وأنَّ سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس ممَّا نحن فيه.﴿١﴾ انتهى.

بل ويذكر من جملة كرامات الأولياء الصَّالحين، أنَّ سيِّدنا سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان أيام موقعة الحرة من قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:

وكان سعيد بن المسيب في أيام الحرة يسمع الأذان من قبر رسُول الله في أوقات الصَّلوات، وكان المسجد قد خلا فلم يبق غيره.﴿٢﴾

**أخي:** أليس من حق كل طالب علم، أن يسأل ابن تيميَّة لماذا يقر بسماع السَّلام من القبر النَّبوي الشَّريف، أو من قبور الصَّالحين، ويقول: ( فهذا كله حق؟.

**ثمَّ في موضع آخر يقول:** ولا كان الشَّيطان يطمع فيهم، حتى يُسمعهم كلاما أو سلاما فيظنون أنَّه هو كلمهم، وأفتاهم، وبين لهم الأحاديث، أو قد ردَّ عليهم السَّلام بصوت يُسمع من خارج.

ولماذا يعد سماع الأذان من قبر المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كرامة من كرامات الأولياء؟.

**وفي موضع آخر يقول:** إنَّ الشَّيطان يرد السَّلام على من سلم على النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾؟ أفيجوز لنا أن نقول أنَّ سعيد ابن المسيب سمع الأذان من الشَّيطان والعياذ بالله؟.

مَنْ مِنْ سلف الأمّة قال: إنَّ الشَّيطان عليه لعنة الله، يقف بالمرصاد في الرَّوضة الشَّريفة، التي هي روضة من رياض الجنَّة، وكل من يرد السَّلام على الحضرة المُحمَّديَّة يسارع إبليس فيرد السَّلام، فيظن السَّامع أنَّه نال الشَّرف الأعلى، والبشارة الكُبرى وسمع سلام نبيه، وحبيبه، ومصطفاه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾؟.

---

﴿١﴾ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميَّة/ج٢/ ص٢٢٧

﴿٢﴾ الفتاوى /ج١١/ ص ٢٨٠، ٢٨١٩

**ومن العجيب** أنَّه أثبت وقوع الكرامات، وخوارق العادات عند قبور الأنبياء والصَّالحين، ومن جملتها توقي الشَّياطين والبهائم لها فقال:

وكذلك ما يُذكر من الكرامات، وخوارق العادات، التي توجد عند قبور الأنبياء والصَّالحين مثل نزول الأنوار، والملائكة عندها، وتوقي الشياطين، والبهائم لها، واندفاع النَّار عنها، وعمن جاورها، وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى، واستحباب الاندفان عند بعضهم، وحصول الأنس والسَّكينة عندها، ونزول العذاب بمن استهانها – فجنس هذا حق – ليس ممَّا نحن فيه. وما في قبور الأنبياء والصَّالحين، من كرامة الله ورحمته، وما لها عند الله من الحُرمة، والكرامة، فوق ما يتوهمه أكثر الخلق.﴿١﴾

٥- وانظر إلى قوله: (وأنَّه يخرج من القبر ويرونه خارجًا من القبر) منكرًا بذلك خروج النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من قبره.

ويكفي في الردِّ عليه من كلامه، أنَّه أثبت الخروج من القبر، لمن لا يقاس به حضرة المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال في الفتاوى:

وقد يقوى الأمر حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يُرى خارجًا من قبره، والعذاب عليه وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه، ويمشي ويخرج من قبره، وقد سَمِع غير واحدٍ أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شُوهد من يخرج من قبره وهو معذب.﴿٢﴾

**اقرأ وتدَّبر**: ها هو شيخ الإسلام يثبت بنفسه خروج الميِّت من القبر، بل وقد شُوهد ذلك، فكيف لا يُرى المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو أكمل الخلق حياةً في قبره الشَّريف، فإن كان الشَّيخ ابن تيميَّة يثبت خروج الميِّت من قبره، بما تواتر من رؤية بعض الأموات يخرجون من قبورهم ويمشون، فلقد تواتر عن جمعٍ من الصَّالحين رؤيتهم للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في اليقظة، ثمَّ ما وجه الاستحالة أن يكشف الله تعالى بقدرته لولي من أوليائه، فيرى حضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقظةً، ويسمع كلامه إذا كان الفاعل هو الله، والله على كل شيء قدير.

---

﴿١﴾ اقتضاء الصراط المستقيم ج٢/ ص٢٢٩

﴿٢﴾ الفتاوى لابن تيميَّة ج

أمَّا ما يقوله ابن تيميَّة فكلام لا دليل عليه من الكتاب، ولا من السُّنة، ولا من إجماع العلماء، على استحالة رؤية الأنبياء، أو الملائكة يقظةً، وسماع كلامهم، ولأنَّه ورد بالأدلة الصحيحة أنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم، ونبيُّنا أخبر كما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول: (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ، ولاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيطان بِي).﴿١﴾

ولقد فسَّر كثير من علماء الأُمَّة هذا الحديث الصحيح على ظاهره، أنَّه يراه في الدُّنيا.

**١٣- ثلاثة من حفاظ الأُمَّة يشكون إلى رسُول الله الجوع:**

كان ابن المقرئ﴿٢﴾ يقول: كنت أنا والطبري﴿٣﴾ وأبو الشَّيخ﴿٤﴾ بالمدينة، فضاق بنا الوقت ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر وقلت: يا رسُول الله الجوع. فقال لي الطبراني: اجلس، فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشَّيخ فحضر الباب علويٌّ ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال شكوتم إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فرأيته في النَّوم فأمرني بحمل شيء إليكم. ا.هـ ﴿١﴾

---

﴿١﴾ أخرجه البخاري في كتاب التعبير . باب من رأى النَّبي – صلى الله عليه وسلم – في المنام ، ٩/ ٤٢

﴿٢﴾ ابن المقرئ: محدث أصبهان، الإمام الرَّحال، الحافظ، الثقة، أبو بكر مُحمَّد بن إبراهيم ابن على بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن المشهور بابن المقرئ، صاحب المعجم الكبير، والأربعين حديثا، قال ابن مردويه: هو ثقة مأمون، صاحب أصول. وقال أبو نعيم: محدث كبير ثقة، صاحب مسانيد، سمع ما لا يحصى كثرة. مات في شوال سنة إحدى وثمانين وثلاث مائة. أنظر (تذكر الحفاظ) للقيسراني ج٣/ ص٣٩٤

﴿٣﴾ الطبراني هو: الإمام، الحافظ، الثقة، الرَّحال الجوَّال، محدِّث الإسلام، علم المعمرين، أبو القاسم، سليمان بن أحمد، بن أيوب، بن مطير، اللخمي، الشامي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة. مولده بمدينة عكا في شهر صفر سنة ستين ومئتين، وقد عاش الطبراني مئة عام وعشرة أشهر. قال أبو نعيم الحافظ: توفي الطبراني لليلتين بقيتا من ذي القعدة، سنة ستين وثلاث مئة بأصبهان.(تاريخ الإسلام) للذهبي ج١٦ / ص١١٩

﴿٤﴾ أبو الشَّيخ الإمام الحافظ الصادق، محدث أصبهان، أبو مُحمَّد، عبد الله، بن مُحمَّد، بن جعفر، بن حيان المعروف بأبي الشَّيخ، صاحب التصانيف. ولد سنة أربع وسبعين ومائتين. قال ابن مردويه: ثقة مأمون صنف التَّفسير، والكتب الكثيرة في الأحكام، وغير ذلك. وقال أبو بكر الخطيب: كان أبو الشَّيخ حافظا، ثبتا متقنا. وقال أبو القاسم السوذرجاني: هو أحد عباد الله الصالحين، ثقة مأمون. توفي في سلخ المحرم، سنة تسع وستين وثلاث مئة. أنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام) للحافظ الذهبي ج١٦/ ص٢٧٦

﴿١﴾ تذكرة الحفاظ للقيسراني /ج٣/ ص ٩٧٣، ٩٧٤ / سير أعلام النبلاء للذهبي /ج١٦/ ص٤٠٠-٤٠١

**والشَّاهد:** استغاثة هؤلاء الحفاظ من علماء السَّلف بسيِّدي رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

وممَّا لا يخفي عليك أخي القارئ: أنَّ الشَّكوى لرسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والاستغاثة به بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى، ممَّا يَعدُّه المغالون من الشِّرك الأكبر المخرج من الملَّة.

فبالله عليكم كيف تُقبل بعد هذا مصنَّفات هؤلاء الحفاظ الأعلام في الحديث النَّبوي الشَّريف؟ ثمَّ كيف خفي على هؤلاء الحفَّاظ أنَّ فعلهم هذا من الشَّرك الأكبر؟

**١٤- أهل المَدينة المنوَّرة استجاروا بحضرة المَعصُوم:**

ذكر ذلك الحافظ ابن كثير في [البداية والنِّهاية] عند ذكر النَّار التي ظهرت شرقيِّ المدينة المنوَّرة، في أول جمعة من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين وستمائة، فقال ناقلا عن العلاَّمة أبي شامة: ثمَّ ظهرت النَّار لها ألسنٌ تصعد في الهواء إلى السَّماء حمراء كأنَّها القلعة، وعظمت وفزع النَّاسُ إلى المسجد النَّبوي وإلى الحُجرة الشَّريفة، واستجار النَّاس بها، وأحاطوا بالحُجرة وكشفوا رؤوسهم، وأقروا بذنوبهم، وابتهلوا إلى الله تعالى واستجاروا بنبيه عليه الصَّلاة والسَّلام؟ ﴿٢﴾

**قلت:** [مساكين] أهل مدينة رسُول الله، فإنهم فعلوا فِعلَ أهلِ الشِّرك من النَّصارى وخالفوا جُموع الصَّحابة، وخالفوا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وخالفوا الأئمَّة لأنَّهم استجاروا برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

ومهلا ليس هذا حكمي أنا، إنما هو حكم شيخ الإسلام ابن تيميَّة، والذي كان عمره وقتها ما يقرب من السَّابعة والعشرين، لأنَّه ولد سنة (٦٢٧هـ) وأنقل لكم قوله من مجموع الفتاوى يقول: وأمَّا الزِّيارة البدعيَّة وهي زيارة أهل الشِّرك، من جنس زيارة النَّصارى يقصدون دعاء الميِّت، والاستعانة به، وطلب الحوائج عنده، فيصلون عند قبره ويدعون به، فهذا لم يفعله أحدٌ من الصَّحابة، ولا أمر به رسُول الله، ولا استحبه أحدٌ من سلف الأُمَّة وأئمتها. ا.هـ ﴿١﴾

---

﴿٢﴾ البداية والنهاية /ج ١٣/ ص ١٨٨- ١٩٢

﴿١﴾ الفتاوى ( ج٢٤ –ص ٣٢٧ )

**فيا أيُّها العاقل:** تدبر وتفكر في هذا الأمر الخطير، وتصور معي كم كان عدد أهل مدينة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ حين ذاك الأمر، وسأترك لك تقدير عددهم على أقل الأحوال، وما تقدره من عدد، على فكر الشَّيخ ابن تيميَّة ومن تبعه (كفَّار) والعياذ بالله.

**١٥- شعار المُشركين في موقعة ذي قار هو ذكر اسم النَّبي (مُحمَّد):**

ذكر الألباني في السِّلسلة الضَّعيفة فقال: ((فائدة): قال الحافظ: "و يوم ذي قار من أيَّام العرب المشهورة كان بين جيش كسرى و بين بكر بن وائل لأسباب يطول شرحُها قد ذكرها الأخباريون، و ذكر ابن الكلبي أنَّها كانت بعد وقعة بدر بأشهر، قال: و أخبرني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: ذكرتُ وقعة ذي قار عند النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: ذاك أول يوم انتصف فيه العربُ من العجم، و بي نُصروا ".

قلتُ: هذه الكلمة "وبي نصروا" رواها الطبراني من طريق خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده فذكر قصَّة إرسال النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أبا بكر إلى بكر بن وائل و عرضه الإسلام عليهم و فيه: قالوا: حتى يجيء شيخنا فلان - قال خلاد: أحسبه قال: المثنى بن خارجة - فلمَّا جاء شيخهم عرض عليهم أبو بكر "رضي الله عنه" قال: إنَّ بيننا وبين الفرس حربًا فإذا فرغنا ممَّا بيننا و بينها عُدنا فنظرنا، فقال أبو بكر: أرأيتَ إن غلبتمَّوهم أتتبعُنا على أمرنا؟ قال: لا نشترط لك هذا علينا، و لكن إذا فرغنا فيما بيننا و بينهم عُدنا فنظرنا فيما نقول، فلما التقوا يوم ذي قار هم و الفرس قال شيخهم: ما اسم الرَّجل الذي دعاكم إلى الله؟ قالوا: مُحمَّد، قالوا: هو شِعَارُكم فنُصروا على القوم، فقال رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: بي نُصروا.) قال الهيثمي ( ٦ / ٢١١ ): ورجاله ثقات رجال الصَّحيح غير خلاد بن عيسى و هو ثقة ".[٢]

---

﴿٢﴾ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة للألباني (٢/٤٨/٤٩)

## التَّوسُّل بآثار النَّبيِّ بعد انتقاله إلى حضرة ربه

قد توهَّم المنكرون أنَّ التَّبرك والتَّوسُّل بآثار الأنبياء والصَّالحين في حال حياتهم فقط بل وعدُّوا كل من يتبرَّك بآثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله من المشركين أو وسيلة إلى الشِّرك، وهذا من الغلط الشَّنيع والجهل الذَّريع، بشريعة النَّبي الشفيع، لورود الأدلة الصَّحيحة على جواز ذلك، وإليك بعض الآثار الواردة في توسّل الصَّحابة والتَّابعين بالتَّبرك بآثاره الشَّريفة، بعد انتقاله إلى حضرة ربه الكريم.

### ١- التَّبرك بالأماكن التي صلَّى فيها الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

أخرج البخاري في صحيحه عن موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله﴿١﴾ يتحرَّى أماكن من الطَّريق فيصلَّى فيها، ويحدّث أنَّ أباه كان يصلَّى فيها، وأنَّه رأى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يصلَّى في تلك الأمكنة، وحدثني نافع عن بن عمر أنَّه كان يصلَّى في تلك الأمكنة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلا وافق نافعاً في الأمكنة كلها، إلا أنَّهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء﴿٢﴾.﴿٣﴾

### ٢- تبرك عبد الله بن عمر بطريق مرَّ فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

قال الحافظ الذهبي في [سير أعلام النبلاء] : عن عاصم الأحول عن من حدثه قال: كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظنَّ به شيئا ممَّا يتتبَّع آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وقال: عن نافع، عن ابن عمر، أنَّه كان في طريق مكة يقول برأس راحلته يثنيها ويقول لعل

---

﴿١﴾ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب القرشي العدوي، أبو عمر، أو أبو عبد الله المدني، أحد الفقهاء السبعة، وكان ثبتا، عابدا، فاضلا، كان يشبَّه بأبيه في الهدي، والسَّمت، من كبار الثالثة، مات في آخر سنة ست ومائة على الصحيح. تقريب التهذيب ج١/ ص٣٣٥

﴿٢﴾ الرَوْحَاء: قرية جامعة لمزينة، على ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلا. وعن أبي هريرة "رضي الله عنه" قال: سمعت رسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يقول: (والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج الروحاء، حاجاً أو معتمراً، أو ليثنينهما) رواه مسلم. أنظر (الروض المعطار في خبر الأقطار) لمُحمَّد بن عبد المنعم الحِميري ج١/ ص٢٧٧

﴿٣﴾ رواه البخاري / ج١ / ص ١٨٣/ ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

خفاً يقع على خف، يعني خف راحلة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[١]

**٣- تبرك سيِّدنا عبد الله بن عمر بآثار حبيبه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عن عبد الله بن نمير، عن عاصم، عمن حدَّثه قال: كان ابن عمر إذا رآه أحدٌ ظنَّ أنَّ به شيئا من تتبعه آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[٢]

**شبهة ابن تيميَّة فيمن يصلى في المواضع التي صلى فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والرَّد عليها:**

من المعلوم أنَّ سيدنا عبد الله بن عمر "رضي الله عنهما" ورد كما في الصحيح وغيره أنَّه كان كثير التتبُّع لآثار المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يتتبَّع الأماكن التي صلَّى فيها الحبيب المصطفى، وفعل مثله ولده سالم.

**ولقد أقرَّ ابن تيميَّة بذلك في مواضع كثيرة من كتبه.**

واقرأ ما قاله في كتابه [قاعدة جليلة في التَّوسُّل والوسيلة] قال:

وكذلك ابن عمر كان يتحرَّى أن يسير مواضع سير النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وينزل مواضع منزله، ويتوضأ في السَّفر حيث رآه يتوضأ، ويصب فضل مائه على شجرةٍ صبَّ عليها، ونحو ذلك ممَّا استحبه طائفة من العلماء، ورأوه مستحباً، ولم يستحب ذلك جمهور العلماء، كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصَّحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمان وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل، وغيرهم، لم يفعلوا مثل ما فعل ابن عمر، ولا رأوه مستحبا، كما كانوا يتحرون متابعته والإقتداء به، وذلك لأنَّ المتابعة أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل، فإذا فعل فعلا على وجه العبادة، شُرع لنا أن نفعله على وجه العبادة، وإذا قصد تخصيص مكان، أو زمان بالعبادة خصصناه بذلك، كما كان يقصد أن يطوف حول الكعبة، وأن يستلم الحجر الأسود، وأن يصلى خلف المقام، وكان يتحرى الصَّلاة عند أسطوانة مسجد المدينة، وقصد الصُعود على الصَّفا والمروة، والدُّعاء والذِّكر هناك، وكذلك عرفة ومزدلفة وغيرهما.

---

﴿١﴾ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي/ ج٣ / ص ٢٣٧/ ط مؤسسة الرسالة – بيروت

﴿٢﴾ مصنف ابن أبي شيبة / ج ٧ / ص ١١٧/ ط مكتبة الرشد – الرياض

وأما ما فعله بحكم الاتفاق ولم يقصده - مثل أن ينزل بمكان ويصلى فيه لكونه نزله لا قصداً لتخصيصه به بالصَّلاة والنُّزول فيه - فإذا قصدنا تخصيص ذلك المكان بالصَّلاة فيه، أو النُّزول، لم نكن متبعين، بل هذا من البدع التي كان ينهى عنها عمر بن الخطَّاب كما ثبت بالإسناد الصحيح، من حديث شعبة، عن سليمان التيمي، عن المعروف بن سويد قال: كان عمر بن الخطَّاب في سفر، فصلى الغداة، ثمَّ أتى على مكان فجعل النَّاس يأتونه فيقولون: صلى فيه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. فقال عمر: إنَّما هلك أهل الكتاب أنَّهم اتبعوا آثار أنبيائهم فاتَّخذوها كنائس وبيعا، فمن عرضت له الصَّلاة فليصلِّ وإلا فليمض.

فلما كان النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لم يقصد تخصيصه بالصَّلاة فيه، بل صلى فيه لأنَّه موضع نزوله، رأى عمر أنَّ مشاركته في صورة الفعل من غير موافقة له في قصده ليس متابعة، بل تخصيص ذلك المكان بالصَّلاة من بدع أهل الكتاب التي هلكوا بها ونهى المسلمين عن التَّشبُّه بهم في ذلك، ففاعل ذلك متشبِّه بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في الصُّورة ومتشبِّه باليهود والنَّصارى في القصد الذي هو عمل القلب. وهذا هو الأصل، فإنَّ المتابعة في السُّنة أبلغ من المتابعة في صورة العمل. ﴿١﴾

**قلت**: هذا ما قاله ابن تيميَّة: فبعد أن نقل تحري سيِّدنا عبد الله بن عمر تتبُّعه لأثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أردف في نفس الصحيفة ما قاله سيُّدنا عمر بن الخطَّاب، بل زاد فقال: ففاعل ذلك متشبِّه بالنَّبي في الصُّورة، ومتشبِّه باليهود والنَّصارى في القصد الذي هو عمل القلب.

**قلت**: وعلى ما سبق من كلام ابن تيميَّة ملاحظات:

١- لم يوفِق بين ما فعله سيدنا عبد الله بن عمر من تحريه آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وبين ما قاله والده سيُّدنا عمر "رضي الله عنهما".

وهذا كلام في غاية الخطورة، لأنَّه يُفهم منه - والعياذ بالله - أنَّ سيدنا عبد الله بن عمر بتتبعه لآثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ متشبِّه بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾

---

﴿١﴾ قاعدة جليلة في التوسُّل والوسيلة لابن تيميَّة / ص ١٦٠-١٦١

في الصُّورة، ومتشبِّه باليهود والنَّصارى في القصد، الذي هو عمل القلب.

١- **قوله:** ولم يستحب ذلك جمهور العلماء، كما لم يستحبه ولم يفعله أكابر الصَّحابة كأبي بكر، وعمر، وعثمَّان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ بن جبل وغيرهم.

**نقول:** من هم جُمهور العلماء الذين لم يستحبُّوا ما فعله سيِّدنا عبد الله بن عمر؟ لم يستطع ابن تيميَّة أن يذكر لنا ولو واحداً منهم.

وأين النَّقل عن أبي بكر، وعثمان، وعلي، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل وغيرهم على حد تعبير ابن تيميَّة، أنَّهم لم يستحبُّوا ذلك؟. ابحثوا في كتب علماء أهل الأرض جميعا المخطوط منها والمطبوع، من لدن عصر الصَّحابة حتى عصر شيخ الإسلام ولو بنقل ضعيف عن هؤلاء الصَّحابة الكرام. ولمَ خص هؤلاء بالذِّكر، ولم يذكر سيِّدنا الزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم؟.

**أما بالنِّسبة لما قاله سيُّدنا عمر بن الخطَّاب واستدلال ابن تيميَّة به:**

فأترك الرَّد لخاتمة حفاظ المسلمين العلاَّمة شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني في كتابه المبارك ( فتح الباري في شرح صحيح البخاري ) عند شرحه للأحاديث التي رواها البخاري تحت باب ( المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلَّى فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ) يقول:

١- ومحصل ذلك أنَّ ابن عمر كان يتبرَّك بتلك الأماكن، وتشدُّده في الإتباع مشهور ولا يعارض ذلك ما ثبت عن أبيه أنَّه: رأى النَّاس في سفر يتبادرون إلى مكان فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلَّى فيه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: من عُرضت له الصَّلاة فليُصل وإلاَّ فليمض، فإنَّما هلك أهل الكتاب لأنَّهم تتَّبعوا آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائس وبيعًا، لأنَّ ذلك من عمر محمول على أنَّه كره زيارتهم لمثل ذلك بغير صلاة، أو خشي أن يُشْكِل ذلك على من لا يعرف حقيقة الأمر فيظنه واجباً، وكلا الأمرين مأمونٌ من ابن عمر، وقد تقدم حديث عتبان وسؤاله النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أن يصلَّى في بيته ليتخذه مصلَّى وإجابة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلى ذلك، فهو حُجَّة في التَّبرك بآثار

الصَّالحين.ا.هـ [١]

**٢- وذكر أيضا في الفتح فقال:**

**الثالث:** عُرف من صنيع ابن عمر استحباب تتبُّع آثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والتَّبرك بها، وقد قال البغوي من الشَّافعية: إنَّ المساجد - التي ثبت أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ صلى فيها - لو نذر أحدٌ الصَّلاة في شيء منها تعيَّن، كما تتعيَّن المساجد الثَّلاثة.

٣- وذكر الحافظ ابن حجر أنَّ المواضع التي صلى فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في المدينة المنوَّرة، بني فيها الخليفة العادل سيِّدنا عُمر بن العزيز مساجد فقال: وذلك أنَّ عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد المدينة سأل النَّاس - وهم يومئذ متوافرون - عن ذلك ثمَّ بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة.[٢]

**قلتُ:** إن لم نوفق بين ما قاله سيُّدنا عمر بن الخطَّاب، وفعل ولده سيِّدنا عبد الله بن عمر وحفيده سيدنا سالم بن عبد الله، فعلى فهم ابن تيميَّة يُفهم أنَّ سيَّدنا عمر بن عبد العزيز ومن معه من التَّابعين، قد تشبَّهوا باليهود والنَّصارى، لبنائهم المساجد في المواضع التي صلى فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولا يخفى عليك أخي أنَّ ما فعله سيَّدنا عمر بن عبد العزيز لم ينكره عليه أحد.

٤- وبعد أن ذكر الحافظ ابن حجر المساجد التي بالمدينة المنورة قال:

وفائدة معرفة ذلك ما تقدم عن البغوي، والله أعلم.

**قلتُ:** وما تقدم عن البغوي هو قوله: إن المساجد - التي ثبت أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ صلى فيها - لو نذر أحد الصَّلاة في شيء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة.

**ممَّا سبق:** يتضح لنا كل الوضوح، أنَّ سيِّدنا عبد الله بن عمر، وولده سيدنا سالم بن عبد الله، وسيِّدنا عمر بن عبد العزيز ومعهم جماهير التَّابعين من السَّلف الصَّالح، تحرُّوا الصَّلاة

---

﴿١﴾ فتح الباري ( ج١ - ص ٦٧٦ - ط دار المنار )

﴿٢﴾ فتح الباري لابن حجر (٥٧١/١)

في الأماكن التي شرفُت بحضرة المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهذا بالقطع لا يعارض ما قاله سيدنا عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه".

بل ويُفهم من صنيع الإمام البخاري في ترجمته للآثار الواردة بقوله ( المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلَّى فيها النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾) أنَّه يجيز تحري تلك المساجد لفعل سيِّدنا عبد الله بن عمر وولده.

وزيادة على ذلك فعل سيِّدنا سالم بن عبد الله، وتحريه تلك الأماكن وهو لاشك أعرف من ابن تيميَّة ومن تبعه – إلى يوم الدين – بما قاله جدُّه سيِّدنا عمر بن الخطَّاب.

وجزى الله الحافظ الشَّيخ ابن حجر العسقلاني خير الجزاء، فقد أجاد في توفيقه بين المروي عن سيِّدنا عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" وبين المروي عن سيدنا عبد الله بن عمر.

فبالله عليكم يا عقلاء الأُمَّة المُحمَّديَّة، أنقبل قول الحافظ ابن حجر، أم قول ابن تيميَّة الذي يُفهم من كلامه أنَّ ما فعله سيِّدنا عبد الله بن عمر، وولده سالم، وعبد الله بن سلام وعتبان بن مالك الأنصاري كما في البخاري، ومعهم عمر بن عبد العزيز وجمهور التَّابعين والعياذ بالله ( متشبِّهين بالنَّبي في الصورة، ومتشبِّهين باليهود والنَّصارى في القصد الذي هو عمل القلب )؟ وقد سقت إليك نص كلامه فتدبره.

وللأسف قد سرى هذا الفكر الخطير، فخرَّج أجيالا بكل بساطة وسهولة، تصف كل من يتبرَّك بآثار الأنبياء، والصَّالحين، بالشِّرك والكفر، وهو المشاهد لكل ذي عينين خاصة في هذا العصر، مع أنَّ أحاديث التَّبرك بسيِّد الخليقة ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وردت بأصح الطرق في الصِّحاح، والسُّنن، والمسانيد، فماذا نفعل بتلك الأحاديث المرويِّة عن حفاظ الأُمَّة المُحمَّديَّة، أنضرب بها عرض الحائط، أم نحذفها من تاريخ الأُمَّة؟.

**٤- التَّبرك بالشُّرب من البئر التي شربت منها ناقة سيِّدنا صالح:**

أخرج البخاري في صحيحه من حديث نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا" أَخْبَرَهُ: أَنَّ النَّاسَ نَزَلُوا مَعَ رسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَرْضَ ثَمُودَ الْحِجْرَ فَاسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا وَاعْتَجَنُوا بِهِ، فَأَمَرَهُمْ رسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَنْ يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَّاقَةُ.

تَابَعَهُ أُسَامَةُ عَنْ نَافِعٍ.[١]

**ذكر العلاَّمة القرطبي في تفسيره عند ذكر الحديث السَّابق فقال:**

وخامسها:- أمره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أن يستقوا من بئر النَّاقة، دليل على التَّبرك بآثار الأنبياء والصَّالحين، وإن تقادمت أعصارهم وخفيت آثارهم،[٢]

**٥- التَّبرك بتقبيل يد بايعت النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

ذكر الإمام الهيثمي عن يحيى بن الحارث الذماري[٣] قال:

لقيت واثلة بن الأسقع[٤] فقلت: بايعت بيدك هذه رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال نعم: قلت: أعطني يدك أقبلها فأعطانيها فقبلتها. رواه الطبراني وفيه عبد الملك القاري، ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات.

وعن عبد الرحمن بن رزين عن سلمة بن الأكوع[٥] قال: بايعت النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بيدي هذه فقبلناها فلم ينكر ذلك. قلت: في الصحيح منه البيعة. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات [٦]

وذكر هذه الرِّواية الإمام ابن حجر في الفتح فقال: وأخرج البخاري في الأدب المفرد من رواية عبد الرحمن بن رزين قال: أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفا له ضخمة كأنها كف بعير، فقمنا فقبلناها.[٧]

وذكر الهيثمى في مجمع الذوائد (باب حسن الظن بالله تعالى) عن حبان أبي النَّضر

---

﴿١﴾ صحيح البخاري (١٤٩/٤)

﴿٢﴾ تفسير القرطبي /ج ١٠/ ص ٤٧

﴿٣﴾ يحيى بن الحارث الذماري من الأثبات في الروايات، ممن صحب واثلة بن الأسقع زمانا، وحفظ عنه ومات بالشام سنة خمس وأربعين ومائة. أنظر (مشاهير علماء الأمصار) لابن حبان ج١/ ص١٩٢

﴿٤﴾ واثلة بن الأسقع (بالقاف) بن كعب، المؤذن، صحابي مشهور، نزل الشام، وعاش إلى سنة خمس وثمانين وله مائة وخمس سنين. (تقريب التهذيب لابن حجر) ج٢/ ص٢٩٧

﴿٥﴾ هو الصحابي الجليل: سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي، شهد بيعة الرضوان، وتوفي سنة ( ٧٤هـ). انظر: التقريب ( ١ / ٣١٨ )

﴿٦﴾ مجمع الزوائد للهيثمي /ج ٨ / ص ٤٢

﴿٧﴾ فتح الباري لابن حجر/ ج١١ / ص ٥٧ / ط دار المعرفة - بيروت

قال: دخلت مع واثلة بن الأسقع، على أبي الأسود الجرشي﴿١﴾، في مرضه الذي مات عليه وجلس فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه، ووجهه لبيعته رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال: فقال واثلة اسأله عنها قال: وما هي؟ قال: كيف ظنُّك بربك؟ فقال أبو الأسود وأشار برأسه أي حسن، فقال واثلة: أبشر فإني سمعت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول: قال الله عز وجل (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ). رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد ثقات.﴿٢﴾

**٦- ثابت البناني يقبل يد سيِّدنا أنس بن مالك تبركاً بسيِّدنا رسُول الله:**

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد: عن ثابت﴿٣﴾ قال: كنت إذا أتيت أنساً، يخبر بمكاني فأدخل، فآخذ بيديه فأقبلهما، وأقول: بأبي هاتين اليدين اللَّتين مسَّتا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأقبل عينيه وأقول: بأبي هاتين العينين اللتين رأتا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. رواه أبو يعلى ورجاله رجال عبد الله بن أبي بكر المقدمي وهو ثقة.﴿٤﴾

**٧- الاستشفاء بجبَّة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

أخرج الإمام مسلم عن أسماء بنت الصِّديق أنَّها أخرجت لهم جبَّة رسُول الله فَقَالَتْ: هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ حَتَّى قُبِضَتْ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا وَكَانَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى يُسْتَشْفَى بِهَا.﴿٥﴾

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: وَفِي هَذَا الْحَدِيث دَلِيل عَلَى اِسْتِحْبَاب التَّبَرُّك

---

﴿١﴾ يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التابعين بالشام، يسكن بالغوطة بقرية (زبدين) .أسلم في حياة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾.وله دار بداخل باب شرقي. قال يونس بن ميسرة، قلت له: يا أبا الأسود كم أتى عليك ؟ قال: أدركت العزَّى تعبد في قرية قومي .( تاريخ الإسلام) للحافظ الذهبي ج٤/ ص١٢٦

﴿٢﴾ مجمع الزوائد للهيثمي/ ج ٢ / ص ٣١٨/ باب حسن الظن بالله

﴿٣﴾ ثابت البناني بن أسلم أبو مُحمَّد البصري. روى عن أنس، وعبد الله بن الزبير، وأبي برزة الأسلمي وعمر بن أبي سلمة، وغيرهم. وعنه حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، وحميد الطويل، وشعبة، وكان محدثاً من الثقات المأمونين، صحيح الحديث. قال أبو حاتم: أثبت أصحاب أنس، الزهري، ثمَّ ثابت، ثمَّ قتادة، وكان يقص. مات سنة سبع وعشرين ومائة عن ست وثمانين. أنظر (طبقات الحفاظ) للسيوطي (٥٧/١)

﴿٤﴾ مجمع الزوائد للهيثمي/ ج٩ / ص ٣٢٥/ ط دار الريان للتراث – القاهرة

﴿٥﴾ صحيح مسلم / ج٣ / ص ١٦٤١ / رقم٢٠٦٩ / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

بِآثَارِ الصَّالِحِينَ وَثِيَابهِمْ.

**٨- التَّبرك بقدح شرب فيه النَّبي ومكان صلَّى فيه:**

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بردة قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ فَقَالَ لِي: انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ فَأَسْقِيَكَ فِي قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وَتُصَلِّي فِي مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَسَقَانِي سَوِيقًا، وَأَطْعَمَنِي تَمْرًا، وَصَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِهِ.﴿١﴾

**قلتُ**: هنيئا لكم يا أصحاب النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ تبرُكِكُم بقدح شرب فيه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحرصكم الشَّديد عليه.

وفي الحديث التَّبرك بالمواضع التي صلَّى فيها سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ خلافا لمن زعم غير ذلك.

**٩- التَّبرك واستشفاء إمام أهل السُّنة أحمد بن حنبل بقصعة وبشعرة للنبَّي:**

ذكر الحافظ الذهبي في (سير أعلام النبلاء) فقال: قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيضعها على فيه يقبلها وأحسب أنَّي رأيته يضعها على عينه، ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به ورأيته أخذ قصعة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فغسلها في حُبِّ الماء ثمَّ شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

**قلت** أي (الذَّهبي): أين المتنطع المنكر﴿٢﴾ على أحمد، وقد ثبت أنَّ عبد الله سأل أباه عمن يلمس رمانة منبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ويمس الحُجرة النَّبوية فقال لا أرى بذلك بأسا أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع. ﴿٣﴾

**١٠- الاستشفاء بشعر رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَوْهَبٍ قَالَ: أَرْسَلَنِي أَهْلِي إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبي ﴿صلَّى الله

---

﴿١﴾ البخاري / ج٦ / ص ٢٦٧٣/ رقم ٦٩١٠ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ المتنطعون كُثُرٌ أيها الحافظ، بل والمُبدِّعون، والمكفرون. بل وصار هذا مذهب أهل السَّنة والجماعة، بعد أن كان في رأيك مذهبا للخوارج وأهل البدع. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿٣﴾ سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي / ج١١ / ص ٢١٢/ ط مؤسسة الرسالة – بيروت

عليه وآله وسلَّم﴾ بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، وَقَبَضَ إِسْرَائِيلُ ثَلاثَ أَصَابِعَ مِنْ قُصَّةٍ فِيهِ شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وَكَانَ إِذَا أَصَابَ الإنْسَانَ عَيْنٌ، أَوْ شَيْءٌ، بَعَثَ إِلَيْهَا مِخْضَبَهُ، فَاطَّلَعْتُ فِي الْجُلْجُلِ، فَرَأَيْتُ شَعَرَاتٍ حُمْرًا.﴿١﴾

**قلتُ**: هذه أم المؤمنين تحتفظ بشعر الرسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومن أصابته عينٌ، أو غير ذلك جاء إلى أم المؤمنين ليستشفي بشعر خاتم النَّبيِّن وسيِّد الأولين والآخرين، فيُشفي ببركة شعره.﴿٢﴾

فلمَ تفعل هذا أم المؤمنين؟ ألا تزْجُر كل من يأتي إليها ليستشفي بشعره؟ حتى لا يُقدِّس النَّاسُ آثارَ الرسُول الكريم؟ أو يعتقدوا أنَّ شعره هو الشَّافي لهم، سداً لذريعة الشَّرك كما سُوِّد بذلك آلاف الصَّحائف، وحتى لا يقعوا في الغلو؟ وحتى لا يقعوا في الشِّرك؟ أسئلة تنتظر إجابات.

**١١- تبرُّك أهل المدينة بآثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

ذكر الأمام النَّووي فقال: (باب استحباب النُّزول ببطحاء ذي الحليفة والصَّلاة بها إذا صدر من الحجِّ والعمرة وغيرهما فمرَّ بها) قوله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أناخ بالبطحاء التي بذي الحليفة فصلى، وكان ابن عمر يفعل ذلك، وفي الرِّواية الأخرى: أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أتى في مُعرَّسه بذي الحليفة فقيل له: إنَّك ببطحاء مباركة.

قال القاضي: المُعرَّس موضع النُّزول. قال أبو زيد: عرَّس القوم في المنزل إذا نزلوا به، أي وقت كان من ليل أو نهار. وقال الخليل والأصعمي: التعريس: النُّزول في آخر الليل.

---

﴿١﴾ البخاري / ج ٥ / ص ٢٢١٠/ رقم ٥٥٥٧ / ط دار بن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ قد عد المغالون التَّبرك بغير النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إما شركًا أو وسيلة للشِّرك،. فها هو المدعو صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان يقول في كتابه (كتاب التوحيد) ولا أدري أي توحيد يقصد: فالتَّبرك بالأماكن، والآثار، والأَشخاص أحياءً، وأمواتًا لا يجوز لأنه إمَّا شرك، إن اعتقد أنَّ ذلك الشيء يمنح البركة، أو وسيلةً إلى الشِّرك، إن اعتقد أنَّ زيادته، وملامسته والتمسُّح به، سبب لحصولها من اللّه.

ثمَّ زعم أن التَّبرك خاص بحياة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وضرب عرض الحائط بما رواه البخاري عن أم المؤمنين السيدة أم سلمة وبما رواه مسلم عن السيدة أسماء فقال: وأمَّا ما كان الصَّحابة يفعلونه من التبَّرك بشعر النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وريقه، وما انفصل من جسمه كما تقدم، فذلك خاصٌّ به ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ في حال حياته، ووجوده بينهم. أنظر (كتاب التوحيد) ص١٥٩.

قال القاضي: والنزول بالبطحاء بذي الحليفة في رجوع الحاج ليس من مناسك الحجِّ وإنَّما فعله من فعله من أهل المدينة تبرُّكا بآثار النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولأنَّها بطحاء مباركة.[١]

**١٢- تبرُّك سيِّدنا أبو هريرة بموضع تقبيل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لولده سيِّدنا الحسن بن علي بن أبي طالب "رضي الله عنهما":**

عن مُحمَّد هو ابن سيرين[٢] أنَّ أبا هريرة "رضي الله عنه" قال للحسن: أرفع قميصك عن بطنك حتى أُقبِّل حيث رأيتُ رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقبِّل، فرفع قميصه وقبل قِبل سرَّته.[٣]

**١٣- سيِّدنا أبو أيوب الأنصاري يزور قبر المصطفى ويضع خده عليه:**

اتفق الحاكم والذهبي على صحة الخبر المروي في زيارة أبي أيوب الأنصاري[٤] قبر رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أيام ولاية مروان[٥] على المدينة، أي قبل سنة ٦٤هـ، إذ أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ مروان برقبته، ثمَّ قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فإذا أبو أيوب الأنصاري، فقال: نعم، إنِّي لم آتِ الحَجَر، إنّما جئت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم آتِ الحَجَر، سمعت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول: لا تبكوا على الدِّين إذا وليَهُ أهلُه، ولكن ابكوا على الدِّين إذا وليه

---

﴿١﴾ شرح النووي / ج ٩ / ص ١١٥/ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت.

﴿٢﴾ مُحمَّد بن سيرين الأنصاري: أبو بكر بن أبي عمرة البصري، ثقة، ثبت، عابد، كبير القدر، كان لا يرى الرواية بالمعنى، من الثالثة، مات سنة عشر ومائة. (تقريب التهذيب) ج٢/ ص٨٥

﴿٣﴾ سنن البيهقي الكبري /ج٢ / ص٢٣٢ / ط مكتبة دار الباز – مكة المكرمة

﴿٤﴾ أبو أيوب الأنصاري، الخزرجي، النجاري، البدري. السيد الكبير. الذي خصه النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بالنزول عليه في بني النجار، إلى أن بنيت له حجرة أم المؤمنين سودة، وبنى المسجد الشريف. اسمه: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبه بن عبد عمرو بن عوف بن غنم ابن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج. (تاريخ الإسلام) ج٢/ ص٤٠٢

﴿٥﴾ مروان بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية أبو عبد الملك الأموي المدني، ولي الخلافة في آخر سنة أربع وستين ومات سنة خمس في رمضان وله ثلاث أو إحدى وستون سنة لا تثبت له صحبة من الثانية (تقريب التهذيب) ج٢/ ص١٧١

غير أهله.﴿١﴾

**قلتُ:** ما أشبه اليوم بالبارحة، ما أنكره مروان بن الحكم على الصَّحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري من وضع وجهه على قبر حبيبه المصطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ هو عين ما يُردِّده المُنكرون، بل وزادوا الاتهام بأنَّك (قُبوري) أي من (عبَّاد القُبور) وما أجاب به الصَّحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري، هو نفس ما يُردِّده أتباع الصَّحابة والسَّلف الصَّالح، عند زيارتهم لحضرة الرسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو زيارة أحفاده الطَّاهرين، أو زيارة العلماء العاملين: إنّي لم آتِ الحَجَر، إنّما جئت رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم آتِ الحَجَر.

**وممَّا سبق:** يتبين بجلاء ووضوح مشروعيَّة التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرفيق الأعلى، وقد ذكرت لكم بعض الأدلة التي استند إليها علماء أهل السُّنة والجماعة، على ذلك النوع من التَّوسُّل وردِّ شُبهات المنكرين، وهذا يكفي ويشفي بحمد الله تعالى لمن ألقى السمع وهو شهيد، وتخلى عن العصبية، واتباع الهوى.

**٣- الدَّليل الثَّالث على التَّوسُّل من إجماع الأمة:**

أجمعت الأُمَّة﴿٢﴾ - المعصومة من الاجتماع على ضلالة - على التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حال حياته، وحال انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى، ونقل هذا الإجماع كثير من السَّادة العُلماء منهم على سبيل المثال العلاَّمة شيخ الإسلام الشَّيخ تاج الدِّين السُّبكي، والعلاَّمة المحقق الشَّيخ ابن حجر المكي، ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا الشَّيخ ابن

---

﴿١﴾ المستدرك على الصحيحين ج٤/ ٥٥١٥| وتلخيص الذهبي في ذيل الصفحة/ وأخرجه أحمد/ ٥٥/ ٤٤٢

﴿٢﴾ حتى المنكرون للتوسُّل أقروا أن جُمهور المسلمين منذ (قرون طويلة) - ولم يحددوا لنا كم قرن - يتوسلون بالأنبياء والصَّالحين، فهذا هو شيخ السلفيَّة المعاصرة الألباني يقول: اضطرب النَّاس في مسألة التوسُّل، وحكمها في الدِّين اضطرابا كبيراً، واختلفوا فيها اختلافا عظيمًا، بين محلل، ومحرم، ومغال ومتساهل، وقد اعتاد جمهور المسلمين منذ (قرون طويلة) أن يقولوا في دعائهم مثلا: (اللَّهمَّ بحق نبيك أو بجاهه أو بقدره عندك عافني واعف عني) و (اللَّهمَّ إني أسألك بحق البيت الحرام أن تغفر لي) و (اللَّهمَّ بجاه الأولياء والصالحين ومثل فلان وفلان . .) أو ( اللَّهمَّ بكرامة رجال الله عندك، وبجاه من نحن في حضرته وتحت مدده، فرج اللَّهمَّ عنا وعن المهمومين) و ( اللَّهمَّ إنا قد بسطنا إليك أكف الضراعة متوسلين إليك بصاحب الوسيلة والشفاعة أن تنصر الإسلام والمسلمين) . إلخ . أنظر (التوسُّل) للألباني / ص٦

تيميَّة ومن تعصب لرأيه. ولو تخلى المتعصب عن عصبيته للشَّيخ ابن تيميَّة ومن تبعه والمبالغة الشَّديدة في تقديس رأيه ولو خالف إجماع الأُمَّة المُحمَّديَّة من السَّلف والخلف لوصل إلى الحق من أيسر طريق، والقاعدة التي نعتقدها، وهم يرددونها كثيراً أنَّه كل يؤخذ من كلامه ويُردُّ إلا المعصوم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحتى لا يُساء الظنِّ بعلماء الأُمَّة المُحمَّديَّة نقول:

لا يوجد عداوة شخصَّية بين السَّادة العلماء وبين الشَّيخ ابن تيميَّة، على ما يُشيعه المتعصبون له، وإنما خالف الأُمَّة المُحمَّديَّة، والمذاهب الأربعة في مسائل عقدية، وفقهيَّة نقلها عنه حتى تلامذته، وناظره عليها أئمة العلماء في عصره، وبينوا له بالحجَّة والبرهان شذوذه فيها، وكتب عدة مرات إقرارا على نفسه بالرُّجوع عن هذه المسائل.

فلمَ الإصرار على إحياء مسائله التي شذَّ فيها عن جموع الأُمَّة، والقتال المُستميت عليها، ممَّا أدى إلى هذا الشَّرخ في وحدة الأُمَّة المُحمَّديَّة، وظهُور حركات كلٌ تدعي أنَّها الفرقة النَّاجية من النَّار وغيرها في النَّار، فهذا يدعو إلى مَحو آثار نبينا من على وجه الأرض، بحجة أنَّ الأُمَّة عادت إلى الشِّرك الأكبر، وذاك تغيظه القبُّة الخضراء الموجودة على القبر النَّبوي الشَّريف، فيكتب رسالة في هدمها ومحوها من أثر الوجود، وهذا يناشد ولاة الأمر بإخراج القبر النَّبوي الشَّريف من مسجده الشَّريف، وعدُّ ذلك من البدع في المدينة المنوَّرة، وهذا يدعو إلى محو فقه المذاهب الأربعة من ذاكرة التاريخ الفقهي ويشكك في مصداقيتها، وهذا يدعو إلى الطعن في عقيدة الأُمَّة المُحمَّديَّة من الملايين في كل عصر وجيل، من أتباع العقيدة الأشعرية، إلى غير ذلك من المآسي المُؤلمة التي حيَّرت المُسلمين، وشتَّتهم وفرَّقتهم، حتى تداعت علينا الأمم كما تدَاعى الأكلة إلى قصْعتها، فمهلاً أيُّها الدُّعاة، مهلاً يا طلبة العلم، يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تُنفِّروا هداني الله وإيَّاكم إلى الحق واتباعه. وجنبني وإياكم الباطل واتباعه.

**٤- الدليل من المعقول:**

**يقول العلاَّمة الشَّيخ حمد الله الداجوي:**

استدل المنكرون على عد التَّوسُّل بالذَّوات الفاضلة بعد الوفاة، بأنَّه لو كان التَّوسُّل بعد الوفاة جائزاً، لتوسل عمر "رضي الله عنه" بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مع أنه توسل

بالعبَّاس "رضي الله عنه"، وتقريبه بالنظم القياسي هكذا:

التَّوسُّل بعد الوفاة غير جائز، لأنَّه لو كان جائزاً لما توسَّل عمر بالأحياء، والتالي باطل فالمقدم مثله.

**ثمَّ قال:** هذا استدلالٌ عجيبٌ لأنَّا لا نسلم الملازمة بين المقدم والتَّالي، فإنَّه لا يلزم من جواز التَّوسُّل بعد الوفاة توسُّل عمر "رضي الله عنه"، حتى يلزم من بطلان التَّالي بطلان المقدم، فإن التَّوسُّل كما هو جائزٌ بالأحياء، كذلك جائز بالأموات، وعمر "رضي الله تعالى عنه" فعل أحد الجائزين، وهذا كما يستدل أحدٌ بأنَّ التَّوسُّل بالأعمال الصَّالحة ليس بجائز وإلا لما توسَّل عمر "رضي الله عنه" بالذَّات، وهذه سفسطة ظاهرة على أنَّه ليدُل على عدم بصيرته بالعلوم الآلية، فإنَّ تخصيص الشيء بالذِّكر، لا يدل على نفي ما عداه، كما مقرر في الأصول في بحث الوجوه الفاسدة: أنَّ تخصيص الشَّيء بالذِّكر في النُّصوص الشَّرعيَّة لا يدل على نفي ما عداه.

**ثمَّ قال:** والحكم لا يثبت في المسكوت، لأنَّ الحكم الشَّرعي، لا بد له من دليل شرعي ولا دخل للرأي في إثبات الأحكام، فكذا هاهنا التَّوسُّل بالأحياء ثبت من فعل عمر "رضي الله عنه"، أمَّا التَّوسُّل بالأموات فمسكوت عنه في الدَّليل، والحكم لا يثبت من الدَّليل المذكور في المسكوت عنه، كيف يثبت فيه عدم جواز التَّوسُّل بالأموات، ولو كان هذا الاستدلال صحيحا كما هو مزعوم المُنكرين المعاندين، فيَستدل المعاند مثلهم، أنَّ التَّوسُّل بغير العبَّاس "رضي الله عنه" لا يجوز، وإلا لتوسّل سيِّدنا عمر "رضي الله عنه" بغيره من الصَّحابة مع كثرة الصَّحابة وأفضلية عمر "رضي الله عنه"، وهذا ممَّا لا ريب في بطلانه لعاقل فضلا عن فاضل.﴿١﴾

**قلتُ:** المنكرون للتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله، يستدلُّون بحديث توسُّل عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" بساقي الحرمين سيِّدنا العبَّاس بن عبد المطلب "رضي الله عنه" وهو ما رواه البخاري من أنس بن مالك: أنَّ عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" (كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ

---

﴿١﴾ نقلته بتصرف يسير عن (البصائر لمنكري التوسُّل بأهل المقابر) / لحمد الله الداجوي / ص٣٦-٣٧

بنبيِّنا[١] فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ).

ومحل الخلاف الذي نشأ في هذا النَّص الصَّحيح هو: التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بعد انتقالهم إلى الرَّفيق الأعلى، وهل التَّوسُّل يكون بالدُّعاء من المُتَوسَّل به فقط؟ أم يجوز التَّوسُّل بذاته، ودعاءه، وآثاره، وشفاعته؟ هذا هو محل الخِلاف.

ونؤكد هنا أنَّ جُمهور العلماء من السَّلف والخلف من الحفَّاظ، وفقهاء المذاهب الأربعة، ومعهم العامَّة من المسلمين في شتى بقاع الأرض، من مشارقها إلى مغاربها ومن شمالها إلى جنوبها، وقع منهم التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين، والتَّبرُك بآثارهم، ولا فرق عندهم بين أن يكون المُتوسَّل به حياً، أو منتقلاً، لأنَّهم في عقيدتهم لا يُثبتُون تأثيراً للحيِّ ولا للميِّت، ولكن الفاعل هو الله، ولأنَّ التَّوسُّل عندهم إنَّما هو بالمنزلة، والقدر والجاه، والمكانة، ومعلوم أنَّ هذه الأشياء لا تُسلَب بعد الموت.

**وشُبهتُهم في النَّص السَّابق:** أنَّه لو كان التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين جائزاً بعد انتقالهم، ما عدل الفاروق عمر إلى التَّوسُّل بسيِّدنا العبَّاس بن عبد المطَّلب، وترك التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

وللرَّد على هذه الشُّبهة، لا بد وأن نبحث أمر استسقاء الفاروق بالعبَّاس "رضي الله عنهما" من بدايته، ولمعرفة الأمر من أوله، نورد هذه الأسئلة، ثمَّ نحاول الإجابة عليْها إن شاء الله تعالى، ومن خلالها نردُّ على هذه الشُّبهة.

**السُّؤال الأول:** متى كان توسّل الفاروق بالعبَّاس؟

**السُّؤال الثَّاني:** ما هو الدَّافع للتَّوسُّل بالعبَّاس؟

**السُّؤال الثَّالث:** لماذا كان التَّوسُّل بالعبَّاس مع وجودِ مَن هو أفضل منه؟

**السُّؤال الرابع:** لماذا عدل الفاروق عن التَّوسُّل بسيد الخلق بعمه العبَّاس؟

**إجابة السُّؤال الأول:** توسَّل الفاروق بالعبَّاس"رضي الله عنهما" في عام الرَّمادة. وما

---

﴿١﴾ يقول الحافظ ابن حجر في الفتح(٤٩٥/١): وكذا ليس في قول عمر أنَّهم كانوا يتوسَّلون به دلالة على أنَّهم سألوه أن يستسقي لهم ، إذ يحتمل أن يكونوا في الحالين طلبوا السُّقيا من الله، مستشفعين به ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. وقال ابن رشيد: يحتمل أن يكون أراد بالترجمة الاستدلال بطريق الأولى: لأنَّهم إذا كانوا يسألون الله به فيسقيهم فأحرى أن يقدموه للسؤال. انتهى. وهو حسن.أهـ

أدراكم ما عام الرَّمادة! إنها شدَّةٌ ألمَّت بالمسلمين على عهد سيِّدنا عمر"رضي الله عنه" وهلك فيها الكثير من المسلمين، وأجدبت الأرض حتى هلك الزَّرع، وأكل النَّاس الجيف من شِدَّة الجوع، وفيها تغيَّر لون سيِّدنا عمر حتى اسودَّ جلده، وحلف بالله ألا يأكل اللحم والسَّمن وأدمن أكل الزَّيت، وفيها عطَّل سيِّدنا عمر حدَّ السَّرقة لوجود شبهة الإضرار للشِّدة التي أصابت المسلمين، ولقد كان عام الرَّمادة وطاعون عَمْوَاس﴿١﴾ في سنةٍ واحدةٍ سنة ثمان عشر من الهجرة﴿٢﴾ كما ذكر الطبري في التَّاريخ وقيل ستة عشر.

**إجابة السُّؤال الثاني:** السَّبب الذي دعا الفاروق للتَّوسُّل بالعبَّاس هو: الاستسقاء للمسلمين.

وهنا سُؤال في غاية الأهميَّة: ألم يكن يعلم الفاروق والصَّحابة بصلاة الاستسقاء؟ ولماذا تأخَّر الفاروق عن صلاتها ما داموا يعرفُونها؟

**وللإجابة على هذا نقول وبالله التوفيق:**

مِن المعلوم لدى الصَّحابة "رضي الله عنهم" أنَّهُم كانوا إذا أصابهم قحطٌ توسّلوا برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيُسقَون.

وكان استسقاء الرسُول الكريم بأن يدعوا الله "عزَّ وجلَّ" وهذا معروفٌ وكثيرٌ جداً، أمَّا استسقائه، وخروجه إلى الصَّحراء، وصلاة ركعتين، وخطبة، فهذا قليلٌ جدًا.

**من هذا نقول:** الاستسقاء معلوم لدى الصَّحابة "رضي الله عنهم" ولكن لم يذكر أحدٌ من العلماء على حد علمي سبب تأخر سيِّدنا عمر "رضي الله عنه" عن صلاتها، فإمَّا أن يكون صلاَّها قبل توسّله بالعبَّاس "رضي الله عنه" وأُخِّرِت الإجابة لحكمة يعلمها الله، وهذا الاحتمال مُستَبعد لأنَّه لو كان كذلك لنُقل إلينا.

وإما أنَّه لم يصل صلاة الاستسقاء.

ولكن كانوا حتماً يدعون الله تعالى في هذه المُدَّة، وهذا أمر بَدَهيٌّ يُعرف بالعقل، فإنَّ

---

﴿١﴾ عَمْوَاسُ – بسكون الميم – : كورة من فلسطين، وأصحاب الحديث يُحَرِّكون الميم، وإليها يُنْسَب الطاعون، ويُضاف فَيُقَال: طاعون عَمْوَاس، وكان هذا الطاعون في خلافة عُمَر – رضي الله عنه – سنة ثماني عَشْرَةَ، ومات فيه جماعة من الصَّحابة.

﴿٢﴾ وقيل سنة سبع عشرة من الهجرة.

من ألمَّت به شدَّة، أو أصابته مصيبة، فزع إلى الدُّعاء، ومن المعلوم لدينا أنَّ الإجابة من الله تعالى، إمَّا أن تكون في الحال، أو الاستقبال، أو تؤخر إلى يوم القيامة، ويبدو أنَّ هذا الاحتمال أقرب إلى الواقع. والله أعلم.

إذاً مَنِ الذي أشار على سيِّدنا عمر "رضي الله عنه" بالاستسقاء؟ إنَّه هو الرَّحمة المُهداة، والنِّعمة المسداة، الذي وصفه خالقُه بقوله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾.[١]

**كيف هذا؟:**

قدَّر الله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى" أن يأتي [رجلٌ] وقيل هو سيِّدنا بلال بن الحارث المزني[٢] إلى قبر الرسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ويقف عنده قائلا: يا رسُول الله استسق لأمتك فإنَّهم قد هلكوا. فجاءه الرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في المنام وبلَّغه رسالةً عاجلةً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" وهذا نصُّها:

ائت عمر فأقرئه مني السَّلام وأخبره أنهم مُسقَون. وقل له: عليك الكَيْس الكَيْس.[٣]

فذهب إلى سيِّدنا عمر بن الخطاب وهو يعلم تماماً، أنَّ رسُولنا لا يتمثل الشَّيطانُ في صُورته، مصداقاً لقوله: سَمُّوا بِاسْمِي، وَلا تَكْتَنُوا بِكُنْيَتِي، وَمَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ.[٤]

**فأخبره بأمر الرُّؤيا:** فبكى عمر وقال: يا رب ما آلو ما عجزت عنه.[٥]

**قلتُ:** ونصُّ هذه الرِّواية كما ذكرها الحافظ ابن حجر في [فتح الباري] قال:

---

﴿١﴾ سورة الأنبياء: ١٠٧

﴿٢﴾ بلال بن الحارث بن عصم بن سعيد بن قرة بن خَلاوة بالخاء المعجمة المفتوحة بن ثعلبة بن ثور أبو عبد الرحمن المزني من أهل المدينة أقطعه النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ العقيق وكان صاحب لواء "مزينة " يوم الفتح، وكان يسكن وراء المدينة، ثم تحول إلى البصرة.أحاديثه في السنن وصحيحي بن خزيمة وابن حبان. قال المدائني: وغيره مات سنة ستين وله ثمانون سنة.

﴿٣﴾ الكَيْسُ: خِلاف الحُمْق، لأنَّه مُجْتَمَعُ الرَّأيِ والعَقْلِ.

﴿٤﴾ أخرجه أحمد (ج١/ ص٤٠٠) برقم (٣٧٩٨) والبُخَارِي(١/ص٣٨) برقم (١١٠)

﴿٥﴾ أي: أي لا أدع جهداً.

وَرَوَى اِبْن أَبِي شَيْبَة بِإِسْنَادٍ صَحِيح، مِنْ رِوَايَة أَبِي صَالِح السَّمَّانِ، عَنْ مَالِك الدَّارِيّ – وَكَانَ خَازِن عُمَر – قَالَ: "أَصَابَ النَّاس قَحْط فِي زَمَن عُمَر، فَجَاءَ رَجُل إِلَى قَبْر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَقَالَ: يَا رسُول اللَّه اِسْتَسْقِ لأُمَّتِك فَإِنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، فَأَتَى الرَّجُلَ فِي الْمَنَام فَقِيلَ لَهُ: اِئْتِ عُمَر[١].." الْحَدِيث.

**وقال الحافظ:** وَقَدْ رَوَى سَيْف فِي الْفُتُوح أَنَّ الَّذِي رَأَى الْمَنَام الْمَذْكُور هُوَ بِلال بْن الْحَارِث الْمُزَنِيّ أَحَد الصَّحَابَة.

**إجابة السُّؤال الثَّالث: وهو توسُّل الفاروق بالعبَّاس مع وجود من هو أفضل منه:**

لا شكَّ أنَّ مذهب أهل السُّنة والجماعة أنَّ أفضل النَّاس بعد الأنبياء الخلفاء الأربعة وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة، ثمَّ باقي العشرة.

**ومن هذا نقول:** لا شك ولا ريب أنَّ أعظم الوسائل هو التُّوسَّل بأسماء الله الحسني لقول الحقِّ تبارك وتعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ۖ﴾[٢] وقد وعد الله تعالى من يدعوه بالإجابة فقال ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾.[٣]

فَلِمَ لمْ يفزع الصَّحابة إلى دعاء الله مُباشرة في هذا الوقت.[٤]، بدون أن يتوسَّلوا بدعاء

---

﴿١﴾ ذكرها الحافظ بن حجر في [فتح الباري] وصحح سندها /ج٢/ ص ٤٩٥/ ط دار المعرفة بيروت/ الإصابة لابن حجر العسقلاني/ج٦/ ص ٢٧٤/ ط دار الجيل – بيروت/ الاستيعاب لابن عبد البر/ ج٣/ ص ١١٤٩/ ط دار الجيل – بيروت / والبيهقي في الدلائل / وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٥٩/٤٨٩، وابن أبي شيبة في مصنفه/ ج٦/ ص ٣٥٦ / ط مكتبة الرشد – الرياض / (البداية والنهاية لابن كثير) ج٧/ ص١٠٤/ وقال وهذا إسناد صحيح/ (الإرشاد في معرفة علماء الحديث) للخليلي ج١/ ص١٩٠/ وذكرها ابن تيميَّة في (اقتضاء الصراط المستقيم) ص٣٧٣

﴿٢﴾ الأعراف: ١٨٠

﴿٣﴾ البقرة: ١٨٦

﴿٤﴾ لا شكَّ أنَّ الصَّحابة "رضي الله عنهم" كانوا يدعون الله تعالى في مدَّة القحط الذي أصابهم واستمر ما يقرب من التسعة أشهر. فغير معقول أنهم لم يبتهلوا إلى الله تعالى بالدعاء. روي ابن سعد في الطبقات قال: أخبرنا

سيِّدنا العبَّاس؟ وطلبُ الدُّعاء من الرَّجل الصَّالح ولاشكَّ هو أدنى عندكم من التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى.

أيُقال: أنَّهم تركوا التَّوسُّل بأسماء الله الحُسنى، وتوسَّلوا بدُعاء العبَّاس في هذا الموطن وما داموا أنَّهم تركوا التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى، إذاً فهذا إجماع منهم على عدم التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى؟ اللَّهمَّ إنَّه لا يقول ذلك عاقل.

وأنتم في كُتبكم تفرقون بين التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى، وطلب الدُّعاء من الرَّجل الصَّالح، والتَّوسُّل بالعمل الصَّالح، وما عدا ذلك من أنواع التَّوسُّل تتكرونه.[١]

إذاً عندكم التَّوسُّل بدعاء رجل صالح نوع مستقل بذاته.

**ثمَّ إنَّكم:** تُنكرون التَّوسُّل بعمل الغير[٢] كأن يقول قائل: اللَّهمَّ إني أتوسل إليك بصلاح فلان. أو بدعاء فلان مثلاً.

**ومن هذا نقول:** قد ورد في قصَّة عام الرَّمادة إنشاء دعائين.

**الأول:** دعا به سيُّدنا عمر بن الخطَّاب.

**والثاني:** دعا به سيُّدنا العبَّاس.

**ولا شكَّ أنَّ الدُّعاء من العبَّاس عمل صالح له.**

فإن قلتم أنَّ التقدير في قول سيِّدنا عمر (نتوسَّل إليك (بدعاء) عم نبيِّك) لتفروا من

---

مُحمَّد بن عمر قال: حدثني معمر بن راشد عن الزهري عن السائب بن يزيد عن أبيه قال: رأيت عمر بن الخطَّاب يصلي في جوف الليل في مسجد رسُول الله، ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾، زمان الرَّمادة وهو يقول: اللَّهمَّ لا تهلكنا بالسنين وارفع عنا البلاء، يردد هذه الكلمة.ا.هـ

لكن أخِّرت الإجابة إلى حين توسُّلهم بعمِّ نبيه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. فاستجاب الله لهم، ولم يخز الله تعالى نبيه في عمه.

﴿١﴾ راجع تقسيم التوسُّل عند الألباني في كتابه (التوسُّل أنواعه وأحكامه).

﴿٢﴾ وقد صرح بذلك الشَّيخ ابن تيميَّة فقال: ولو قال الرَّجل لمطاع كبير: " أسألك بطاعة فلان لك، وبحبك له على طاعتك، وبجاهه عندك الذي أوجبته طاعته لك، لكان قد سأله بأمر أجنبي لا تعلق له به، فكذلك إحسان الله إلى هؤلاء المقربين، ومحبته لهم وتعظيمه لأقدارهم، مع عبادتهم له وطاعتهم إياه، ليس في ذلك ما يوجب إجابة دعاء من يسأل بهم، وإنما يوجب إجابة دعائه بسبب منه لطاعته لهم، أو سبب منهم لشفاعتهم له، فإذا انتفى هذا وهذا فلا سبب. أنظر الفتاوى (٢١٢/١)

التَّوسُّل بالجاه، أو التَّوسُّل بالذَّات، فقد قلتم بالتَّوسُّل بعمل الغير - وأنتم لا تقولون به- لأنَّ عمر أنشأ هذا الدُّعاء حتماً قبل أن يدعو العبَّاس.

ولا شكَّ أنَّ طلب الدُّعاء من النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو الرَّجل الصّالح.﴿١﴾ يغاير تمامًا التَّوسُّل إلى الله تعالى بدعاء النَّبي، أو الرَّجل الصَّالح.

فهناك فرق بين أن أطلب الدُّعاء من الرَّجل الصَّالح، وأقول له أدع الله لى يا فلان وبين أن أقول اللَّهمَّ إني أسألك بدعاء فلان، وهو لم يدع لي بعد.

فهذا الثَّاني توسُّل بعمل الغير.

إذاً توسُّل سيُّدنا عمر بالعبَّاس، إمَّا بمكانة العبَّاس ومقامه السَّامى، أو بصلة قرابته للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**أما على الأول:** وهو التَّوسُّل بالمكانة فهناك من في الصَّحابة من هو أعلى منزلة من سيِّدنا العبَّاس، كسيِّدنا عثمان، وسيِّدنا على، وسيِّدنا سعد بن أبى وقاص، وسيِّدنا الزُّبير. مع إجلالنا لسيدنا العبَّاس "رضي الله عنه".

إذاً فلا بد وأن يرجع التَ ُوسُّل هنا إلى التَّوسُّل بقرابته للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهذا ممَّا يُفهم من قول سيِّدنا عمر: وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ (بِعَمِّ) نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا.

وقد أشار إلى ذلك العلاَّمة ابن بطال في شرح البخاري فقال: وأما استسقاء عمر بالعبَّاس فإنَّما هو للرَّحم التي كانت بينه وبين النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فأراد عمر أن يصلها بمراعاة حقه، ويتوسَّل إلى من أمر بصلة الأرحام، بما وصلوه من رحم العبَّاس وأن يجعلوا ذلك السبب إلى رحمة الله تعالى.﴿٢﴾

**ولقد ذكر الحافظ ابن عبد البَّر ذلك صراحة في (التَّمهيد) فقال:**

وروى ابن العبَّاس، وأنس بن مالك، أنَّ عمر بن الخطَّاب: كان إذا قحط أهل المدينة

---

﴿١﴾ بين الألباني صفة طلب الدُّعاء من رجل صالح فقال: كأن يقع المسلم في ضيق شديد، أو تحل به مصيبة كبيرة، ويعلم من نفسه التَّفريط في جنب الله، "تبارك وتعالى" فيجب أن يأخذ بسبب قوي إلى الله، فيذهب إلى رجل يعتقد فيه الصَّلاح والتقوى، أو الفضل والعلم بالكتاب والسنة . فيطلب منه أن يدعوا له ربه. أنظر (التوسُّل أنواعه وأحكامه ص٣٨) للألباني.

﴿٢﴾ شرح ابن بطال على صحيح البخاري / كتاب الاستسقاء الحديث رقم٤

استسقى بالعبَّاس. قال أبو عمر – يعني نفسه – وكان سبب ذلك أنَّ الأرض أجدبت إجداباً شديداً على عهد عمر، زمن الرَّمادة سنة سبع عشرة فقال: كعب يا أمير المؤمنين: إنَّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء. فقال عمر: هذا عمُّ رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وصنو أبيه، وسيِّد بني هاشم، فمشى إليه عمر وشكا إليه ما فيه النَّاس من القحط، ثمَّ صعد المنبر ومعه العبَّاس فقال:

اللَّهم إنَّا قد توجَّهنا إليك بعمِّ نبيِّنا وصنو أبيه، فاسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين ثمَّ قال عمر: يا أبا الفضل قم فادع. فقام العبَّاس فقال بعد حمد الله تعالى والثَّناء عليه: اللهم إنَّ عندك سحاباً، وعندك ماء.....إلى آخر ما دعا به

قال أبو عمر (أي ابن عبد البر): هذا والله الوسيلة إلى الله "عزَّ وجلَّ" والمكان منه.

**وقال حسان بن ثابت﴿١﴾ في ذلك:**

سَأل الإمامُ وقد تتابع جدبُنا    فَسُقى الغَمامَ بغُرة العبَّاسِ

عمُّ النَّبي وصِنْو والده الَّذي    وَرِثَ النَّبي بذاك دون النَّاسِ

أحيَا الإلهُ به البلادَ فأصبحت    مُخضرةَ الأجنابِ بعد اليَاسِ

**وقال الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب﴿٢﴾:**

بعمِّي سَقى اللهُ الحجازَ وأهلَه    عشيَّة يستسقي بِشَيبته عُمرُ

تَوجَّه بالعبَّاس في الجَدب رَاغباً    فَما كرَّ حتى جَاء بالدِّيمة المطرُ

---

﴿١﴾ حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري النجاري شاعر رسُول الله ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ أبو عبد الرحمن أو أبو الوليد. روى عنه ابنه عبد الرحمن، وابن المسيب. قال النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: إن روح القدس مع حسان ما دام ينافح عن رسُول الله ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾. قال أبو عبيد: توفي سنة أربع وخمسين. قال ابن إسحاق: عاش مائة وعشرين سنة. له فرد حديث عندهم، وليس له عن النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ سواه. (الخلاصة) ١ / ٢٠٦

﴿٢﴾ وهو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف.

ولقد استنتج العلماء هذا من قول سيِّدنا عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" نفسه، ومن قول سيِّدنا العبَّاس نفسه.

**أمَّا قول سيِّدنا عمر فهو قوله:** (وإنَّا نتوسّل إليك بعم نبيِّنا فاسقنا) فهو قد جاء بالإضافة للتَّنبيه على صلة القرابة.

ومع ذلك نقرُّ ونشهد بمكانة ساقي الحرمين الشَّريفين، سيِّدنا العبَّاس بن عبد المطَّلب "رضي الله عنه"، وما له من فضل، ومكانة، من جهة دينه، وتقواه، وحسن جهاده، يجمع إلى ذلك منقبةً عظيمةً، وهي فضل القرابة.

ولذلك استنبط فقهاء الأمة من فعل سيِّدنا عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" تقديم آل البيت – العترة الطَّاهرة – في الاستسقاء واتخاذهم وسيلة عند الله.

**أمَّا قول العبَّاس نفسه:** فقد ذكره شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في الفتح فقال:

وقد بين الزُّبير بن بكَّار في الأنساب صفة ما دعا به العبَّاس في هذا الواقعة، والوقت الذي وقع فيه ذلك، فأخرج بإسنادٍ له أنَّ العبَّاس لما استسقى به عمر قال:

اللهم إنَّه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجَّه القوم بي إليك لمكاني من نبيِّك، وهذه أيدينا إليك بالذُّنوب، ونواصينا إليك بالتَّوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السَّماء مثل الجبال، حتى أخصبت الأرض وعاش النَّاس.

وأخرج أيضا من طريق داود، عن عطاء، عن زيد بن أسلم عن بن عمر قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرَّمادة، بالعبَّاس بن عبد المطَّلب...فذكر الحديث.

وفيه فخطب النَّاس عمر فقال: إنَّ رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كان يرى للعبَّاس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أيُّها النَّاس برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في عمَّه العبَّاس، واتخذوه وسيلة إلى الله، وفيه فما برحوا حتى سقاهم الله.

وأخرجه البلاذري من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فقال: عن (أبيه) بدل بن عمر فيحتمل أن يكون لزيد فيه شيخان، وذكر بن سعد وغيره أنَّ عام الرَّمادة كان سنة ثمان عشرة، وكان ابتداؤه مصدر الحاج منها، ودام تسعة أشهر [والرَّمادة] بفتح الراء وتخفيف الميم، سمِّي العام بها لما حصل من شدَّة الجدب فاغبرت الأرض جدًا من عدم المطر، وقد تقدم من رواية الإسماعيلي رفع حديث أنس المذكور في قصة عمر والعبَّاس وكذلك أخرجه

بن حبان في صحيحه من طريق محمَّد بن المثنى بالإسناد المذكور ويستفاد من قصة العبَّاس، استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح، وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العبَّاس وفضل عمر لتواضعه للعباس، ومعرفته بحقه.﴿١﴾

**إجابة السُّؤال الرابع:**

**لماذا عدل الفاروق عن التَّوسُّل برسُول الله بالتَّوسُّل بعمه العبَّاس؟**

**قلت:** توسَّل سيِّدنا عمر بسيِّدنا العباس لفهم الصَّحابة "رضي الله عنهم" من رؤيا الرَّجُل الذي أتى إلى القبر الشَّريف، أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يُشير عليهم بصلاة الإستسقاء. وقد بشَّرهم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أنهم مُسقَون كما جاء في الرِّواية. وصلاة الاستسقاء تستلزم خروج الإمام إلى المصلى، والصَّلاة بهم، والدَّعاء وهذا لا شكَّ أنَّه مُتعذر، بالنسبة للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

وكذلك أشار عليه كعب الأحبار أن يستسقي بقرابة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وفي ذلك يقول الحافظ ابن عبد البر: فقال كعب: يا أمير المؤمنين إنَّ بني إسرائيل كانوا إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعُصْبة الأنبياء. فقال: عمر هذا عمُّ رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وصنو أبيه وسيد بني هاشم، فمشى إليه عمر وشكا إليه ما فيه النَّاس من القحط، ثمَّ صعد المنبر ومعه العبَّاس فقال: اللَّهم إنَّا قد توجَّهنا إليك بعمِّ نبيِّنا، وصِنْو أبيه، فاسقنا الغيث، ولا تجعلنا من القانطين.

**ويقول أيضًا:** وروينا من وجوه عن عمر – أنَّه خرج يستسقى وخرج معه بالعبَّاس فقال: اللَّهم أنَّا نتقرب إليك بعمِّ نبيِّك، ونستشفع به فاحفظ فيه نبيَّك، كما حفظت الغلامين لصلاح أبيهما، وأتيناك مستغفرين ومستشفعين.﴿٢﴾

**تنبيهٌ مهمٌ جداً:** وهنا لا يفوتني أن أنبِّه على ما علق به عبد العزيز بن باز آل الشَّيخ على (فتح الباري) واصفًا استسقاء الصَّحابي بلال بن الحارث، أو (الرَّجل) الذي جاء إلى القبر الشَّريف، أنَّه وسيلة للشِّرك، أو هو من أنواع الشِّرك فقد قال:

---

﴿١﴾ أنظر فتح الباري / ج٢ / ص ٤٧٩ / ط دار المعرفة – بيروت

﴿٢﴾ الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر

هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح – ليس بحجَّة على جواز الاستسقاء بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد وفاته، لأنَّ السائل مجهول وأنَّ الصَّحابة "رضي الله عنهم" على خلافه، وهم أعلم النَّاس بالشَّرع، ولم يأت أحدٌ منهم إلى قبره يسأله السُّقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لمَّا وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعبَّاس، ولم ينكر عليْه أحدٌ من الصَّحابة، فعُلم أنَّ ذلك الحقّ، وأنَّ ما فعله هذا الرَّجل منكر ووسيلة إلى الشِّرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك، وأمَّا تسمية السائل في رواية سيف[١] المذكورة "بلال بن الحارث" ففي صحَّة ذلك نظر، ولم يذكر الشَّارح سند سيف في ذلك، وعلى تقدير صحَّته لا حجَّة فيه، لأنَّ عمل كبار الصَّحابة يخالفه، وهم أعلم بالرسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وشريعته من غيرهم.[٢]

**قلت:** لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أنظر أخي وتعجَّب:

١- المسارعة إلى التَّكفير والاتهام بالشِّرك، مع أنَّه يقول: هذا الأثر – على فرض صحَّته كما قال الشَّارح. فعلى تقدير ذلك سيكون السائل إمَّا صحابي كما ذُكر أنَّه ( بلال بن الحارث) أو تابعي كبير.

إن كان (صَحابيًا) فقد وصف استسقاء هذا الصَّحابي بسيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بأنَّه وسيلة للشِّرك بل هو من أنواع الشِّرك، وإن كان تابعيٌّ كبير، فقد وصف فعله بالشِّرك، ولا شك أنَّه من أهل القرون التي أثنى عليْها سيِّد الخلق ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأفضل النَّاس بعد الصَّحابة هم التَّابعون لهم بإحسان.

٢- ثمَّ قوله: وأنَّ ما فعله (هذا الرَّجل) – واسم الإشارة (هذا) راجع للسائل كما هو واضح – منكر، ووسيلة إلى الشِّرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشِّرك.

**نقول له:** من هم بعض أهل العلم؟ مَنْ مِنْ علماء الأمَّة من جعل هذا من الشِّرك.

---

﴿١﴾ قلت: وإن كان سيف بن عمر ضعيف في الحديث فهو [عمدة في التَّاريخ] على حد قول الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب [ج١ / ص ٤٠٨]: سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب (الرِّدة) ويقال له الضبي ويقال غير ذلك الكوفي ضعيف الحديث، عمدة في التاريخ، أفحش ابن حبان القول فيه، من الثامنة، مات في زمن الرشيد.

﴿٢﴾ هامش فتح الباري لابن حجر / ج٢ / ص٥٩٢ / ط دار المنار – القاهرة

أليس في قولك هذا جهالة بِمَنْ قال ذلك من العلماء؟ لِمَ لمْ تذكر لنا العلماء الذين كفروا من يتوسّل برسُول الله؟.

وابحثوا يا عقلاء الأمة في كتب السَّلف الصَّالح ومروياتهم فلن تجدوا (أهل العلم) هؤلاء إلاَّ في مخيلة من شذَّ عن هدي السَّلف الصَّالح، ولقد ذكر الإجماع كثير من علماء الأمَّة المحمَّدية على التَّوسُّل بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله.

٤- هذا الرَّجل يا شيخ من أصحاب الرسُول الكريم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو على فرض أنَّه تابعي، فكيف تنسب إليه الشِّرك؟ وهم الذين علموا التَّوحيد للنَّاس، وإن كنت تزعم أنَّ السائل مجهول؟ فالحُجَّة ليست في مَنْ جاء إلى القبر وإنَّما الحجُّة في إجماع الصَّحابة على عدم إنكارهم المجيء إلى القبر الشَّريف.

٥- وقولك: (وعلى تقدير صحَّته لا حجَّة فيه، لأنَّ عمل كبار الصَّحابة يخالفه)، فإنَّهم على تقدير صحَّته كما تزعم، لم ينكروا على من جاء القبر الشَّريف، وسكوتهم إجماع منهم. فَلِمَا قدمت هذا الإجماع على هذا الإجماع؟.

٦- ولو تنزلنا لقولك وأخذنا بإجماع الصَّحابة في عدم توسُّلهم بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وتوسُّلهم بعمه العبَّاس على حد زعمك، للزم أنَّ التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى وسيلة للشِّرك - والعياذ بالله تعالى- لأنَّ الصَّحابة "رضي الله عنهم" توسَّلوا بالعبَّاس ولم يتوسَّلوا بأسماء الله الحسنى، والمتَّفق عليه أنَّ التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى من أعلى أنواع التَّوسُّل لقول الله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا**﴾[1] فهل نقول أنَّ تركهم للتَّوسُّل بأسماء الله الحسنى دليل على إجماعهم على عدم مشروعيَّة الدُّعاء بها؟ ومعلوم أنَّ الأمر يستدعي التَّوسُّل بأعلى الوسائل. كما تدَّعون.

٧- أوليس للصَّحابة أعمالٌ صالحةٌ يتوسَّلون بها إلى الله تعالى، كما فعل الثَّلاثة الَّذين أطبقت عليم الصَّخرة؟ فهل يدل تركهم، على عدم مشروعيَّة التَّوسُّل بالأعمال الصَّالحة؟.

٨- التَّرك ليس بدليل على المنع إن لم يرد نص على المنع.[2]

---

﴿١﴾ سورة الأعراف: ١٨٠

﴿٢﴾ أنظر (حسن التفهم والدرك لمسألة الترك) للعلامة عبد الله بن الصِّديق الغماري فلقد أجاد فيها وأفاد.

**قلتُ:** هذا هو تكفيرهم، ونسبتهم الشِّرك للمتوسّلين، حتى ولو كان المتوسِّل صحابي من أصحاب النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو حتى من التَّابعين، بل وتجرئهم وتطاولهم على أفاضل علماء الأمَّة المحمَّدية المشهود لهم بالعلم، من أمثال علامة الحديث ابن حجر أعجوبة أهل هذا الفن، ولا غرابة ولا عجب في ذلك، لأنَّ الحافظ ابن حجر عندهم مخالفٌ لعقيدة أهل السُّنة والجماعة[١] عندهم، لأنَّه كان على عقيدة الإمام الأشعري في الصِّفات، ولأنَّ الحافظ ردَّ على الشَّيخ ابن تيميَّة في (فتح الباري) وغيره على مسائله التي شذَّ بها عن الإجماع، ولقد طبعوا هنا – في بلد الأزهر الشَّريف[٢]– كتابًا يباع بأزهد الأثمان عنوانه (أخطاء فتح الباري في العقيدة) جمعوا فيه عقيدة أهل التَّجسيم وقدَّموه على أنَّه عقيدة أهل السُّنة والجماعة، وهذا دأبهم في التطاول على أولياء الأمة المحمَّدية وعلمائها، وتضليلهم للأمَّة من خلال ما علَّقوا، أو حقَّقوا، أو حذفوا، أو حرَّفوا ما لا يروق لهم من كتب التراث. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وممَّا سبق ذكره في هذا الفصل يتضح لكل ذي لبٍّ مشروعيَّة التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى، من الكتاب والسُّنة والإجماع والمعقول وأنَّ كل ما أثاره المنكرون من شبهات لا تثبت أمام الدَّلائل البيِّنة التي أوردها علماء أهل السُّنة والجماعة.

---

﴿١﴾ (أهل السنة والجماعة)، هم أتباع الإمام الأشعري، والماتريدي، أما إذا ذكر هؤلاء أنهم هم (أهل السنة والجماعة) فهم كاذبون.

﴿٢﴾ وللأسف الشَّديد قد اخترق جامعة الأزهر الشَّريف مَنْ انتحل مذهب المجسِّمة الحشْوية، المخالف لعقيدة أهل السَّنة والجماعة، وخُدِع بهم بعض طلبة العلم، وتأثروا بهذا الفكر المنحرف الشَّاذ، وأصبح من المألوف أن تسمع مَن يكفر هذا، أو يتهم ذاك بالابتداع، بل ومن يذهب إلى الجامع الأزهر، يجد أنَّهم حاصروه من جميع الجهات بمكتبات ضخمة تنشر هذا الفكر، من خلال الكتب وأشرطة التسجيل. وحسبنا أنْ رأينا شيوخا أجلاء، تنبهوا لما يَحاك في الخفاء لهذه القلعة الحصينة، فأخذوا على عاتقهم نشر العلوم الشرعيَّة من فقه على المذاهب الأربعة، والحديث الشَّريف، والتَّفسير، والقراءات والتَّجويد، واللُّغة العربيَّة، وبدأ طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم يتوافدون على الجامع الأزهر الشَّريف، لتلقي العلم على أيديهم، فجزاهم الله خيراً ووفقهم على نشر العقيدة الصحيحة. آمين

# الباب الثالث

## الفصل الأول

## التوسل بالصالحين

# التَّوسُّل بالصَّالحين من عباد الله

الحمد لله، والصَّلاةُ والسَّلامُ على صفوة الخلق، وحبيب الحقِّ، سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

أمَّا بعد:

فقد يتوهَّم البعض أنَّه لا يجوز التَّوسُّل بغير الأنبياء والمرسلين ﴿عليهم الصَّلاة والسَّلام﴾ كالتَّوسُّل بالأولياء والصَّالحين من عباد الله "سُبْحَانَه وَتَعَالَى"، وهذا غيرُ صحيحٍ لأنَّ الأمور الشَّرعيَّة التي تثبت للأنبياء والمُرسلين، تثبت لغيرهم ما لم يكن من خصائصهم.

ومِنْ ثمَّ لم يرد في الكتاب والسُّنة والإجماع، ما يفيدُ تخصيص التَّوسُّل والتَّبرُك بالأنبياء فقط، بل ورد التَّوسُّل والتَّبرُّك بغيرهم ﴿عليهم الصَّلاة والسَّلام﴾.

وإليكم بعض الأدلة على مشروعيَّة التَّوسُّل بالصَّالحين، والتَّبرُك بهم، وبآثارهم، من السُنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، ومن فعل الأمَّة المُحمَّدية:

**١- التَّوسُّل بسيِّدنا العبَّاس بن عبد المطلب "رضي الله عنه":**

أخرج الإمام البخاري في الصحيح من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعبَّاس بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ فَيُسْقَوْنَ[١]

هذا الحديث الصَّحيح، حجَّةٌ على مشروعيَّة التَّوسُّل بغير الأنبياء والمُرسلين، لا سيما إذا كانوا من أهل البيت النَّبوي الشَّريف،[٢] وهذا محل اتفاق.

**٢- توسّل الصَّحابي مُعاوية بن أبي سُفيان بيزيد بن الأسود:**

ذكر الذَّهبي في [سير أعلام النبلاء] في ترجمة يزيد بن الأسود فقال:

وروى صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: خرج معاوية يستسقي، فلما قعد على

---

﴿١﴾ صحيح البخاري / ج٣ / ص ١٣٦٠ / رقم ٣٥٠

﴿٢﴾ قد بينا في الفصل السَّابق بطلان شُبَهِ المنكرين، في استدلالهم بهذا الحديث على عدم مشروعيَّة التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرفيق الأعلى. فراجعه هناك.

المنبر قال: أين يزيد بن الأسود[١]؟ فناداه النَّاس فأقبل يتخطاهم، فأمره معاوية فصعد المنبر، قال معاوية: اللَّهمَّ إنَّا نستشفع إليك بخيرنا، وأفضلنا، يزيد بن الأسود، يا يزيد: ارفع يديك إلى الله، فرفع يديه ورفع النَّاس، فما كان بأوشك من أن ثارت سحابة كالتِّرس، وهبَّت ريح، فسُقينا حتى كاد النَّاس أن لا يبلغوا منازلهم. سمعها أبو اليمان من صفوان.

وقال سعيد بن عبد العزيز وغيره: استسقي الضَّحاك بن قيس[٢] بيزيد بن الأسود فما برحوا حتى سقوا.[٣]

**٣- التَّوسُّل والاستغاثة بعباد الله:**

روى الطَّبراني، وأبو يعلى في مسنده، وابن السُّني في عمل اليوم واللَّيلة، عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: (إذا انفلتت دابَّة أحدكُم بأرض فلاة فليُناد: يا عبادَ الله احبسوا عليَّ، يا عبادَ الله احبسوا عليَّ، فإنَّ لله في الأرض حاضراً سيحبسُه عليكم).[٤]

---

﴿١﴾ يزيد بن الأسود الجرشي من سادة التَّابعين بالشَّام، يسكن بالغوطة بقرية [زبدين] أسلم في حياة النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ وله دار بداخل باب شرقي. قال ابن عساكر بلغني أنَّه كان يصلى العشاء الآخرة بمسجد دمشق ويخرج إلى [زبدين] فتضيء إبهامه اليمنى، فلا يزال يمشي في ضوئها إلى القرية وشهده وقت الموت واثلة بن الأسقع. أنظر (سير أعلام النبلاء) للذَّهبي / ج٤ / ص ١٣٧

﴿٢﴾ الضحاك بن قيس، بن خالد الأكبر، بن وهب، بن ثعلبة، بن وائلة، بن عمرو، بن شيبان، بن محارب بن فهر القرشي، الفهري، يكنى أبا أنيس. وقيل أبو عبد الرحمن، قاله: خليفة، والأول قول: الواقدي. وهو أخو فاطمة بنت قيس، وكان أصغر سناً منها، يقال إنَّه ولد قبل وفاة النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ بسبع سنين ونحوها وينفون سماعه من النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾. والله أعلم. أنظر ترجمته في (الاستيعاب) لابن عبد البَّر (٧٤٥/٧٤٤/٢).

﴿٣﴾ سير أعلام النبلاء للذهبي / ج٤ / ص ١٣٧ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

﴿٤﴾ الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٧/١٠) ورواه من هذا الوجه أبو يعلى في مسنده (١٧٧/٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة(ص١٦٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد(١٣٢/١٠) بعد أن عزاه لأبي يعلى والطبراني: فيه مَعْرُوف بن حسان وهو ضعيف. ا.هـ

وعَنْ عُتْبَةَ بن غَزْوَانَ، عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾، قَالَ:(إِذَا أَضَلَّ أَحَدُكُمْ شَيْئًا أَوْ أَرَادَ أَحَدُكُمْ عَوْنًا وَهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ:"يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي يَا عِبَادَ اللَّهِ أَغِيثُونِي، فَإِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لا نَرَاهُمْ). وَقَدْ جرّبَ ذَلِكَ.﴿١﴾

وروى البزَّار عن ابن عبَّاس "رضي الله عنهما" مرفوعا بلفظ: (إنَّ لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتُبون ما يسقط من ورق الشَّجر، فإذا أصابت أحدكم عَرَجَةٌ بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني).﴿٢﴾

**قلت:** من هذا يُعلم جواز الاستغاثة بعباد الله تعالى الغائبين عنَّا فيما أقدرهم الله عليه ولا يُعد ذلك شركاً أو كفراً كما يزعم المنكرون، لا سيما أنَّ كبار علماء الأمة قد جرَّبوا هذه الاستغاثة.

ومنهم الإمام الجليل أحمد بن حنبل "رحمه الله تعالى" فقد ذكر عبد الله بن الإمام أحمد في (المسائل) (٢١٧) بإسناد صحيح﴿٣﴾: سمعت أبي يقول: حججتُ خمس حجج منها

---

﴿١﴾ أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٥١٨) وأبو يعلى (٥٢٦٩) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٠٥).

﴿٢﴾ قال الحافظ كما في "شرح ابن علان" ( ٥ / ١٥١ ): " هذا حديث حسن الإسناد غريب جداً ، أخرجه البزَّار وقال: لا نعلم يروى عن النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ بهذا اللَّفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد". وحسَّنه الإمام السَّخاوي أيضا في " الابتهاج " و قال الهيثمي: " رجاله ثقات ".

﴿٣﴾ وانظر ما قاله الألباني في السِّلسلة الضَّعيفة (٢/١١١): ويبدو أنَّ حديث ابن عبَّاس الَّذي حسَّنه الحافظ كان الإمام أحمد يقوِّيه، لأنَّه قد عمل به فقال ابنه عبد الله في " المسائل" ( ٢١٧ ): " سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج منها ثنتين راكبا وثلاثة ماشيا، أو ثنتين ماشياً و ثلاثة راكباً، فضللت الطَّريق في حجَّة وكنت ماشياً فجعلت أقول: (يا عباد الله دلونا على الطَّريق) فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق. أو كما قال أبي، و رواه البيهقي في " الشعب " (٢ / ٤٥٥ / ٢) و ابن عساكر (٣ / ٧٢/ ١) من طريق عبد الله بسند صحيح وبعد كتابة ما سبق وقفت على إسناد البزَّار في " زوائده " ( ص ٣٠٣ ) : حدثنا موسى بن إسحاق: حدثنا منجاب بن الحارث: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن أسامة بن زيد [ عن أبان] ابن صالح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنَّ النَّبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ قال: فذكره . قلت: وهذا إسنادٌ حسن كما قالوا ، فإنَّ رجاله كلهم ثقات، غير أسامة بن زيد، وهو الليثي، وهو من رجال مسلم ، على ضعف في حفظه.

ثنتين راكباً وثلاثة ماشياً، أو ثنتين ماشياً وثلاثة راكباً فضللت الطَّريق في حجة وكنت ماشياً فجعلت أقول: (يا عباد الله دلُّونا على الطَّريق) فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق.... ا.هـ.

وذكر هذه القصَّة أيضًا ابن مفلح الحنبلي تلميذ ابن تيميَّة في كتاب (الآداب الشَّرعيَّة)

وَذِكْر ابن مفلح الحنبلي لذلك يدل على أنَّ ذلك جائز عنده، وليس بشرك كما يدَّعي المخالفون اليوم، فذكر القصَّة في كتابه المذكور، يبين أنَّ الاستغاثة بغير الله ليست شركاً عنده، إلا أن اعتقد المستغيثُ أنَّ المُستغاثَ بيده النَّفع والضُّر بنفسه من دون الله "سُبْحَانَه وَتَعَالَى" وأنَّه متصرفٌ في الكون دون الله.

ومن العجيب أنَّ الشَّيخ ابن تيميَّة ذكر الحديث في كتابه (الكلم الطَّيب) (ص٩٨) حديث رقم (١٧٧).

وأعجب من ذلك أنَّ الألباني في تعليقه على كتاب (الكلم الطَّيب) لابن تيميَّة، ذكر أنَّ الحديث ضعيف، ولم يقل إنَّه (حسن) موقوف على ابن عباس "رضي الله عنهما" كما ذكر في سلسلته الضَّعيفة. فمرحباً بالأمانة العلميَّة.

ومن العلماء الأكابر الَّذين استعملوا الاستغاثة بعباد الله تعالى، الإمام النَّووي "رحمه الله تعالى" وبعض أكابر شُيوخه، فقد ذكر في (الأذكار) بعد ذكر رواية ابن مسعود السَّابقة فقال: قلتُ: حكى لي بعض شيُوخنا الكبار في العلم، أنَّه انفلتت له دابَّة أظنُّها بغلة، وكان يعرف هذا الحديث، فقاله، فحبسها الله عليهم في الحال.

وكنت أنا مرةً مع جماعة فانفلتت منها بهيمة وعجزوا عنها فقلته: فوقفت في الحال بغير سبب، سوى هذا الكلام.﴿١﴾

**قلتُ:** طَلَبٌ الاستغاثة من العبد الصَّالح من الجنِّ أو الإنس فيما أقدره الله عليه جائزة فقد طلب نبيُّ الله سيِّدنا سليمان بن داود "عليهما السَّلام" من أتباعه أن يأتوه بعرش بلقيس

---

﴿١﴾ أنظر (الأذكار) للإمام النَّووي / كتاب أذكار المسافر: باب ما يقول إذا انفلتت دابته : (ص ٣٣١ ) طبعة دار الفكر دمشق/ تحقيق أحمد راتب حموش.

ملكة سبأ من اليمن، وذكر لنا الله "جلَّ جلاله" في كتابه فقال ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾[١]

أيقول عاقل لماذا طلب نبيُّ الله سُليمان من أتباعه أن يأتوا له بعرش بلقيس ولم يطلب ذلك من الله العلي القدير؟ مع العلم أنَّ الإتيان بالعرش ليس من مقدور البشر، بل ولا يستطيع أن يحركه من مكانه ولو بخطوة واحدة، إلاَّ إن كان هذا على سبيل خرق العادة.

وانظر إلى تعبير عفريت الجنِّ ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ فلقد نَسب إلى نفسه القوَّة والأمانة، وتعبير الذي عنده علم من الكتاب[٢] ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾ فقد نسب الإتيان لنفسه ومع أنَّ الفاعل على الحقيقة هو الله تعالى.

**يقول الإمام الطَّبري موضِّحا هذا المعنى:**

﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو رجلٌ من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر، الذي إذا دعي به أجاب:﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتُمل العرش احتمالا حتى وُضع بين يدي سليمان، والله

---

﴿١﴾ سورة النمل: ٣٨- ٣٩- ٤٠

﴿٢﴾ قال المفسِّرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له: " آصف بن برخيا " كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا الله به أجاب وإذا سأل به أعطى. أنظر (تفسير السَّعدي) ج١/ ص٦٠٥

صنع ذلك.﴿١﴾

فانظر أخي القارئ بعين بصيرتك، ما خص الله به الصَّالحين من عباده من قُدرةٍ على الإتيان بعرش بلقيس من اليمن إلى بلاد الشَّام في أقلِّ من طرفة عين، فإن كان هذا عبدٌ صالحٌ من أمَّة سيِّدنا سليمان "عليه السَّلام" فعل بقُدرة الله ما فعل، فما بالكم إذا كان هذا العبد من أمَّة سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟.

هذا وإنِّي أؤكد هنا أنَّ المُغيث على الحقيقة هو الله "جلَّ جلاله" وأنَّ العبد مهما عظُمت منزلتُه، وارتفع شأنُه، فهو لا يملك لنفسه ولا لغيره، نفعاً ولا ضراً، ولا حياةً ولا نشوراً وإنَّما قد يخصُّ الله تعالى العبد الصَّالح ببعض التأثير والقدرة، كرامة لهذا العبد الصَّالح.

**وفي ذلك يقول الشَّيخ ابن تيميَّة:**

ومن أصول أهل السُّنة: التَّصديق بكرامات الأولياء وما يُجري الله تعالى على أيديهم من خوارق العادة من أنواع العلوم، والمكاشفات، وأنواع القدرة، والتأثيرات، كالمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيره، وعن صدر هذه الأئمة من الصَّحابة، والتَّابعين وسائر التَّابعين قرون الأمَّة وهي موجودة إلى يوم القيامة.﴿٢﴾

**ويشرح ابن عثيمين كلام ابن تيميَّة فيقول:**

الكرامة تنقسم إلى قسمين: قسم يتعلق بالعلوم والمكاشفات، وقسم آخر يتعلق بالقدرة والتأثيرات.

أمَّا العلوم: فأن يحصل للإنسان من العلوم ما لا يحصل لغيره.

وأمَّا المكاشفات: فأن يظهر له من الأشياء التي يكشف له عنها ما لا يحصل لغيره

مثال الأول: العلوم: ما ذكر عن أبي بكر: أنَّ الله أطلعه على ما في بطن زوجته – الحمل – أعلمه الله أنَّه أنثى.﴿٣﴾

---

﴿١﴾ جامع البيان في تأويل القرآن / لمُحمَّد بن جرير الطبري / ج١٩/ ص٤٦١

﴿٢﴾ العقيدة الواسطية لابن تيمية ص ١٣٣

﴿٣﴾ أقول هذا كلام نظري، أما من حيث الواقع العملي، فإن هؤلاء إذا أخبرتهم بأن وليًا من أولياء الله أعلمه الله ببعض الغيبيَّات، فإنَّهم يكذبون، بل ويتهمونك بالكفر ويقولون لك: لا يعلم الغيب إلا الله.

ومثال الثَّاني: (المكاشفات): ما حصل لأمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" حيث كان يخطب النَّاس يوم الجمعة على المنبر، فسمعوه يقول: يا سارية! الجبل! فتعجبوا من هذا الكلام، ثمَّ سألوه عن ذلك؟ فقال: إنَّه كُشف له عن سارية بن زنيم﴿١﴾ وهو أحد قوَّاده في العراق، وأنَّه محصور من عدوه، فوجَّهه إلى الجبل، وقال له: يا سارية! الجبل! فسمع سارية صوت عمر، وانحاز إلى الجبل، وتحصن به.

هذه من أمور المكاشفات، لأنه أمر واقع، لكنه بعيد.

أما القدرة والتأثيرات: فمثل ما وقع لمريم من هزِّها لجذع النَّخل، وتساقط الرُّطب عليها،﴿٢﴾ ومثل ما وقع للذي عنده علم من الكتاب، حيث قال لسليمان:﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾. انتهى﴿٣﴾

**قلتُ:** هذا وحاصل الأمر أنَّ الاستغاثة بعباد الله الصَّالحين فيما أقدرهم الله عليه ثابتة بالكتاب والسُّنة، ومن فعل أجل علماء السَّلف الصَّالح، من أمثال الإمام الطبراني، والإمام أحمد بن حنبل، والإمام النَّووي وشيخه.

بل وقد مرَّ عليك أخي القارئ أنَّ رسولنا ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ علَّم الرَّجل الضَّرير أن يقول في دعائه (يَا مُحمَّد إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِي لِي).

---

﴿١﴾ قال ابن حجر في الإصابة: سارية بن زنيم: بن عبد الله بن جابر بن محمية بن عبد بن عدي بن الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الدئلي تقدم في ترجمة أسيد بن أبي إياس بن زنيم ما يشعر بأن له صحبة. وقال ابن عساكر: له صحبة.

﴿٢﴾ قلت ومن أنواع التأثير إحياء الموتى بإذن الله تعالى كما أحيا الله لمريم "عليها السلام" الجزع: وفي ذلك يقول ابن عثيمين: وأورد عليهم أن من آيات عيسى إحياء الموتى، ولم يقع ذلك لرسول الله ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾. فأجيب بأنه حصل ووقع لأتباع الرسول "عليه الصَّلاة والسَّلام"، كما في قصَّة الرَّجل الذي مات حماره في أثناء الطَّريق، فدعا الله تعالى أن يحييه، فأحياه الله تعالى. أنظر فتاوى ابن عثيمين(ج٨/ ص٦٣٠)

﴿٣﴾ أنظر فتاوى ابن عثيمين (ج٨/ص ٦٣٢)

وكذلك طلب الرَّجل منه الاستسقاء عند قبره الشَّريف كما في رواية مالك الدَّار.......الخ.

**٤- الاستنصار بالصَّالحين من أسباب النَّصر على الأعداء:**

أخرج الإمام مسلم في صحيحة عَنْ جَابِرٍ قَالَ: زَعَمَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُبْعَثُ مِنْهُمْ الْبَعْثُ، فَيَقُولُونَ :انْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكُمْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ. ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّانِي، فَيَقُولُونَ: هَلْ فِيهِمْ مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ. ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْثُ الثَّالِثُ، فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْثُ الرَّابِعُ فَيُقَالُ: انْظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مَنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ فَيُوجَدُ الرَّجُلُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ.﴿١﴾

**قلت**: هذا الحديث الصَّحيح، نصٌّ صريح على فضل الصَّالحين من الصَّحابة والتَّابعين، وأتباع التَّابعين، وأنَّ الله ينصر بهم ببركة وجودهم، وأنَّ وجودَهم سبب من أسباب النَّصر على الأعداء،﴿٢﴾ وانظر قولَ الرَّسُول الكريم (فيُفتَح لهم به) يتضح لك المعنى.

وقد بيَّن لنا الرَّسول الكريم ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ أنَّ المسلمين من القرون المفضلة يستنصرون أي (يطلبون النَّصر من الله) بصحابته، أو مَنْ صَحب أصحابه.

فعن جابر قال: قال رسول الله ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: ليأتين على النَّاس زمانٌ يخرج الجيش من جيوشهم فيُقال: هل فيكم من صحب مُحمَّداً ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ فيستنصرون به فيُنصروا. ثُمَّ يُقال هل فيكم مَنْ صحب مُحمَّداً ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟

---

﴿١﴾ صحيح مسلم / ج ٤ / ص ١٩٦٢ / رقم٢٥٣٢ / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

﴿٢﴾ أقول: إنَّ وجود الصَّالحين سبب من أسباب النَّصر على الأعداء، لاسيما إذا كانوا يأمرون بالمَعْرُوف وينهون عن المنكر، وأن الله تعالى يدفع بهم العذاب والعقاب، قال تعالى: ﴿وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. سورة الفتح:٢٥

فيستنصرون به فيُنصروا. ثُمَّ يُقال هل فيكم مَنْ صحب مُحمَّداً ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾؟ فيُقال لا. فمن صحب أصحابه، فيُقال من رأى من صحب أصحابه، فلو سمعوا به من وراء البحر لأتوه. وفي رواية ثُمَّ يبقى قوم يقرؤون القرآن لا يدرون ما هو.

رواه أبو يعلى من طريقين، ورجالهما رجال الصَّحيح.﴿١﴾

هذا وقد ثبت أنَّ وجود الصَّالحين ببركة إيمانهم ودعائهم، وتقواهم لله تعالى أمانٌ من الفتن والبلايا، ومن هؤلاء الصَّالحين الأكابر سيِّدنا عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" فقد كان أمانا للنَّاس من الفتن، وعندما استُشهد "رضي الله عنه" انكسر باب الفتنة، وأطلَّت الفتنة برأسها على المسلمين كما في صحيح البخاري من حديث حذيفة بن اليمان قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ عُمَرَ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" فَقَالَ أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ فِي الْفِتْنَةِ؟ قُلْتُ: أَنَا كَمَا قَالَهُ. قَالَ: إِنَّكَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا لَجَرِيءٌ، قُلْتُ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأمْرُ، وَالنَّهْيُ، قَالَ: لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ. وَلَكِنْ الْفِتْنَةُ الَّتِي تَمُوجُ كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ. قَالَ: لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: أَيُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ يُكْسَرُ. قَالَ: إِذًا لا يُغْلَقَ أَبَدًا. قُلْنَا: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ نَعَمْ كَمَا أَنَّ دُونَ الْغَدِ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ بِحَدِيثٍ لَيْسَ بِالأغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَ حُذَيْفَةَ، فَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: الْبَابُ عُمَرُ.﴿٢﴾

**٥- النَّصر والرِّزق بسبب الضُّعفاء من المسلمين:**

أخرج البخاري عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ رَأَى سَعْدٌ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ" أَنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفَائِكُمْ.﴿٣﴾

وفى مسند أحمد عن عَنْ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: الرَّجُلُ يَكُونُ حَامِيَةَ الْقَوْمِ أَيَكُونُ سَهْمُهُ وَسَهْمُ غَيْرِهِ سَوَاءً. قَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ أُمِّ سَعْدٍ، وَهَلْ تُرْزَقُونَ

---

﴿١﴾ مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي /ج١٠/ ص١٨

﴿٢﴾ صحيح البخاري ج١ / ص ١٩٦ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٣﴾ البخاري (٢٨٩٦)، والنسائي ٦/ ٤٥

وَتُنْصَرُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ.[١]

**يقول العلاَّمة المناوي** في شرح هذا الحديث: الاستفهام للتَّقرير، أي ليس الَّنصر وإدرار الرِّزق إلا ببركتهم، فأبرزه في صورة الاستفهام، ليدل على مزيد التَّقرير والتَّوبيخ وذلك لأنَّهم أشدّ إخلاصاً في الدُّعاء، وأكثر خضوعاً في العبادة، لجلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدُّنيا، واستدل به الشَّافعيَّة على ندب إخراج الشُّيوخ والصِّبيان في الاستسقاء.[٢]

**ويقول العلاَّمة الحافظ النَّووي في (المجموع):** ويستحب الاستنصار[٣] بالضُّعفاء لما روى أبو الدَّرداء "رضي الله عنه" قال سمعت رسول الله ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ يقول: ائتوني بضعفائكم فإنَّما تنصرون وترزقون بضعفائكم.[٤]

وروى الطبراني بإسناد صحيح عن عَنْ أُمَيَّةَ بن عَبْدِ اللَّهِ بن خَالِدِ بن أُسَيْدٍ مرسلاً قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: يَسْتَفْتِحُ بِصَعَالِيكِ[٥] الْمُهَاجِرِينَ.[٦]

**٦- وجود الأولياء من أسباب الرزق ونزول الغيث:**

ذكر الهيثمي في مجمع الزوائد عن أنس قال: قال رسول الله ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾: لن تخلوا الأرض من أربعين رجلاً، مثل خليل الرحمن، فبهم تُسقون وبهم تُنصرون، ما مات منهم أحدٌ إلا أبدل الله مكانه آخر.

---

﴿١﴾ أخرجه الإمام أحمد في المسند ج٣ / ص٨٦ / ط الرسالة

﴿٢﴾ فيض القدير للمناوي/ج٦/ ص٤٥٨

﴿٣﴾ الاستنصار هو: طلب النَّصر

﴿٤﴾ المجموع للحافظ للنووي /ج١٩/ ص٢٨٨

﴿٥﴾ الصَّعَالِيكُ جَمْعُ صُعْلُوكٍ . قَالَ فِي الْقَامُوسِ : وَالصُّعْلُوكُ كَعُصْفُورٍ : الْفَقِيرُ وَتَصَعْلَكَ اِفْتَقَرَ وَالْمُرَادُ مِنْ الِاسْتِفْتَاحِ بِهِمْ الِاسْتِنْصَارُ بِهِمْ.

﴿٦﴾ رواه أبو عبيد في غريب الحديث: (١ / ٢٤٨) ، والطبراني في الكبير: (١ / ٢٦٩ )، والمصنف في شرح السنة: (١٤ / ٢٦٤) . وذكره ابن حجر في الإصابة: (١ / ٢٤٦) من رواية الطبراني. وقال: "أمية هذا ليست له صحبة ولا رؤية..." وعزاه المنذري للطبراني أيضا بلفظ: "كان يستفتح بصعاليك المسلمين" وقال: "رواته رواة الصحيح، وهو مرسل" . انظر: الترغيب والترهيب: (٤ / ١٤٤). وذكره في مشكاة المصابيح (٣ / ١٤٤٤) وعزاه لشرح السُّنة.

قال سعيد: وسمعت قتادة يقول: لسنا نشك أنَّ الحسن منهم. رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن.﴿١﴾

**٧- التَّبرُك بريق الصَّالحين:**

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: ذَهَبْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ حِينَ وُلِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ فِي عَبَاءَةٍ يَهْنَأُ بَعِيرًا لَهُ. فَقَالَ: هَلْ مَعَكَ تَمْرٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَنَاوَلْتُهُ تَمَرَاتٍ فَأَلْقَاهُنَّ فِي فِيهِ فَلاكَهُنَّ، ثُمَّ فَغَرَ فَا الصَّبِيِّ فَمَجَّهُ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ الصَّبِيُّ يَتَلَمَّظُهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ حُبُّ الأَنْصَارِ التَّمْرَ وَسَمَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ.

**وعلق الإمام النَّووي على هذا الحديث في شرحه فقال:**

اتفق العلماء على استحباب تحنيك المولود عند ولادته بتمر، فإن تعذر فما في معناه وقريب منه من الحلو، فيمضغ المُحنِك التمْرَ حتى تصير مائعة بحيث تبتلع ثُمَّ بفتح فم المولود ويضعها فيه ليدخل شئ منها جوفه، ويستحب أن يكون المُحنك من الصَّالحين وممن يُتبرك به، رجلاً كان أو امرأة، فإن لم يكن حاضراً عند المولود حُمِل إليه.

**وقال أيضا:** وفى هذا الحديث فوائد: منها تحنيك المولود عند ولادته وهو سُنَّة بالإجماع كما سبق. ومنها أن يحنكه صالح من رجل أو امرأة، ومنها التَّبرُك بآثار الصَّالحين، وريقهم، وكل شئ منهم، ومنها كون التحنيك بتمر وهو مستحب، ولو حنك بغيره حصل التحنيك ولكن التمر أفضل، ومنها جواز لبس العباءة، ومنها التواضع، وتعاطى الكبير أشغاله، وأنَّه لا ينقص ذلك مروءته، ومنها استحباب التسمية بعبد الله، ومنها استحباب تفويض تسميته إلى صالح فيختار له اسما يرتضيه، ومنها جواز تسميته يوم ولادته. والله أعلم.﴿٢﴾

**قلت:** وما زال علماء السَّلف والخلف من الأمة، يتوسَّلون بالصَّالحين، ويتبرَّكون بآثارهم، ويتبرَّكون بالدُّعاء عند قبورهم، وقلَّما يجد الباحث كتاباً من كتب التُّراث في طبقات العلماء والأولياء، إلا ويذكر التَّبرُّك بالدُّعاء عند قبور الصَّالحين، بل ونصوا من خلال تجاربهم أنَّ

---

﴿١﴾ مجمع الزوائد للهيثمي/ ج١٠ / ص ٦٣ / ط دار الريان للتراث – القاهرة

﴿٢﴾ شرح النووي على صحيح مسلم / ج١٤ / ص ١٢٢ / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

الدُّعاء عند كثير من هذه القبور مستجاب، ببركة ساكنيها من الصَّالحين ولا بأس أن أذكر لك أخي القارئ نماذج من ثراث الأمة في التَّبرُّك بالصَّالحين والتَّوسُّل بهم إلى الله تعالى.

**١- سيِّدنا علي بن أبي طالب يتبرك بثوب سيِّدنا عمر بن الخطاب:**

أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ أَبِي السَّفَرِ، قَالَ: رُئِيَ عَلَى عَلِيٍّ بُرْدٌ كَانَ يُكْثِرُ لُبْسَهُ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: إنك لَتُكْثِرُ لُبْسَ هَذَا الْبُرْدِ، فَقَالَ: أَنَّهُ كَسَانِيهِ خَلِيلِي وَصَفِيِّي وَصَدِيقِي وَخَاصِّي عُمَرُ، إنَّ عُمَرَ نَاصَحَ اللَّهَ فَنَصَحَهُ اللَّهُ، ثُمَّ بَكَى.﴿١﴾

**قلت:** وهذا فيه تقدير أهل الفضل لأهل الفضل، والتَّبرُك بهم بعد حياتهم، وهذا نوع من توسّل الصَّحابة ببعضهم. وإلاَّ قل لي بربك ما فائدة هذا الثَّوب من القماش؟

**٢- قبر سيِّدنا معروف الكرخي التِّرياق المجرَّب:**

يقول الحافظ الذَّهبي في ترجمة العارف بالله معروف الكرخي:

وعن إبراهيم الحربي﴿٢﴾ قال: قبر معروف﴿٣﴾ التِّرياق المجرَّب.

يريد إجابة دعاء المضَّطر عنده، لأنَّ البقاع المباركة يُستجاب عندها الدعاء، كما أنَّ الدعاء في السَّحر مرجو، ودبر المكتوبات، وفي المساجد بل دعاء المضَّطر مجاب في أي

---

﴿١﴾ مصنف ابن أبي شيبة / ج٦ / ص ٣٥٦ / رقم ٣١٩٩٧ / ط مكتبة الرشد – الرياض / ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي / تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ج٤٤ / ص٣٦٣ / البداية والنهاية لابن كثير ج٣ / ص٩٣٨

﴿٢﴾ إبراهيم الحربي هو: الشَّيخ، الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق، إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير، البغدادي، الحربي، صاحب التصانيف. مولده في سنة ثمان وتسعين ومئة. أنظر (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي (ج١٣/ ص٣٥٦)

﴿٣﴾ يقول الحافظ الذهبي: مَعْرُوف الكرخي علم الزهاد، بركة العصر، أبو محفوظ البغدادي، واسم أبيه فيروز، وقيل: فيرزان من الصابئة. وقيل: كان أبواه نصرانيين، فأسلماه إلى مؤدب كان يقول له، قل: ثالث ثلاثة، فيقول مَعْرُوف: بل هو الواحد، فيضربه، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، ثم إن أبويه أسلما، ذكر مَعْرُوف عند الإمام أحمد، فقيل: قصير العلم، فقال: أمسك، وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه مَعْرُوف. (ج٩/ ص٣٣٩)

مكان اتفق، اللَّهم إنِّي مضَّطرٌ إلى العفو فاعف عني.[١]

**قلتُ**: لا شك أنَّ المنكرين يعدون التَّبرُّك بقبور الصَّالحين والدُّعاء عندها ضرب من ضروب الوثنيَّة والشِّرك، فهل الإمام الجليل شيخ الإسلام إبراهيم الحربي، والحافظ الذَّهبي ممن يدعوان إلى الوثنيَّة وعبادة القبور؟.

**والعجيب**: أن مُحمَّد بن عبد الوَّهاب النَّجدي لم ينكر على من دعا الله تعالى عند قبر معروف الكرخي، ولم يعده من الوثنيَّة والشِّرك، مثل ما يزعم أتباعه اليوم فقد قال:

ولكن إنّكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالي، ويقصد القبر يتضرَّع عند الشَّيخ عبد القادر فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصًا له الدِّين لا يدعو مع الله أحدًا ولكن يقول في دعائه: أسألك بنبيِّك أو بالمُرسَلين أو بعبادك الصَّالحين أو يقصد (قبر معروف)[٢] أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصاً له الدين فأين هذا ممَّا نحن فيه.[٣]

**٣- الإمام الشَّافعي يستشفي بقميص الإمام أحمد بن حنبل:**

ذكر صاحب (القول السَّديد) فقال: حتى أنَّ الشَّافعي "رضي الله عنه" بعث يطلب قميص الإمام أحمد بن حنبل من بغداد يستشفي به في مدة مرضه، بغسله وشرب مائه كما رأيته مثبتا في مناقب أحمد "رضي الله تعالى عنهم".[٤]

وذكر الحافظ ابن عساكر في [تاريخ دمشق] تبرُّك الإمام الشَّافعي بقميص الأمام أحمد فقال: فقال لي الشافعي يا ربيع: إيش الذي دفع إليك، قلت: القميص الذي يلي جلده، قال الشافعي: ليس نفجعك به، ولكن بله وادفع إليَّ الماء حتى أشركك فيه.[٥]

---

[١] سير أعلام النبوة للحافظ الذَّهبي / ج٩ / ص ٣٤٣ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

[٢] يقصد قبر سيدنا العارف بالله الشَّيخ مَعْرُوف الكرخي "قدس الله سره"

[٣] نقلا عن كتاب [مفاهيم يجب أن تصحح] للدكتور مُحمَّد علوي المالكي ص ٨٠-٨١

[٤] القول السَّديد / لمُحمَّد بن عبد العظيم من أئمة الحنفية / ج١ / ص ٤٩/ ط دار الدعوة الكويت

[٥] تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر ج٥/ ص٣١١

**٤- التَّبرُك والاستشفاء بقميص الحافظ عبد الغني المقدسي:**

ذكر الحافظ الذَّهبي في [سير أعلام النبلاء] في ترجمته للحافظ عبد الغني﴿١﴾ فقال:

سمعت أبا موسى بن الحافظ حدثني أبو مُحمَّد أخو الياسميني قال: كنتُ يوما عند والدك فقلت في نفسي أشتهي لو أنَّ الحافظ يعطيني ثوبه حتى أكفَّن فيه، فلما أردت القيام خلع ثوبه الذي يلي جسده وأعطانيه، وبقي الثوب عندنا كل من مرض تركوه عليْه فيُعافى.

**وذكر أيضا:** وسمعت الرضي عبد الرحمن يقول: كان رجل قد أعطى الحافظ جاموسا في البحرة﴿٢﴾ فقال لي جئ به وبعه، فمضيت فأخذته، فنفر كثيرا، وبقي جماعة يضحكون منه فقلت: اللهم ببركة الحافظ سهل أمره، فسقته مع جاموستين، فسهل أمره ومشى فبعته بقرية.﴿٣﴾

**٥- التَّوسُّل بشيخ الإسلام الحافظ مُحمَّد بن علي الحجري:﴿٤﴾**

سمعت أبا الربيع بن سالم يقول: صادف وقت وفاته قحط، فلما وضعت جنازته توسّلوا به إلى الله فسقوا، وما اختلف النَّاس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل.﴿٥﴾

**٦- الصَّحابة يتبرَّكون بمُحمَّد بن طلحة بن عبيد الله السجاد:**

---

﴿١﴾ ترجمه الذهبي بقوله: عبد الغني الإمام العالم الحافظ الكبير الصادق القدوة العابد الاثري المتبع عالم الحفاظ تقي الدين أبو مُحمَّد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ابن رافع بن حسن بن جعفر المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي المنشأ الصالحي الحنبلي، صاحب (الأحكام الكبرى) و (الصغرى). أنظر (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي (ج٢١/ ص ٤٦٥)

﴿٢﴾ قال الفيروزآبادي: (والبحرة، والمنخفض من الأرض، والروضة العظيمة، ومستنقع الماء)

﴿٣﴾ سير أعلام النبلاء للذهبي / ج ٢١ / ص ٤٦٦- ٤٦٧ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

﴿٤﴾ الحجري الشَّيخ الإمام، العلامة المعمر ، المقرئ المجود، المحدث الحافظ، الحجة، شيخ الإسلام، أبو مُحمَّد عبد الله بن مُحمَّد بن علي بن عبد الله بن عبيد الله بن سعيد بن مُحمَّد بن ذي النون، الرعيني الحجري الأندلسي، المربي، المالكي، الزاهد، نزيل سبتة. ولد سنة خمس وخمس مئة. (سير أعلام النبلاء) للحافظ الذهبي (ج٢١/ ص٢٥٢).

﴿٥﴾ سير أعلام النبلاء للذهبي / ج ٢١ / ص ٤٦٦- ٤٦٧/ تذكرة الحفَّاظ للقيسراني / ج ٤ / ص ١٣٧١

مُحمَّد بن طلحة[١] من الزُّهاد المجتهدين في العبادة، وكان أصحاب رسول الله ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ يتبرَّكون به وبدعائه، وهو كان أول من لقب بالسجاد.

حدثنا بصحة ذلك أبو عبد الله الأصبهاني كما قدمت ذكره.[٢]

**٧- عدم نزول البلاء ببركة سعد بن عثمان القرشي المصري:**

ذكر ابن مفلح الحنبلي فقال: رأى رجل في بغداد النبي ﴿صلَّى الله عليْه وآله وسلَّم﴾ وهو يقول: لولا الشَّيخ سعد نزل بكم بلاء أو كما قال. ثُمَّ سعى الشَّيخ سعد إلى الجمعة وما عنده خبر بهذا المنام، فانعكف النَّاس عليْه يتبرَّكون به، وازدحموا فرموه مرات. قال القادسى: هو أحد الزهاد والأبدال الأوتاد، ومن تشد إليه الرحال.[٣]

**٨- الاستسقاء بالصحابية الجليلة أم حرام بعد وفاتها:**

يقول الحافظ ابن حجر: وأخرج الطبري من طريق الواقدي: أنَّ معاوية صالحهم بعد فتحها على سبعة آلاف دينار في كل سنة، فلما أرادوا الخروج منها قربت لأم حرام دابة لتركبها فسقطت فماتت، فقبرها هناك يستسقون به ويقولون قبر المرأة الصَّالحة.[٤]

**٩- التَّبرُك بالعلامة المفسر يحيي بن مجاهد:**

ذكر الحافظ الذَّهبي في [سير أعلام النبلاء] عن ابن بشكوال قال: زاهد عصره وناسك مصره الذي به يتبرَّكون، وإلى دعائه يفزعون، كان منقطع القرين مجاب الدعوة جربت دعوته في أشياء ظهرت، حجَّ وعني بالقراءات والتفسير، وله حظ من الفقه، لكن غلبت عليْه العبادة، وقد جمع يونس بن عبد الله كتابا في فضائله.[٥]

---

﴿١﴾ مُحمَّد بن طلحة الملقب بالسجاد لعبادته وتألهه. ولد في حياة النبي ﴿صلى الله عليْه وآله وسلَّم﴾. قتل شابا يوم الجمل، لم يزل به أبوه حتى سار معه. وأمه هي حمنة بنت جحش. (سير أعلام النبلاء) للذهبي (ج٤/ ص٣٦٨)

﴿٢﴾ الحاكم في المستدرك / ج٣ / ص ٤٢٢ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

﴿٣﴾ المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد / ج١ / ص ٤٢٧ / ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الرياض

﴿٤﴾ فتح الباري لابن حجر / ج١١ / ص ٧٦ / ط دار المعرفة – بيروت

﴿٥﴾ سير أعلام النبلاء للذهبي/ ج١٦ / ص ٢٤٥ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

**١٠- التَّوسُّل بالإمام البخاري بعد انتقاله:**

وقال أبو علي الغساني: أخبرنا أبو الفتح نصر بن الحسن السكتي السمرقندي قدم علينا بلنسية عام أربعين وستين وأربع مئة قال: قحط المطر عندنا بسمرقند في بعض الأعوام فاستسقى النَّاس مراراً فلم يُسقوا، فأتى رجلٌ صالحٌ معروفٌ بالصَّلاح إلى قاضي سمرقند فقال له: إني رأيت رأيا أعرضه عليك. قال: وما هو قال: أرى أن تخرج ويخرج النَّاس معك إلى قبر الإمام مُحمَّد بن إسماعيل البخاري [وقبره بخرتنك] ونستسقي عنده فعسى الله أن يسقينا قال: فقال القاضي: نعم ما رأيت، فخرج القاضي والنَّاس معه واستسقى القاضي بالنَّاس وبكى النَّاس عند القبر، وتشفعوا بصاحبه فأرسل الله تعالى السَّماء بماء عظيم غزير، أقام النَّاس من أجله (بخرتنك)﴿١﴾ سبعة أيام أو نحوها، لا يستطيع أحد الوصول إلى سمرقند من كثرة المطر وغزارته، وبين خرتنك وسمرقند نحو ثلاثة أميال.﴿٢﴾

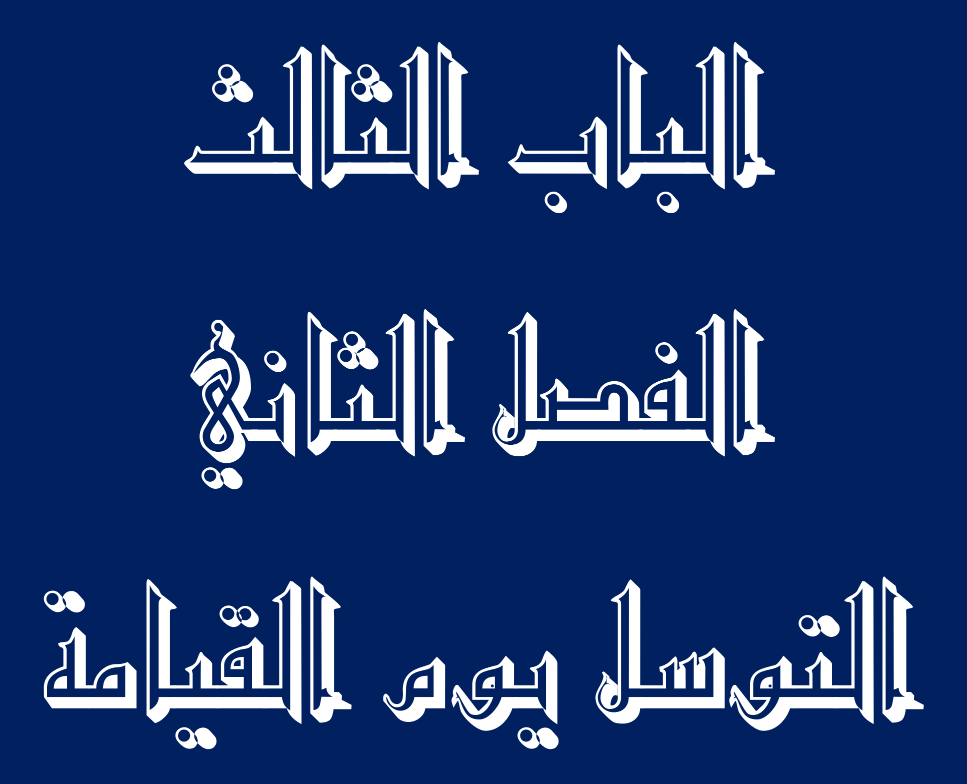
**قلتُ:** وممَّا سبق في يتَّضح أنَّ التَّوسُّل بالصَّالحين في حال حياتهم، وبعد موتهم، أمرٌ مشروعٌ، لورود الأدلة على ذلك، ووقوع التَّوسُّل والتَّبرُك من كبار علماء الأمَّة المُحمَّدية ومن يكفِّر من توسَّل أو تبرَّك بالصَّالحين فيلزمه تكفير جمع لا حصر له من الحفَّاظ، والفقهاء، والمفسِّرين. الذين ذكروا التَّوسُّل بهم وارتضوه في مصنفاتهم.

وصلَّى الله على سيِّدنا ومولانا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

---

﴿١﴾ خرتنك: بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وفتح التاء المثناة من فوقها وسكون النون وبعدها كاف قرية من قرى سمرقند وفي (سير أعلام النبلاء) أنها على فرسخين منها.

﴿٢﴾ سير أعلام النبلاء / ج ١٢ / ص ٤٦٩ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت



# الباب الثالث

# الفصل الثاني

# التوسل يوم القيامة

# التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين في يوم القيامة

ثبتت مشروعيَّة التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبإخوانه من جميع الأنبياء والمرسلين، وبالصَّالحين من عباد الله، في الحياة الدُّنيا، وفي الحياة البرزخيَّة، كما سبق في هذا البحث.

وثبت أيضا التَّوسُّل والاستغاثة بهم في يوم القيامة، وثبت أيضا توسُّل من دخل النَّار من العصاة بسيِّدنا محمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبالمؤمنين الصَّالحين.

وكتب الحديث مشحونة بالدَّلائل الصَّحيحة والبراهين السَّاطعة، على شفاعة الأنبياء والصَّالحين، والملائكة المقربين في يوم القيامة، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة خلافاً لمن أنكر الشفاعة.

وهناك تكون الشَّفاعة العظمى، والمقام المحمود، لسيِّد ولد آدم سيِّدنا ومولانا محمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**ونبيُّنا له يوم القيامة شفاعات متعددة.**

ذكرها العلامة الإمام النووي "رحمه الله تعالى" في شرحه على صحيح مسلم وذكر أنَّ الشَّفاعة على خمسة أقسام:

**أولها:** مختصة بنبينا وهي الإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب كما سيأتي بيانها.

**الثَّانية:** في إدخال قوم الجنَّة بغير حساب، وهذه وردت أيضا لنبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وقد ذكرها مسلم "رحمه الله".

**الثالثة:** الشَّفاعة لقوم استوجبوا النَّار، فيشفع فيهم نبيُّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومن شاء الله تعالى، وسننبه على موضعها قريبا إن شاء الله تعالى.

**الرابعة:** فيمن دخل النَّار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم من النَّار بشفاعة نبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين، ثمَّ يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث "لا يبقى فيها إلا الكافرون".

**الخامسة:** في زيادة الدَّرجات في الجنَّة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة ولا ينكرون أيضا شفاعة الحشر الأول.

قال القاضي عياض: وقد عُرف بالنَّقل المستفيض سؤال السَّلف الصَّالح "رضي الله عنهم" شفاعة نبينا[١] ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ورغبتهم فيها، وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: أنَّه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنَّها قد تكون كما قدمنا لتخفيف الحساب وزيادة الدَّرجات ثمَّ كل عاقل معترف بالتَّقصير، محتاج إلى العفو، غير معتد بعمله مشفق من أن يكون من الهالكين، ويلزم هذا القائل ألا يدعو بالمغفرة والرَّحمة؛ لأنَّها لأصحاب الذُّنوب، وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السَّلف والخلف.

هذا آخر كلام القاضي – رحمه الله – والله أعلم. [٢]

**قلت**: وعقيدة أهل السُّنة والجماعة: أنَّ الشفاعة هي تفضلٌ من الله على عباده، وبيانٌ وإظهار لكرامة الشُّفعاء ومنزلتهم عنده، وأنَّه لا شفاعة للمشركين والكفَّار، حيث أنَّهم لا قدر لهم ولا جاه ولا منزلة عند الله، وأنَّ الشَّفاعة سبب من الأسباب الشرعيَّة، وهي جائزة والإيمان بها واجب، خلافا لمن أنكر الشَّفاعة كالمعتزلة ونحوهم.

شَّفيع الورى في يوم بعث ومَحشر ... إلى ربهم والخوف قد شمل الرُّسلا
وتَحت لواء الحمْد يُمسُون في غدٍ ... وقدْ أحرزوا أمناً وقد أحْرزوا ظِلا
شفيعَ الورى لا تنسنى من شفاعةٍ ... فإني من القُربى وممَّن بها أدلى
وإنِّي مسيءٌ ومذنبٌ ومخلطٌ ... وأنت شفيعُ المُذنبين إلى المُولى
عليك صلاةُ الله ثمَّ سلامه ... صَلاة وتسليماً مدى الدَّهر لا تُبلى
وآل وأصْحاب ومَن كانَ تابعًا ... على البِّر والتَّقوى يَدُل كما دل

ونذكر هنا تبركاً بعض الدَّلائل على الشَّفاعة، وفزع الخلق جميعا إلى الرُّسل والأنبياء في

---

﴿١﴾ وجاء بالنقل المستفيض أن فقهاء المذاهب الأربعة وغيرهم، يذكرون سؤال الشفاعة من النَّبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند ذكرهم زيارة القبر النبوي الشريف.

﴿٢﴾ شرح الإمام مسلم / باب [ إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار]

عَرصَات يوم القيامة للشَّفاعة لهم عند الله.

**١– فزع الخلق إلى الرُّسل يوم القيامة وطلب الشَّفاعة منهم:**

أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أنس أنَّ النبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال: يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَمَا تَرَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطَايَاهُ الَّتِي أَصَابَهَا، وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلَكِنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلَكِنْ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عَبْدًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّر، فَيَأْتُونِي فَأَنطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ قُلْ يُسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجِعُ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ النَّبِيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنْ الْخَيْرِ ذرَّة.﴿١﴾

**٢– شفاعة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأمَّته:**

روى البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . رضي الله عنه . قَالَ أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﴿صلَّى

---

﴿١﴾ رواه البخاري في صحيحه / ج٦ / ص ٢٦٩٦ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

الله عليه وآله وسلَّم﴾ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاع وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يُجْمَعُ النَّاسُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِآدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ عليه السلام فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ. وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ . فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ . نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ . وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا . نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ

لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى.﴿١﴾

**٣- تخفيف العذاب عن أبي لهب بسبب عتقه ثويبة يوم مولد النَّبي:**

حديث عروة بن الزبير أنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ انْكِحْ أُخْتِي بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ: أَوَتُحِبِّينَ ذَلِكِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ وَأَحَبُّ مَنْ شَارَكَنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي. فَقَالَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: إِنَّ ذَلِكِ لا يَحِلُّ لِي. قُلْتُ فَإِنَّا نُحَدَّثُ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَنْكِحَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَال: لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ رَبِيبَتِي فِي حَجْرِي مَا حَلَّتْ لِي إِنَّهَا لاِبْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فَلا تَعْرِضْنَ عَلَيَّ بَنَاتِكُنَّ وَلا أَخَوَاتِكُنَّ قَالَ عُرْوَةُ: وثُوَيْبَةُ مَوْلاةٌ لأَبِي لَهَبٍ كَانَ أَبُو لَهَبٍ أَعْتَقَهَا فَأَرْضَعَتْ النَّبِيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَلَمَّا مَاتَ أَبُو لَهَبٍ أُرِيَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ بِشَرِّ حِيبَةٍ﴿٢﴾. قَالَ لَهُ: مَاذَا لَقِيتَ؟ قَالَ أَبُو لَهَبٍ: لَمْ أَلْقَ بَعْدَكُمْ غَيْرَ أَنِّي سُقِيتُ فِي هَذِهِ بِعَتَاقَتِي ثُوَيْبَةَ.﴿٣﴾

**ولله در حافظ الشَّام شمس الدين محمَّد بن ناصر القائل:**

إِذَا كَـانَ هَـذَا كـافرًا جَـاءَ ذمُّـهُ ... وتبَّـتْ يَـدَاهُ فـي الجَحِـيم مُخلـدًا

---

﴿١﴾ أخرجه البخاري في صحيحه ج٤ / ص ١٧٤٥ /ط دار ابن كثير اليمامة – بيروت

ورواه مسلم في صحيحه / ج١ / ص ١٨٤- ١٨٥ / ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

﴿٢﴾ بِشر حِيبة بكسر الحاء معناها: بسوء حال

﴿٣﴾ رواه البخاري/ ج٥ / ص ١٩٦١ / رقم٤٨١٣ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

أتــي أنَّــه فــي يــوم الاثنــين دَائمًـا يُخَفَّــفُ عنْــهُ للسُّــرور بأحْمَــدَ
فَمـا الظَّـنُّ بالعبـد الَّـذي كَـانَ عُمـرُه بأحْمــدَ مَسْــرورا ومَــاتَ مُوحِــدًا

**٤- إخراج قوم من النَّار بالشَّفاعة:**

عن جَابِرٍ "رَضِيَ اللَّهُ عَنْه" أَنَّ النَّبِيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قَالَ: يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمْ الثَّعَارِيرُ، قُلْتُ، مَا الثَّعَارِيرُ؟ قَالَ: الضَّغَابِيسُ﴿١﴾ وَكَانَ قَدْ سَقَطَ فَمُهُ، فَقُلْتُ: لِعَمْرِو بْنِ دِينَارٍ أَبَا مُحَمَّدٍ سَمِعْتَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يَقُولُ يَخْرُجُ بِالشَّفَاعَةِ مِنْ النَّارِ؟ قَالَ: نَعَمْ.﴿٢﴾

**٥- شفاعة المؤمنين لإخوانهم:**

أخرج الإمام مسلم"رحمه الله" في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنَّ ناسا قالوا يا رسول الله: هل نري بنا يوم القيامة؟......(الحديث).

**وذكر فيه:** حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتْ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذرْ فِيهَا خَيْرًا...إلى آخر الحديث.﴿٣﴾

---

﴿١﴾ ( الضغابيس ) هي صغار القثاء ، واحدها ضغبوس.

﴿٢﴾ البخاري ١١/ ٤١٦ في الرقاق باب صفة الجنة والنار.

﴿٣﴾ رواه مسلم / ج١ / ص١٦٧ / رقم١٨٣/ ط دار إحياء التراث العربي – بيروت

**٦- شفاعة الأطفال:**

أخرج الإمام أحمد من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَقَالَ لِي: مَا فَعَلَ ابْنُ فُلانٍ؟ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَاتَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأَبِيهِ: أَمَا تُحِبُّ أَنْ لا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلاَّ وَجَدْتَهُ يَنْتَظِرُكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّكُمْ.

وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: قَالَتْ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْمًا لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنْ النَّارِ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ: وَاثْنَتَيْنِ؟ فَقَالَ: وَاثْنَتَيْنِ. ﴿١﴾

**٧- شفاعة أهل الصّلاح يوم القيامة:**

أخرج الهيثمى في مجمع الزوائد عن أبي برزة قال: سمعت رسول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يقول أنَّ من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر، وإن من أمتي لمن يعظم للنار حتى يكون ركنا من أركانها. رواه أحمد ورجاله ثقات.﴿٢﴾

---

﴿١﴾ رواه البخاري / ج ١ / ص ٥٠ / رقم ١٠١ / ط دار ابن كثير – اليمامة – بيروت

﴿٢﴾ مجمع الزوائد / ج ١٠ / ص ٣٨١



# الباب الثالث

## الفصل الثالث

## توسل علماء الأمة المحمدية

## تَوسُّل عُلماء الأمَّة المُحمَّديّة

**أخي الحبيب:** في ختام هذا البحث أذكر لك نماذج من توسُّلات علماء الأُمَّة تشْرح صَدرك وتُثلج قلبَك، وتقرُّ عَينك، حتى تعلم وتتيقن أنَّ علماء الأمَّة المُحمَّدية توسَّلوا بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى وبالصَّالحين كذلك، فلو كان التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين بعد انتقالهم شركًا، وكفرًا، وخروجًا، عن الملَّة كما يدَّعي المنكرون، ما توسَّل هؤلاء الجهابذة من العلماء الأجلاء، أهلُ الذِّكر في كل فنٍّ من فنُون العلم الشَّرعي.

والمتتبِّع لقضية التَّوسُّل يجدُ أنَّ جُمهور الأمَّة من الصَّحابة الكرام، والتَّابعين، وأتباع التَّابعين، والعُلمَاء العَاملين والأوليَاء والعَارفينَ، وأهل الفطرة النَّقية مِن العامَّة إلى عصرنا هذا، وقع التَّوسُّل منهم بالأنبياء والصَّالحين والاستشفاع بهم.

ويستحيلُ على أي باحث أن يستقصي ما ورد في هذا الباب، وسوف أنقل لكم على سبيل التَّبرك لا على سبيل الحصر، جملةً صالحةً من توسُّل السَّادة العُلماء، من حفاَّظ الحديث النَّبوي الشَّريف، والسَّادة الفقهاء من أئمة المذاهب الأربعة، وأئمة التَّفسير، وعلماء اللُّغة العربيَّة، وعلماء التاريخ.

وهذا الفصل من هذا البحث، نسوقه لكل مُنصفٍ غير مُتعصبٍ، حتى يتريث في الحُكم على كل متوسَّل بالزيغ والضَّلال. ووالله لا أظن أنَّ من يقرأ هذا الفصل من هذا البحث يُصر على إنّكار التَّوسُّل بالأنبياء والمُرسَلين والصَّالحين، بعد أن يرى فُحول علماء الأمَّة المُحمَّدية وعارفيها، وقع منهم التَّوسُّل، بسيِّد ولد آدم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبالصَّالحين. فإن ضلَّ هؤلاء – وحاشاهم من الزيغ والضَّلال – وأجمعوا قاطبةً من سلفهم إلى خلفهم على فعل الشِّرك، أو الكفر بل والدَّعوة إلى الإشراك بالله ""عَزَّ وَجَلَّ"" فما بقي من الدَّين شيء. حيث أنَّهم نقلة الشَّريعة، وحفاَّظ الأمَّة، وأهل الذِّكر الذين أمرنا الحق "تبارك وتعالى" بسؤالهم

والتفقُّه على أيديهم. قال تعالى ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.﴿١﴾ ونصيحتي التي أسُوقها خالصةً لوجه الله الكريم، لكل من يطَّلع على هذا الفصل من الإنس أو الجنِّ، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يتقي الله في علماء الأمَّة المُحمَّدية ورثة الأنبياء وأن يتقي الله في هذه الأمَّة، وخاصَّة في هذا الزَّمن الذي كثر فيه التَّطاول على سيِّدنا وحبيبنا وقرة أعيُننا، وطب قلوبنا، المُصطفَى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الذي نفديه بآبائنا وأمهاتنا.

وهذه النُّقول الآتي أذكرها إنَّما هي قطرةٌ من بحرٍ، ومن أراد الزِّيادة فعليْه بالرجوع إلى كتب التُّراث، فسوف يجد فيها ما يثلج الصَّدر، ويقر العين، ويهدي إلى الحقِّ إن شاء الله تعالي. وفقني الله وإياكم إلى الحقِّ والرَّشاد، وجنَّبني وإياكم طريق أهل العناد، ببركة سيِّد العُبَّاد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. آمين

**تنبيه:** سوف أنقل لكم إن شاء الله تعالى في هذا الفصل، توسُّل العلماء بصريح ألفاظهم سواء كان بـ [الاستغاثة، أو الجاه، أو الحق، أو البركة، أو الاستشفاع]، أو آرائهم، أو إقرارهم بالتَّوسُّل بذكره في مصنفاتهم، بدون تعقيب منهم على أنَّه شرك أو وسيلة للشِّرك.

---

﴿١﴾ سورة النحل:٤٣

## توسُّل السَّادة الحُفَّاظ من علماء الحديث النَّبوي الشَّريف

### ١- توسُّل شيخ الإسلام الحافظ مُحمَّد بن المُنكَدر المُتوفَّى سنة [١٣٠ هـ]:

ذكر الحافظ الذَّهبي في (سير أعلام النُبلاء) فقال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه فكان يصيبه صمات، فكان يقوم كما هو، حتى يضع خدَّه على قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ثمَّ يرجع فعُوتب في ذلك فقال: إنَّه يُصيبني خطر، فإذا وجدت ذلك استغثت [١] بقبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وكان يأتي موضعًا من المسجد يتمرَّغُ فيه ويضطجع فقيل له في ذلك فقال: إني رأيتُ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في هذا الموضع.[٢]

**قلتُ:** هذا هو فعل أحد أعلام سلف الأمَّة من التَّابعين، يستشفي بقبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بل ويتبرَّك بموضع رأى فيه الرَّسُول الأعظم في نومه. وسيِّدنا مُحمَّد بن المُنكدر، من أفاضل علماء سلف الأمَّة المُحمَّدية، يا من يريد الإقتداء بالسَّلف الصَّالح.

### ٢- توسل الإمام جعفر الصَّادق "رضي الله عنه" المُتوفَّى سنة [١٤٨ هـ] قال:

اللَّهُمَّ بك أستفتح، وبك أستنجد، وبمُحمَّد عبدك ورسُولك أتوسَّل، اللَّهُمَّ سهِّل حزونته وذلِّل لي صعوبته، وأعطني من الخير أكثر ممَّا أرجو، وأصرف عني من الشر أكثر ممَّا أخاف.[٣]

### ٣- توسُّل الحافظ الفقيه الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ ]:

وهذا هو نصُّ عبارة أحمد بن حنبل التي ذكرها في منسكه الَّذي كتبه للمروزي بعد كلام قال: وسَلِ الله حاجتك مُتوسلاً إليه بنبيِّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ تُقْضَ من الله ""عَزَّ

---

﴿١﴾ الاستغاثة بالنَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يعدُّها المنكرون من الشِّرك الأكبر، فهل أشرك الإمام السَّلفي الحافظ محمد بن المنكدر "رضي الله عنه"؟

﴿٢﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي (ج٥ / ص ٣٥٨ – ٣٥٩)/ تاريخ دمشق لابن عساكر (ج٥٦/ ص٥٠)

﴿٣﴾ تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر / ج١٨ / ص١٣٦ / المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر أحمد بن مروان الدِّينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣) ج٣ / ص ٤٥٤ / الفرج بعد الشدة للتنوخي ص ٥٣

وَجَلَّ"".﴿١﴾

نقل هذا عنه الشَّيخ ابن تيميَّة في كُتبه في أكثر من موضع. ونقل عنه ذلك فقهاء المذهب الحنبلي، وسؤال يطرح نفسه هنا: هل الإمام أحمد بن حنبل "قدَّس الله سِّره" يُعدُّ مشركًا والعياذ بالله؟.

**ولقد نقل الحافظ الذَّهبي تبرُّكه بشعرةِ للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:**

قال عبد الله بن أحمد: رأيت أبي يأخذ شعرةً من شعر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيضعْها على فيه يقبِّلُها، وأحسب أني رأيتُه يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به، ورأيته أخذ قصعة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فغسلها في حُبِّ﴿٢﴾ الماء ثمَّ شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به، ويمسح به يديه ووجهه.

قلت: أين المُتنطع المنكر على أحمد﴿٣﴾؟ وقد ثبت أنَّ عبد الله سأل أباه: عمَّن يلمس

---

﴿١﴾ هكذا ذكره ابن تيميَّة في الرد على الأخنائي ص ١٦٨

﴿٢﴾ والحُبُّ: الجَرَّةُ الضَّخمةُ ويُجمَعُ على: حِبَبة، وحِباب.

﴿٣﴾ يفهم من كلام الحافظ الذَّهبي كأن هناك من أنكر على الإمام أحمد بن حنبل تبركه بآثار النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وتقبيل القبر النَّبوي الشَّريف وغيره، فقد وصف الإمام الذَّهبي من أنكر بأنه متنطع، بل وعدَّ ذلك من رأي الخوارج وأهل البدع.

وفي مسألة تقبيل القبر أو مسه تفصيل:

فقد أجاز البعض التَّقبيل للقبر، وكرَّهه آخرون، والمكروه جائز الفعل كما هو معلوم، فممَّن أجازه الإمام أحمد بن حنبل في إحدى الرِّوايتين عنه، ووقع التَّبرك بالقبر من الصَّحابي الجليل سيِّدنا أبو أيوب الأنصاري، وسيِّدنا مُحمَّد بن المنكدر، وذكر صاحب [كشاف القناع عن الإقناع] (١٤٠/٢) عن شيخ الإسلام الإمام إبراهيم الحربي أنه يستحب تقبيل حجرة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. وأجاز تقبيل القبر العلاَّمة ابن أبي الصيف والعلاَّمة المُحب الطَّبري. وقال الفقيه مرعي بن يوسف من الحنابلة في (غاية المنتهى ص٢٥٩): ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من تُرجى بركته.

وقال الحافظ زين الدَّين العراقي: وأما تقبيل الأماكن الشَّريفة على قصد التَّبرك، وأيدي الصَّالحين، وأرجلهم، فهو

رمانة منبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ويمس الحُجرة النَّبوية﴿١﴾؟. فقال: لا أرى

---

حسن باعتبار القصد والنية. أنظر (شرح صحيح البخاري) للعلامة العيني (٩/٢٤١).

وأمَّا ما ذُكر من إجماع الفقهاء على كراهة تقبيل قبور الأنبياء والصَّالحين ومسها، فبخلاف ذلك.

فقد ذكر السَّمهودي في [خلاصة الوفا] بعد ذكر فتوى الإمام أحمد فقال: قال العز بن جماعة: وهذا يُبطل ما نُقل عن النَّووي من الإجماع. وقال السُّبكي: عدم المسح بالقبر ليس ممَّا قام الإجماع عليه. وقال أيضًا: ونقل عن أبن أبي الصَّيف، والمحبِّ الطَّبريّ جواز تقبيل قبور الصَّالحين.ا.هـ.

مما سبق يتضح أن المسألة دائرة بين الاستحباب والكراهة، ولم يقل أحد من العلماء أنَّه من الشِّرك، أو هو وسيلة إلي الشِّرك، بخلاف ما قرره ابن تيميَّة في الفتاوى فقد قال: وأما التَّمسح بالقبر – أي قبر كان – وتقبيله وتمريغ الخدِّ عليه، فمنهي عنه باتفاق المسلمين، ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمَّة وأئمتها بل هذا من الشِّرك.

وقد ذكر الحافظ زين الدِّين العراقي استنكار ابن تيميَّة على الإمام أحمد في فتواه بتقبيل القبر النَّبوي الشَّريف فقال: أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم، عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاَّظ، أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وتقبيل غيره؟. فقال: لا بأس بذلك. فأريناه ابن تيميَّة فصار يتعجب من ذلك ويقول عندي أحمد جليل يقول هذا؟ قال: وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد أنّه غسل قميصاً للشافعي وشرب الماء الذي غسله به، وإذا كان هذا تعظيما لأهل العلم، فكيف بمقادير الصَّحابة؟ فكيف بآثار الأنبياء "عليهم الصَّلاة والسَّلام".؟.ا.هـ أنظر (كشف السُّتور عما أشكل من أحكام القبور) محمود سعيد ممدوح ( ص ٢٧٩).

ويا للعجب من استنكار ابن تيميَّة على قول الإمام أحمد بن حنبل، بل وتناقضه، فقد ذكر ابن تيميَّة نفسه أنَّ الإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، رخَّص في التَّمسح بالقبر النَّبوي الشَّريف فقال في [اقتضاء الصِّراط المستقيم] ص٥٠٤: فقد رخص أحمد وغيره في التمسح بالمنبر والرُّمانة، التي هي موضع مقعد النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ويده ولم يرخصوا في التمسح بقبره. وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره، لأن أحمد شيع بعض الموتى فوضع يده على قبره يدعو له.

﴿١﴾ في كتاب [العلل والسؤالات] ج٢/ ص٤٩٢/ لأحمد بن حنبل: سألته عن الرَّجل يمس منبر النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ويتبرك بمسه، ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلى الله "عَزَّ وَجَلَّ" فقال: لا بأس بذلك.

بذلك بأسا. أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج ومن البدع.[١]

**وذكر الحافظ الذَّهبي في معجم الشيوخ فقال:**

عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: أنَّه كان يكره مس قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

قلت: كره ذلك لأنَّه رآه إساءة أدب.

وقد سئل أحمد بن حنبل: عن مسِّ القبر النَّبوي وتقبيله فلم ير بذلك إساءة أدب.

وقد سئل أحمد بن حنبل عن مسِّ القبر النَّبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأساً، ورواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل: فهلاً فعل ذلك من الصَّحابة قيل: لأنَّهم عاينوه حياً، وتملُّوا به، وقبَّلوا يده وكادوا يقتتلون على وضوئه، واقتسموا شعره المطَّهر يوم الحجِّ الأكبر، وكان إذا تنخَّم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل، فيدلك بها وجهه. ونحن فلمَّا لا يصحُّ لنا مثل هذا النَّصيب الأوفر، ترامينا على قبره بالالتزام، والتبجيل، والاستسلام، والتقبيل. ألا ترى كيف فعل ثابت البناني، كان يقبل يد أنس بن مالك، ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبِّه للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسُوله، أشد من حبه لنفسه، وولده، والنَّاس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة، وحورها، بل خلق من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حب أنفسهم.

حكى لنا (جندار) أنَّه كان يجول البقاع، فسمع رجلاً سبَّ أبا بكر، فسل سيفه وضرب عنقه، ولو كان سمعه يسبَّه أو يسب أباه لما استباح دمه.

ألا ترى الصَّحابة من فرط حبِّهم للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا. فلو أذن لهم لسجدوا سجود إجلال، وتوقير، لا سجود عبادة، كما سجد إخوة

---

﴿١﴾ سير أعلام النُبلاء للحافظ الذَّهبي / ج١١ / ص ٢١٢/ ط مؤسسة الرسالة – بيروت

يوسف "عليهم السَّلام" ليوسف.

وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على سبيل التعظيم، والتبجيل لا يكفر به أصلاً،﴿١﴾ بل يكون عاصياً فليُعرَّف أنَّ هذا منهى عنه وكذلك الصَّلاة إلى القبر.انتهى كلام الذَّهبي.﴿٢﴾

**٤- العلاَّمة الحافظ الدَّارمي [١٨١ هـ - ٢٥٥ هـ ]:**

ذكر فتح الكوة فوق القبر النَّبوي من حديث أَبِي الْجَوْزَاءِ: أَوْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كِوًى إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ. قَالَ: فَفَعَلُوا فَمُطِرْنَا مَطَراً حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ فَسُمِّىَ عَامَ الْفَتْقِ.﴿٣﴾

**٥- توسل العلاَّمة الحافظ المروذي المُتوفَّى سنة [٢٧٥ هـ ]:**

وهو صاحب الإمام أحمد بن حنبل الذي كتب له في منسكه أنَّ في الاستسقاء يتوسَّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. وعامَّة علماء السَّادة الحنابلة "رضي الله عنهم" يذكرون كلام شيخهم الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السُنَّة في باب الاستسقاء.﴿٤﴾

---

﴿١﴾ رحم الله الحافظ الذَّهبي: فقد عد السُّجود للقبر النَّبوي الشَّريف على سبيل التعظيم والتبجيل من المعاصي وليس من الكفر، فكيف به لو سمع هذه الفتوى من علماء آخر الزمان، التي تكفر صراحة من يتمسح بالقبر وتجرى عليه أحكام الرِّدة واقرأ أخي القارئ ما أفتت به اللجنة الدائمة بزعامة ابن باز وفيها: وأمَّا التَّمسح بالقبور فمحرم وشرك ومن وقع في شيء من الشِّرك فإنه يبين له الحكم ويقرن بالدليل، فإن تاب ورجع فالحمد لله، وإن أصر على ما هو عليه من الشِّرك فإنه يحكم بكفره، ولا تجوز الصَّلاة خلف المشرك، ولا مناكحته ولا أكل ذبيحته، وإن سمى وذكر اسم الله. أنظر (فتاوى اللجنة الدائمة) (١٤٤/١).

﴿٢﴾ معجم الشيوخ للحافظ الذَّهبي ج١ / ٧٣ / ٧٤

﴿٣﴾ سنن الدَّارمي ج١ / ص ٥٦ / ط دار الكتاب العربي – بيروت

﴿٤﴾ وذكر ذلك ابن تيميَّة في الفتاوى ج١ / ص ٢٦٣

**٦- توسُّل العلاَّمة الحافظ ابن أبي الدُّنيا [٢٠٨ هـ - ٢٨١ هـ]:**

ذكر حديث توسل سيِّدنا آدم بسيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[١]

**٧- شيخ الإسلام الشَّيخ إبراهيم الحربي [١٩٨ هـ - ٢٨٥ هـ] قال:**

قبر [مَعْرُوف] الترياق المجرَّب، أي في قضاء الحوائج.[٢]

**قلت:** معروفٌ الكرخيّ من الأولياءِ المشهورين، ومن أعلام الزُّهاد، ويُقصد قبرُهُ للتّبرُّكِ به. والدُّعاء عنده مستجاب، على ما ذكره كثير من الحفاَّظ والمؤرخين، فهل هؤلاء السَّادة الأعلام الحفاَّظ من عباد القبور؟.

**٨- توسل عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل المُتوفَّى سنة [٢٩٠ هـ]:**

ذكر ياقوت الحموي فقال: وبها قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل "رضي الله عنه" دُفن هناك بوصيِّة منه [٣] وذاك أنَّه قال: قد صحَّ عندي أنَّ بالقطيعة نبيًا مدفونًا، ولأن أكون في جوار نبيٍّ أحب إليَّ من أن أكون في جوار أبي.[٤]

**٩- توسُّل الحافظ أبو علي النيسابوري [٢٧٧ هـ - ٣٤٩ هـ]:**

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: وقال بِشر بن الحكم النيسابوري: حَزَرْنا في جنازة

---

﴿١﴾ الإشراف في منازل الأشراف/ لابن أبي الدُّنيا/ ج١ / ص٢٥

﴿٢﴾ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي/ ج١ / ص ١٢٢ / سير أعلام النُبلاء للذَّهبي /ج٩/ص٣٤٣ / الفروع لابن مفلح/ ج٣/ ص١٥٢ / طبقات الحنابلة/ لابن أبي يعلى/ ترجمة معروف الكرخي.

﴿٣﴾ الوصيَّة بالدَّفن بجوار الصَّالحين من هدي سلف الأمَّة المُحمَّدية، وهو نوع من أنواع التَّوسُّل بجوار العبد الصَّالح. يقول ابن تيميَّة موضحاً هذا المعنى: وشفاعة بعضهم في جيرانه من الموتى، واستحباب الاندفان عند بعضهم، وحصول الأنس والسكينة عندها، ونزول العذاب بمن استهانها – فجنس هذا حق، ليس مما نحن فيه. أنظر (اقتضاء الصراط المستقيم) (ص ٥١٣) ط ابن الجوزي – القاهرة

وأكد هذا المعنى الفقيه المالكي ابن الخراط الأشبيلي المالكي فقال: فيندب لولي الميت، أن يقصد به قبور الصَّالحين، ومدافن أهل الخير، فيدفنه معهم وينزله بإزائهم، ويسكنه في جوارهم تبركا وتوسَّلا بهم. أنظر (فيض القدير) للمناوي (ج١/ ص٢٩٧)

﴿٤﴾ معجم البلدان للحموي / ج١ / ص ٣٠٦/ ط دار الفكر– بيروت

يحيي بن يحيي، مائة ألف إنسان، وقال الحاكم: سمعت أبا علي النيسابوري يقول: كنت في غمٍّ شديد فرأيتُ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في المنام كأنَّه يقول لي: سِرْ إلى قبر يحيي بن يحيي، واستغفر وسَلْ تُقْضَ حاجتك، فأصبحت ففعلت ذلك فقُضيت حاجتي.﴿١﴾

**وذكر الحافظ الذَّهبي أنَّ قبره أمانٌ لأهل البلدة فقال:**

حدث أبو الحسن "رحمه الله" من أصُول صحيحة، سمعته يقول: رأيتُ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في المنام، فتبعتُه حتى دخل، فوقف على قبر يحيى بن يحيى، وتقدَّم وصفَّ خلفه جماعة من الصَّحابة، وصلَّى عليه، ثمَّ التفت فقال: هذا القبر أمانٌ لأهل هذه المدينة.﴿٢﴾

**١٠- توسُّل الحافظ مُحمَّد بن حبَّان المُتوفَّى سنة [٣٥٤ هـ ]:**

ذكر الحافظ ابن حبان في ترجمة السيِّد علي بن موسى الرِّضا "قدَّس الله سرَّه" فقال:

قد زرته مراراً كثيرة، وما حلت بي شدةٌ في وقت مقامي بطوس، فزرتُ قبر على بن موسى الرِّضا ﴿صَلواتُ الله على جدِّه وعليْه﴾ ودعوتُ الله إزالتها عنِّى، إلا استُجيب لي وزالت عنى تلك الشِّدة، وهذا شيء جرَّبتُه مراراً فوجدتُه كذلك، أماتنا الله على محبة المُصْطفى وأهل بيته ﴿صلى الله عليْه وعليْهم أجمعين﴾.﴿٣﴾

**١٣- توسُّل العلاَّمة الحافظ ابن المُقرئ الأصبهاني [٢٨٥ هـ- ٣٨١ هـ] والحافظ الطَّبراني والحافظ أبو الشَّيخ الأصبهاني:**

**يقول الحافظ الذَّهبي:** وروي عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا والطبراني، وأبو الشَّيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العِشَاء حضرت القبر، وقلت:

---

﴿١﴾ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٧ / ٣٣٩

﴿٢﴾ سير أعلام النُبلاء / للذَّهبي/ ج١٦/ ص١٦٢

﴿٣﴾ الثقات لابن حبان / ج ٨ / ص ٤٥٧ / ط دار الفكر – بيروت

يا رسُول الله الجوع.[١] فقال لي الطبراني: اجلس فإمَّا أن يكون الرِّزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشَّيخ، فحضر الباب عَلويٌ ففتحنا له، فإذا معه غلامان بقفتين فيهما شيء كثير، وقال: شكوتُم إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾؟ رأيتُه في النَّوم فأمرني بحمل شيء إليكم.[٢]

**١٢- توسُّل العلاَّمة المُحدث الكلاباذي المُتوفَّى [٣٨٤ هـ ] قال:**

وسمَّيتُه بكتاب [التَّعرُّف لمذهب أهل التَّصوُّف] إخبارًا عن الغرض بما فيه، وبالله أستعين وعليه أتوكل، وعلى نبيِّه أصلي، وبه أتوسَّل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.[٣]

**١٣- الحافظ الإمام الحاكم صاحب كتاب المستدرك [٣٢١ هـ - ٤٠٥هـ ]:**

روي تعظيم الحافظ الإمام ابن خزيمة، والحافظ أبو علي الثقفي والحافظ مُحمَّد بن المُؤمل لقبر سيِّدنا علي بن موسي الرِّضا "رضي الله عنه" ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة الإمام علي الرِّضا فقال:

وقال الحاكم في تاريخ نيسابور: قال: وسمعت أبا بكر مُحمَّد بن المؤمل بن الحسن بن عيسي: خرجنا مع إمام أهل الحديث أبي بكر بن خزيمة، وعديله أبي علي الثقفي مع جماعة من مشائخنا، وهم إذ ذاك متوافرون إلى زيارة قبر علي بن موسي الرِّضا بطوس قال: فرأيت تعظيمه – يعني ابن خزيمة – لتلك البقعة وتواضعه لها وتضرعه عندها ما تحيرنا.[٤]

**قلتُ:** هذا ما رواه الإمام الحاكم وأقرَّه ولم ينكره عن تلكُم الكوكبة، من حفاَّظ الحديث النَّبوي الشَّريف. بل وانظر إلى قوله: (مع جماعة من مشائخنا، وهم إذ ذاك متوافرون). هذا

---

﴿١﴾ هؤلاء ثلاثة من كبار حفاَّظ الأمَّة، يشكون لرسول الله الجوع، ولا يخفي عليك أخي القارئ أنَّ الشَّكوى لرسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يعدها المغالون من الشِّرك الأكبر، والعياذ بالله.

﴿٢﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي ج١٦ / ص ٤٠٠ – ٤٠١

﴿٣﴾ التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي ج١ / ص ٢١

﴿٤﴾ تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج٧ / ص ٣٣٩

الجمع من العلماء لم ينكروا على الحافظ ابن خزيمة تعظيم تلك البقعة التي دُفن فيها سيِّدي علي بن موسى الرِّضا "عليه السَّلام" وتضرُّعه في الدُّعاء عندها.

**١٤- العلاَّمة الحافظ البيهقي [٣٨٤ هـ - ٤٥٨ هـ ]:**

ذكر من مناقب أحمد بن حرب بسنده فقال: أخبرنا زكريا بن أبي دلويه يقول: رأيتُ أحمد بن حرب بعد وفاته بشهر في المنام، فقلت: ما فعل بك ربُّك؟ قال: غفر لي وفوق المغفرة. قلتُ: وما فوق المغفرة؟ قال: أكرمني بأن يستجيب دعوات المسلمين إذا توسَّلوا بقبري.[١]

**قلتُ:** وليس محل الشَّاهد هنا ما كان من أمر الرُّؤيا، ولكن محل الشَّاهد هنا هو: أنَّه كيف يسوغ للإمام الكبير الحافظ البيهقي أن يذكر ذلك على أنَّه من مناقبه لو كان ذلك شركاً؟. وهل جهل الحافظ البيهقي أنَّ هذا الأمر من الشِّرك؟

**١٥- توسُّل العلاَّمة الحافظ ابن القيسراني [٤٤٨ هـ - ٥٠٧ هـ ]:**

ذكر التَّوسُّل بالحافظ أبي مُحمَّد بن عبيد الله فقال: قال أبو الرَّبيع بن سالم الحافظ: كان وقت وفاة أبى مُحمَّد بن عبيد الله قحط مُضر، فلما وضع على شفير القبر، توسَّلوا به إلى الله في إغاثتهم فسُقوا، في تلك الليلة مطرًا وابلاً، وما اختلف النَّاس إلى قبره مدة الأسبوع إلا في الوحل والطين.[٢]

**١٦- توسُّل العلاَّمة الحافظ ابن عساكر [٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ ]:**

ذكر توسُّل سيِّدنا آدم "عليه السَّلام" بسيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.[٣]

**١٧- علامة الحديث الحافظ ابن الصَّلاح [٦٤٣ هـ - ٥٧٧ هـ ] قال:**

حتى لقد انتدب بعض العلماء لاستقصائها، فجمع منها ألف معجزة، وعددناه مقصرًا إذ فوق ذلك بأضعاف لا تُحصى، فإنَّها ليست محصورة على ما وجد منها في آلاف، بل لم

---

﴿١﴾ المنتظم لابن الجوزي ج١١ / ص ٢١١

﴿٢﴾ تذكرة الحفاَّظ للحافظ الذَّهبي ج٤ / ص ١٣٧١

﴿٣﴾ تاريخ دمشق لابن عساكر ج٧ / ص ٣٨٦

تزل تتجدد بعده ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على تعاقُب العصُور وذلك أنَّ كرامات الأولياء من أمَّته، وإجابات المتوسِّلين به في حوائجهم ومغوثاتهم عُقَيب توسُّلهم به في شدائدهم، براهين له ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قواطع ومعجزات له سواطع، ولا يعدُّها عدٌّ، ولا يحصرها حدٌّ.﴿١﴾

**والشَّاهد:** قول علاَّمة الحديث ابن الصَّلاح قوله [وإجابات المتوسِّلين به في حوائجهم ومغوثاتهم عقيب توسُّلهم به.. ] إلى آخر ما قال. فقد عد الحافظ ابن الصَّلاح إجابات المتوسِّلين من معجزات حضرة الرَّسُول الأعظم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

**وقد وقع التَّوسُّل منه بكل وسيلة وبكل شفيع فقال:**

فالله العظيم الذي بيده الضُّر والنَّفع والإعطاء والمنع أسأل، وإليه أضرع وأبتهل متوسِّلا إليه بكل وسيلة، متشفعا إليه بكل شفيع، أن يجعله مليًا بذلك.﴿٢﴾

**١٨ – توسل الحافظ الدَّيلمي المُتوفَّى سنة[٥٨٨ هـ] بالحافظ الإردستاني:**

**يقول الحافظ الذَّهبي:** ناقلاً عن الحافظ شيرويه الدَّيلمي، أنَّه قال عن الحافظ مُحمَّد بن إبراهيم ابن أحمد الإردستاني: كان ثقة، يُحْسن هذا الشأن، سمعتُ عدَّة يقولون: ما من رجلٍ له حاجة من أمر الدُّنيا والآخرة يزور قبره ويدعو، إلا استجاب الله له. قال: وجربتُ أنا ذلك.﴿٣﴾

**١٩– توسُّل العلاَّمة الحافظ أبو الفرج الجوزي [٥٠٨ هـ – ٥٩٧ هـ ]**

ذكر في كتابه الماتع [الوفا بفضائل المُصْطفى] باباً للتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وباباً للاستشفاء بقبره.

---

﴿١﴾ فتاوى ابن الصَّلاح/ ج١ / ص ٢١٠ / ط مكتبة العلوم والحكم – عالم الكتب – بيروت

﴿٢﴾ مقدمة ابن الصَّلاح / ص ٦ / ط دار الفكر المعاصر – بيروت

﴿٣﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي ج١٧ / ص ٤٢٨

**وتوسَّل بجاه النَّبي فقال:** ونستشفع إليه بجاه نبيِّه الكريم، الذي أذن له في إخراج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور.﴿١﴾

**٢٠- توسل الحافظ عمر بن الموصلي المُتوفَّى سنة [٦٢٣ هـ ] قال:**

وعلى الله أعتمد فيما بدر أقصد، وأتوكل، وبرسُوله أتوسل، لبلوغ الآمال.﴿٢﴾

**٢١- توسُّل العلاَّمة الحافظ الكلاعي المُتوفَّى سنة [٦٣٤ هـ ]:**

كتب كتابًا عن المُستغيثين برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ سماه [مصباح الظَّلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام].ذكره صاحب كتاب كشف الظُّنون﴿٣﴾

**٢٢- توسُّل الحافظ الشَّيخ عبد العظيم المُنذري [٥٨١ هـ - ٦٥٦ هـ ] قال:**

ورغبت إلى الله ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى""، أن يعمنا ببركات سيِّد المُرسَلين ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وعليْهم أجمعين".﴿٤﴾

وله رسالة تسمى: زوال الظمأ في ذكر من استغاث برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.﴿٥﴾

**٢٣- توسُّل العلاَّمة الحافظ ابن الأبار [٥٩٥ هـ - ٦٥٨ هـ]:**

ذكر من شعر أبي علي عمر والي جيان بالأندلس فقال:

يرجُوك يا شافع البريَّة أنْ ... تَشْفع فيهَا لبارئ النَّسَمِ
عَسى قبُولٌ لديك يلحُقني ... بقَبركَ المُستنير والحَرَمِ
وصَاحبيكَ اللذين خصَّهما ... بنعْمةِ القُرب منْك ذو النِّعمِ

---

﴿١﴾ التذكرة في الوعظ ج ١ / ص ١٦٢ / ط دار المعرفة – بيروت

﴿٢﴾ المغني عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شيء في هذا الباب / ص١

﴿٣﴾ كشف الظنون لحاجي خليفة ج٢ / ص ١٧٠٦

﴿٤﴾ رسالة في الجرح والتعديل / ج ٢٧ / ط مكتبة دار الأقصى – الكويت

﴿٥﴾ هدية العارفين للباباني ج٥ / ص ٥٨٦

فقَـد توسَّـلتُ بالَّـذي لـك عنْـد   الله مِـنْ رفعَـةٍ ومـنْ عظـمِ[١]

**٢٤- توسل العلاَّمة الحافظ الذَّهبي [٦٧٣ هـ - ٧٤٨ هـ]:**

ذكر في ترجمة شيخ الإسلام السُّبكي فقال: ويُتبرَّك بمجالسته ذَوُو السُّيوف والأقلام ويزدحمُ طلبة فنون العلم على أبوابه، وتمسَحُ العامَّةُ وجوهَهَا بأهداب أثوابه، ويقتدي المتنسِّكون بما يرونه من آدابه. فالله يمتع ببقائه أهل المِصْرين، ويجمع له ولمواليه خير الدَّارين بمُحمَّد وآله.[٢]

**قلتُ:** ولقد ذكر الحافظ الذَّهبي في أكثر من موضع في [سير أعلام النُبلاء] [وتاريخ الإسلام] أنَّ الدُّعاء مستجابٌ عند قبور الصَّالحين، ولا شكَّ أنَّ المنكرين للتَّوسُّل يعُدون الدُّعاء عند القبور ضرباً من الشِّرك والوثنيَّة، فهل الحافظ الذَّهبي يروِّج للشِّرك والوثنيَّة؟ وأنقل إليك أمثلة على ذلك منها:

١- ذكر أنَّ الدُّعاء مستجابٌ عند قبر السيِّدة نفيسة[٣] "رضي الله عنها" وعند قبور

---

[١] الحلة السيراء لابن الأبار ج٢ / ص ٢٨٤

[٢] العبر في خبر من غبر للحافظ الذَّهبي ج١ / ص ٣٢٦

[٣] هي السيدة الجليلة نفيسة ابنة الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب "رضي الله عنها" السيّدة المشهورة، دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وقيل بل دخلت مع أبيها الحسن، وإن قبره بمصر ولكنه غير مشهور، وإنه كان والياً على المدينة من قبل المنصور، أقام في الولاية مدة خمس سنين، ثمَّ غضب عليه فعزله واستصفى أمواله وحبسه ببغداد، ولم يزل محبوساً إلى أن مات المنصور، وولي المهدي، فأخرجه من حبسه، ورد عليه ما أُخِذ منه، ولم يزل معه، فلما حج المهدي كان في جملته، فلما انتهى إلى الحاجر مات هناك سنة ثمان وستين ومائة وهو ابن خمس وثمانين سنة، وصلى عليه علي بن المهدي وقيل توفي ببغداد والصحيح الأول، وأما نفيسة هذه فكانت من النساء الصالحات التقيات، ويُروى أنّ الإمام الشَّافعي لما دخل مصر حضر إليها وسمع عليها الحديث، وللمصريّين فيها اعتقاد عظيم، ولما توفي الشَّافعي أدخلت جنازته إليها وصلّت عليه في دارها وكانت دارها مكانَ مشهدِها اليوم، ولم تزل به إلى أن توفيت في شهر رمضان سنة ثمان ومائتين، ولما ماتت عزم زوجها المؤتمن إسحاق بن جعفر الصادق على حملها إلى المدينة ليدفنها هناك، فسأله المصريون بقاءها عندهم، فدفنت في الوضع المعروف بها الآن بين مصر والقاهرة عند والمشاهد، وهذا الموضع كان يعرف

الأنبياء والصَّالحين فقال:

كانت من الصَّالحات العوابد، والدُّعاء مستجابٌ عند قبرها، بل وعند قبُور الأنبياء والصَّالحين.﴿١﴾

٢- وأنَّ الدُّعاء عند قبر الحافظ الثبت، أبو الفضل بن الكوملاذي مُستجاب:

قال الحافظ شيرويه الدَّيلمي: كان ركنًا من أركان الحديث. ثقة، حافظاً، ديناً ورعاً صدوقاً، لا يخاف في الله لومة لائم. وله مصنفات غزيرة. مولده سنة ثلاث وثلاث مئة ومات لثمان بقين من شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة، ويستجاب الدُّعاء عند قبره.﴿٢﴾

٣- وقال عن قبر مسند الدِّيار المصريَّة: أبو الحسن علي بن الحسن: قال ابن الأنماطي: قبر الخلعي بالقرافة يعرف بقبر قاضي الجن والإنس، يعرف بإجابة الدُّعاء عنده﴿٣﴾.

**٢٥- توسُّل المُحدث أبو عبد الله بن بهَادر المُتوفَّى سنة [٧٤٩ هـ]:**

قال: وحشرني معه في زمرة سيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ببركة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحسبنا الله ونعم الوكيل.﴿٤﴾

**٢٦- توسُّل الحافظ صلاح الدِّين العلائي [٤٩٤ هـ - ٧٦١ هـ ]:**

ألف كتابًا في الرَّد على الشَّيخ ابن تيميَّة في التَّوسُّل والزِّيارة.﴿٥﴾

---

يوم ذاك بدرب السباع، فخرِب الدرب واشتهر إجابة الدُّعاء عند قبرها.

أنظر ترجمتها في [الوافي بالوفيات] للشَّيخ صلاح الدِّين الصفدي تلميذ الشَّيخ ابن تيميَّة.

﴿١﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي ج١٠ / ص١٠٧

﴿٢﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي ج١٦ / ص٥١٩

﴿٣﴾ سير أعلام النُبلاء للذهبي ج١٩ / ص٧٦ - ٧٧

﴿٤﴾ النكت على مقدمة ابن الصَّلاح / ج١ / ص ٦٦٧ / ط أضواء السَّلف - الرياض

﴿٥﴾ فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ج٢ / ص٧٩١ / ط دار الغرب الإسلامي - بيروت

**٢٧- توسُّل الحافظ المُفسِّر ابن كثير الدمشقي [٧٠٠ هـ - ٧٧٤ هـ ]:**

ذكر التوسَّل بالنَّبي وآله الطَّاهرين عند ذكر النَّار التي ظهرت في المدينة المنورة فقال: فالله يجعلها عبرة للمسلمين ورحمة للعالمين بمُحمَّد وآله الطَّاهرين.﴿١﴾

**٢٨- توسُّل الحافظ الشَّيخ أبو الطَّيب المكيِّ الفاسيِّ [٧٧٥ هـ - ٨٣٢ هـ] قال:**

وأسال الله أن يوفقني في ذلك للسَّداد وأن يسعفني ومن أصلح فيه خللاً نيل المراد بمُحمَّد سيِّد المُرسلين وآله وصحبه الأكرمين.﴿٢﴾

**٢٩- توسُّل الحافظ حُجة عِلم القراءات ابن الجزري [٧٥٧ هـ - ٨٣٣ هـ]:**

ذكَرَ الحافظُ ابن الجزريُّ وهو شيخُ القرَّاءِ وكانَ من حفاَّظ الحديثِ في كتاب [الحصن الحصين] في آداب الدُّعاء فقال: وأن يتوسَّل إلى الله بأنبيائه والصَّالحين من عباده.﴿٣﴾

**وقال أيضًا: فصل في أماكن الإجابة، وهي المواضع المباركة..**

وعند قبور الأنبياء "عليهم السَّلام"، ولا يصح قبر نبي بعينه سوى قبر نبينا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بالإجماع فقط، وقبر إبراهيم "عليه السَّلام" داخل السُّور من غير تعيين، وجُرِّب استجابة الدُّعاء عند قبور الصَّالحين بشروط معروفة.

**وقال أيضًا متوسِّلاً بالإمام الشَّافعي:**

ودفن يوم الجمعة بعد العصر، وقبره بقرافة مصر مشهور، والدُّعاء عنده مستجاب ولما زرته قلت:

زُرْتُ الإمَــامَ الشَّــافعي ... لأنَّ ذلــكَ نَــافِعي

لأنَــالَ منْــه شَــفَاعةً ... أكْـرِمْ بـه مِـنَ شـافع﴿١﴾

---

﴿١﴾ البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ / ص ١٩٢

﴿٢﴾ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد ج١ / ص٣٣

﴿٣﴾ الحصن الحصين للحافظ ابن الجزري ص٥

﴿١﴾ غاية النهاية في طبقات القراء للحافظ ابن الجزري/ ج٢/ ترجمة رقم (٢٨٣٩) ط دار الصَّحابة للتراث

**وقال أيضًا عن قبر الإمام الشَّاطبي"قدس الله سرَّه":**

وقبره مشهورٌ معروفٌ يُقصد للزِّيارة، وقد زرتُه مرَّات، وعرض عليَّ بعض أصحابي الشَّاطبيَّة عند قبره، ورأيتُ بركة الدُّعاء عند قبره بالإجابة "رحمه الله ورضي عنه".

**قلتُ:** فهذا إمام القُرَّاء شمس الدَّين ابن الجزري يعُدُّ التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين من آداب الدُّعاء، وهو بذلك يكون . في فهم مدَّعي السَّلفية . من القُبوريين، والعياذُ بالله فبالله عليك أخي القارئ كيف يُستأمن بعد ذلك، ويؤخذ منه علوم القرآن وأحكام التجويد؟.

**٣٠- الحافظ شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني [٧٧٣ هـ - ٨٥٢ هـ] والتَّوسُّل:**

قال شيخ الإسلام خاتمة حفَّاظ المسلمين أمير المؤمنين في الحديث النَّبوي الشَّريف متوسِّلاً بجاه الحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

نبـــيَّ الله يَـــا خَيْـــرَ البَرَايَـــا    بجَاهِـــكَ أتَّقـــي فَصْـــل القَضَـــاءِ

وَأرْجُـــو يَـــا كَـــريمَ العَفْـــو عمَّـــا    جَنتـــهُ يَـــداي يَـــا ربَّ الحِبَـــاءِ﴿٢﴾

**وقال أيضًا في [فتح الباري] في شرح حديث الشَّفَاعة:**

وفيه أنَّ النَّاس يوم القيامة يَستصْحبُون حالهم في الدُّنيا من التَّوسُّل إلى الله تعالى في حوائجهم بأنبيائهم، والباعث على ذلك الإلهام كما تقدم في صدر الحديث.﴿٣﴾

**قلتُ:** يُفهم من كلام الحافظ ابن حجر "رضي الله عنه" أنَّ الخلق يوم القيامة يتوسَّلون بالأنبياء كما كانوا يتوسَّلون بهم في الدُّنيا، ومعلوم لدى كل عاقل أنَّ المتوسِّلين يوم القيامة منهم من رأي الأنبياء في الحياة الدُّنيا ومنهم من لم يرهم. فالنَّاس يتوسَّلون يوم القيامة

---

بطنطا

﴿٢﴾ أنظر ديوان الحافظ ابن حجر المطبوع في الهند / المكتبة العربيَّة – حيدر أباد سنة ١٣٨١ هـ

ونقل هذه الأبيات العلاَّمة الشَّيخ يوسف النبهاني من خط الحافظ ابن حجر العسقلاني كما ذكر ذلك في مجموعة القصائد النبهانية (١ / ١٦٦). والحِبَاء هو: العطاء بلا مَنّ ولا جزاء

﴿٣﴾ فتح الباري للحافظ ابن حجر ج١١ / ص٤٤١

بالأنبياء كما كانوا يتوسَّلون بهم في الحياة الدُّنيا.

**وقال أيضًا:** وما أحسن قول الجُنيد "نفع الله ببركته" مُكابدةُ العُزلة أيسر من مداراة الخلطة "﴿١﴾

**وقال أيضًا:** أشار إليه ابن أبي جمرة "نفع الله ببركته".﴿٢﴾

**٣١- العلاَّمة المُحدث الفقيه الشَّيخ بدر الدَّين العيني [٧٦٢ هـ - ٨٥٥ هـ] قال:**

معنى قول أبي طالب هذا في الحقيقة توسل إلى الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" بنبيه لأنَّه حضر استسقاء عبد المطلب والنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ معه، فيكون استسقاء النَّاس الغمام في ذلك الوقت ببركة وجهه الكريم.﴿٣﴾

**٣٢- توسُّل العلاَّمة الحافظ السَّخاوي المُتوفَّى سنة [٩٠٢ هـ]:**

وأفضل الصَّلوات والسَّلام، على النَّبي المُخبر عن الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" بالوحي وغيرهِ ولا ينطق عن الهوى، سيِّدنا مُحمَّد سيِّد الأنام كلهم، ووسيلتُنا، وسندُنا، وذخرُنا، في الشَّدائد والنَّوازل (صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً كثيراً) آمين آمين آمين.﴿٤﴾

وحكي الحافظ السَّخاوي عن نفسه في شدَّة ألمَّت به فتَوسَّل بالمُصْطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ففرَّج الله عنه فقال:

ثمَّ بعد أن تحولتُ قدم شيخُ الحرم المشار إليه، وعلم بالمقاصد السيِّئة التي لم تنه إليه على وجهها في أمر الخلوة، أمر برد مفتاحها إليّ، بحيث كان ذلك سبباً لإنشاء قصيدة في المديح النَّبوي تزيد على ستِّين بيتاً، توسَّلتُ فيها به في دفع كيد الأعداء وبغيهم، ورأيت عقبها في منامي ما يؤذن بالنَّصر مما شاهدته يقظة.﴿١﴾

---

﴿١﴾ فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١١ / ص٣٣١/ ط دار المعرفة – بيروت

﴿٢﴾ فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج٢ / ص٨٧ / ط دار المعرفة – بيروت

﴿٣﴾ عمدة القاري للشَّيخ بدر الدَّين العيني / ج٧ / ص٣٠

﴿٤﴾ فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ج ٤ / ص ٤١٠

﴿١﴾ التحفة اللطيفة تاريخ المدينة الشَّريفة للحافظ السخاوي

**٣٣- توسل الحافظ عبد الرَّحمن بن مُحمَّد الأوجَاقي المُتوفَّى سنة [٩١٠ هـ ]:**

قال في مرضه الذي مات فيه:

لمَّا مرضتُ من الذُّنوب لثقلها — وأيستُ مِنْ طبِ الطَّبيب النَّافعِ

علَّقت أطمَاعي برَحمَة سَيِّدي — وأتيتُه مُتوسلاً بالشَّافعي[٢]

**٣٤- توسُّل العلاَّمة الحافظ جلال الدَّين السيوطي [٨٤٩ هـ - ٩١١ هـ ]:**

ذكر الحافظ جلال الدَّين السُّيُوطي في [المستقصي في فضائل المسجد الأقصى] في بحث زيارة الخليل عليْه السَّلام ما صورته:

ويقول: يا نبيَّ الله: إني أتوجَّه بك إلى ربِّي في حوائجي لتقضي لي. إلى أن قال الحافظ: ثمَّ يتوجَّه إلى الله بجميع أنبيائه خصوصًا سيِّد الأولين والآخرين سيِّدنا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ثمَّ ذكر الحافظ عن كعب الأحبار: ولا يتوسَّل أحدٌ بإبراهيم "عليْه السَّلام" إلا أعطاه الله ما سأله وأضعفَ له ذلك، زيادةً لكرامة إبراهيم "عليْه السَّلام". وقال الحافظ جلال الدَّين: وحدث الحسن بن موسي بن الحسن التَّاجر قال: حدثني رجلٌ من أهل بعلبك فسماه، وقد زار قبر إبراهيم الخليل "عليْه السَّلام" وهو يبكي ويقول: حبيبي إبراهيم سل ربَّك يكفيني ثلاثا فإنَّهم يؤذُونني، ثمَّ رجعنا إلى (يافا) فوصل قارب من بيروت فحدثنا أنَّ الثلاثة الَّذين سماهم ماتوا.[٣]

**وتوسَّل بجاه المُصْطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾** فقال:

وأسأل الله تعالى أن يقبضنا إلى رحمته قبل وقوع فتنة المائة التاسعة بجاه مُحمَّد صلَّى الله عليه وآله وصحبه أجمعين آمين.[٤]

**وقال في الإتقان:**

---

﴿٢﴾ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للنجم الغزي ج١ / ص ١٤٠

﴿٣﴾ نقلا عن سعادة الدارين في الرد على الفرقتين للسمنودي / ص ١٩٢

﴿٤﴾ تاريخ الخلفاء ج١ / ص٢٢٠

وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له، والله أسأل أن يعين على إكماله بمُحمَّد وآله.﴿١﴾

**٣٥- العلاَّمة المُحدث ابن حجر المكي [٨٠٩ هـ - ٩٧٣ هـ ]:**

نقل الإجماع عن علماء السَّلف على التَّوسُّل فقال في [الجوهر المنظَّم في زيارة القبر المكرَّم]: من خُرافات ابن تيميَّة التي لم يقُلها عالم قبلَه، وصار بها بين الأنام مُثلة، أنَّه أنكر الاستغاثة والتَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وليس كما افترى، بل التَّوسُّل به حَسَنٌ في كل حال، قبل خلقه، وبعده، في الدُّنيا والآخرة.﴿٢﴾

**٣٦- توسُّل الحافظ المُفسِّر عبد الرَّءوف المناوي [٩٢٤ هـ - ١٠٣١ هـ] قال:**

أسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجباً للفوز بجنات النَّعيم، وأن يعمَّ النَّفع به ببركة النَّبي العظيم، والحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.﴿٣﴾

**٣٧- توسُّل علاَّمة الحديث الإمام العجلوني [١٠٨٧ هـ - ١١٦٢ هـ ] قال:**

انتهى ما في الموضوعات للقاري، وضع سيئات أعمالنا بإفضاله الجاري، وختمها بالصَّالحات، بجاه مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ سيِّد السادات.﴿٤﴾

**٣٨- توسُّل الحافظ الشَّيخ مُرتضي الدِّين الزَّبيدي [١١٤٥ هـ - ١٢٠٥ هـ] قال:**

وسميتُ هذا الكتاب المبارك [التجريد الصَّحيح لأحاديث الجامع الصَّحيح] والمسئول من الله تعالى أن ينفع بذلك، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يصلح المقاصد والأعمال بجاه سيِّدنا مُحمَّد وآله وصحبه أجمعين.﴿٥﴾

**٣٩- العلاَّمة الشَّيخ عابد السِّندي المُتوفَّى [١٢٥٧ هـ ] يؤيد التَّوسُّل:**

---

﴿١﴾ الإتقان للحافظ جلال الدِّين السيوطي ج٤ / ص٢٤٤ / ط الهيئة المصرية العامة للكتاب

﴿٢﴾ نقلا عن سعادة الدارين للسمنودي/ ص١٩٢

﴿٣﴾ فيض القدير للمناوي / ج٦ / ص٤٦٨ / ط المكتبة التجارية الكبرى – مصر

﴿٤﴾ كشف الخفا للعجلوني /ج٢ / ص ٥٦٤ / ط مؤسسة الرسالة – بيروت

﴿٥﴾ التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ص٩

ذكر المباركفوري [في تحفة الأحوزي] بعد ذكر حديث الأعمى فقال:

**تنبيه:** قال الشَّيخ عبد الغني في [إنجاح الحاجة] ذكر شيخُنا عابد السِّندي في رسالته: والحديث يدُل على جواز التَّوسُّل والاستشفاع بذاته المكرم في حياته، أمَّا بعد مماته فقد روى الطبراني في الكبير عن عثمان بن حنيف أنَّ رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة له....فذكر الحديث، قال: وقد كتب شيخُنا المذكور رسالة مستقلة فيها التفصيل من أراد فليرجع إليها.[١]

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## توسُّل السَّادة علماء التَّفسير

﴿١﴾ تحفة الأحوذي ج١٠ / ٢٥ / دار الكتب العلمية – بيروت

**١- توسل العلاَّمة المفسِّر الإمام القُرطبي المُتوفَّى سنة [٦٧١ هـ] قال:**

وقال رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: وددت أنَّا لو رأينا إخواننا..الحديث. فجعلنا إخوانه إن اتقينا الله، واقتفينا آثاره، حشرنا الله في زمرته، ولا حَادَ بنا عن طريقته وملَّته بحق مُحمَّد وآله.﴿١﴾

**وذكر عند تفسير قول الله سبحانه ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ﴾﴿٢﴾ فقال:**

﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ**﴾. روى أبو صادق عن عليٍّ قال:

قدم علينا أعرابي بعد ما دفنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بثلاثة أيام فرمى بنفسه على قبر رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وحثا على رأسه من ترابه فقال: قلتَ يا رسُولَ الله فسمعنا قولك، ووعيت عن الله فوعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عليك ﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ**﴾..... الآية، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي. فنودي من القبر أنَّه قد غفر لك.﴿٣﴾

**٢- الإمام النَّسفي المُتوفَّى سنة [٧١٠ هـ]:**

ذكر قصة قدوم الأعرابي الذي رمي بنفسه على القبر الشَّريف.﴿٤﴾

**٣- توسل العلاَّمة الحسن بن مُحمَّد النيسابوري المُتوفَّى سنة [٧٢٨ هـ] قال:**

اللَّهُمَّ اجعلنا من العارفين، واكشف عنا غطاءنا بحق مُحمَّد وآله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.﴿١﴾

---

﴿١﴾ تفسير القرطبي / ج٨ / ص ٤٢٠ / ط دار الشعب القاهرة

﴿٢﴾ سورة النساء: ٦٤

﴿٣﴾ تفسير القرطبي ج٥ / ص ٢٦٥

﴿٤﴾ تفسير النسفي ج١/ ص ١ / ص ٢٣٠-٢٣١

﴿١﴾ تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ج٦ / ص١٣٠

**٣- الإمام المفسِّر أبو حيان [٦٥٤ هـ - ٧٥٤ هـ]:**

ذكر قصة قدوم الأعرابي الذي رمي بنفسه على القبر النَّبوي الشَّريف.﴿٢﴾

**٥- الحافظ المفسِّر ابن كثير [٧٠٠ هـ - ٧٧٤ هـ ]:**

ذكر عند قوله تعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ فقال: يُرشد تعالى العُصاة والمذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرَّسُول ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فيستغفروا الله عنده ويسألوه أن يستغفر لهم، فإنَّهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم، ورحمهم، وغفر لهم ولهذا قال: ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾. ثمَّ ذكر قصة الإمام العُتْبي فقال: وقد ذكر جماعة منهم: الشَّيخ أبو نصر بن الصبَّاغ في كتابه [الشَّامل] الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالسا عند قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، فجاء أعرابي... وذكر القصَّة المشهورة.﴿٣﴾

**٦- الإمام المُفسِّر الشَّيخ الثعالبي المُتوفَّى سنة [٨٧٥ هـ]:**

ذكر توسل اليهود بسيِّد الوجود ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال: وروى أبو بكر مُحمَّد بن حُسَيْنٍ الآجُرِّيُّ عن ابن عبَّاس، قال: كانت يهودُ خَيبَرَ يُقَاتِلونَ غطَفَان فكُلَّما التقوا هزمت اليهودَ فَعَاذَ اليهودُ يوماً بالدُّعاء، فقالوا: اللَّهُمَّ، أنَّا نسألكَ بحَقِّ مُحمَّد النَّبي الأُمِّيِّ الذي وعدتَّنَا أن تخرجَهُ لَنَا في آخر الزمان إلاَّ نَصَرْتَنَا علَيْهم فكانوا إذا التقوا، دعوا بهذا الدُّعاء فهزموا غَطَفَانَ، فلما بُعِثَ رسُول اللَّهِ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كَفَرُوا به، فأنزل اللَّه "عَزَّ وَجَلَّ"، ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، والاستفتاحُ:

---

﴿٢﴾ أنظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ج٤ / ص١٨.

﴿٣﴾ تفسير ابن كثير ج٢ / ص٣٤٦ - ٣٤٧ / دار طيبة للنشر والتوزيع

الاستنصار.﴿١﴾

**٧– توسُّل العلاَّمة المُفسِّر الشَّيخ إسماعيل حقي [١٠٦٣ هـ – ١١٣٧ هـ]:**

توسَّل بجاه المُصْطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بقوله: نسأل الله سبحانه أن يعصمنا من الزَّلل، ويحفظنا من الخلل، ويجعلنا في القبر والقيامة من الآمنين، ويبشرنا عند الموت برحمة منه وفضل مبين، بجاه النَّبي الأمين.﴿٢﴾

**٨– توسل العلاَّمة المُفسِّر ابن عجيبة المُتوفَّى سنة [١٢٢٤ هـ] قال:**

كَمل [البحر المديد في تفسير القرآن المجيد] بحول الله وقوته. نسأل الله سبحانه أن يكسوه جلباب القبول، ويُبلغ به كل مَن طالعه أو حصّله القصدَ والمأمول، بجاه سيِّد الأولين والآخرين سيِّدنا ومولانا مُحمَّد، خاتم النَّبيين وإمام المرسلين.﴿٣﴾

**٩– الإمام المُحدث الفقيه المُفسِّر الشَّيخ الشَّوكاني المُتوفَّى سنة [١٢٥٠ هـ]**

ذكر المباركفوري في [تحفة الأحوزي] رأي الإمام الشَّوكاني في التَّوسُّل بعد ذكر حديث الرَّجل الأعمى فقال: وقال الشَّوكاني في [تحفة الذَّاكرين]: وفي الحديث دليلٌ على جواز التَّوسُّل برسُول الله إلى الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" مع اعتقاد أنَّ الفاعل هو الله ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"" وأنَّه المعطي، المانع، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

وقال فيها في شرح قول صاحب العمدة: [ويتوسَّل إلى الله بأنبيائه والصَّالحين] ما لفظه: ومن التَّوسُّل بالأنبياء ما أخرجه الترمذي من حديث عثمان بن حنيف "رضي الله عنه" أنَّ أعمى أتى النَّبي...فذكر الحديث. ثمَّ قال: وأما التَّوسُّل بالصَّالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أنَّ الصَّحابة استسقوا بالعبَّاس "رضي الله عنه" عمٌّ رسُول الله وقال عمر "رضي الله عنه": اللَّهُمَّ إنَّا نتوسَّل إليك بعم نبيِّنا.

**وقال في رسالته[ الدُّر النَّضيد في إخلاص كلمة التَّوحيد ]:**

---

﴿١﴾ تفسير الثعالبي ج١/ ص ٥٢

﴿٢﴾ روح البيان في تفسير القرآن للشَّيخ إسماعيل حقي / ج١٤ / ص ٢٨٣

﴿٣﴾ نهاية البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة (٣٧٩/٧).

وأما التَّوسُّل إلى الله "سُبْحَانه" بأحد من خلقه، في مطلب يطلبه العبد من ربِّه، فقد قال الشَّيخ عزِّ الدَّين بن عبد السَّلام: أنَّه لا يجوز التَّوسُّل إلى الله تعالى إلا بالنَّبي إن صح الحديث فيه، ولعله يشير إلى الحديث الذي أخرجه النسائي في سننه والترمذي، وصححه ابن ماجه وغيرهم: أنَّ أعمى أتى النَّبي فذكر الحديث.قال: وللنَّاس في معنى هذا قولان:

**أحدهما**: أنَّ التَّوسُّل هو الذي ذكره عمر بن الخطاب لما قال: (كنا إذا أجدبنا نتوسَّل بنبينا إليك فتسقينا وأنَّا نتوسَّل إليك بعم نبينا) وهو في صحيح البخاري وغيره. فقد ذكر عمر "رضي الله عنه" أنَّهم كانوا يتوسَّلون بالنَّبي في حياته في الاستسقاء، ثمَّ توسَّل بعمه العبَّاس بعد موته وتوسَّلهم هو استسقاؤهم بحيث يدعو ويدعون معه، فيكون هو وسيلتهم إلى الله تعالى والنَّبي كان في مثل هذا شافعا وداعيا لهم.

**والقول الثاني**: أنَّ التَّوسُّل به يكون في حياته وبعد موته وفي حضرته ومغيبه ولا يخفاك أنَّه قد ثبت التَّوسُّل به في حياته وثبت التَّوسُّل بغيره بعد موته بإجماع الصَّحابة إجماعا سكوتيا لعدم إنّكار أحد منهم على عمر "رضي الله عنه" في توسُّله بالعبَّاس "رضي الله عنه" وعندي أنَّه لا وجه لتخصيص جواز التَّوسُّل بالنَّبي كما زعمه الشَّيخ عزَّ الدَّين بن عبد السَّلام لأمرين:

**الأول**: ما عرفناك به من إجماع الصَّحابة رضي الله عنهم.

**والثاني**: أنَّ التَّوسُّل إلى الله بأهل الفضل والعلم، هو في التحقيق توسَّل بأعمالهم الصَّالحة ومزاياهم الفاضلة، إذ لا يكون الفاضل فاضلاً إلا بأعماله، فإذا قال القائل: اللَّهُمَّ إني أتوسُّل إليك بالعالم الفلاني، فهو باعتبار ما قام به من العلم، وقد ثبت في الصَّحيحين وغيرهما، أنَّ النَّبي حكى عن الثلاثة الذين انطبقت عليْهم الصخرة، أنَّ كل واحد منهم توسُّل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصَّخرة، فلو كان التَّوسُّل بالأعمال الفاضلة غير جائز، أو كان شركاَ كما يزعمه المتشددون في هذا الباب كابن عبد السَّلام[1] ومن قال بقوله من

﴿١﴾ لم يتشدَّد سُلطان العلماء العزِّ ابن عبد السَّلام، في هذا الباب بل كلامه "رضي الله عنه" كان في الإقسام

أتباعه، لم تحصل الإجابة لهم ولا سكت النَّبي عن إنّكار ما فعلوه بعد حكايته عنهم، وبهذا تعلم أن ما يورده المانعون من التَّوسُّل بالأنبياء والصُّلحاء من نحو قوله تعالى ﴿ **مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ** ﴾..ونحو قوله تعالى ﴿**فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا**﴾ ونحو قوله تعالى ﴿**لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ**﴾ ليس بوارد بل هو من الاستدلال على محل النزاع بما هو أجنبي عنه[١]، فإنَّ قولهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى مصرح بأنَّهم عبدوهم لذلك، والمتوسِّل بالعالم مثلا

---

بحضرة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾. وليس في التوسُّل والشَّوكاني قلَّد في هذا الشَّيخ ابن تيميَّة ولم يرجع إلى فتوى العز بن عبد السَّلام. وهذا نصُّ الفتوى للإمام العزِّ كما في الفتاوى الموصلية:

" الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيِّدنا مُحمَّد وآله.

نسخة أسئلة أجاب عنها الشَّيخ الإمام العلاَّمة شيخ الإسلام عز الدَّين بن عبد السَّلام بن أبي القاسم بن مهذب السلمي "رضي الله عنه" وأعاد علينا وعلى الكافة من بركاته.

مسألة: ما يقول وفقه الله تعالى في الداعي يقسم على الله تعالى بعظيم من خلقه في دعائه، كالنَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ والولي والملك هل يكره له ذلك أم لا ؟ ثمَّ ذكر عدة أسئلة، ثمَّ قال:

أجاب الشَّيخ "رضي الله عنه": أما مسألة الدُّعاء فقد جاء في بعض الأحاديث أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ علم بعضَ النَّاس الدُّعاء، فقال في أوله: "قل اللَّهُمَّ إني أقسم عليك بنبيِّك مُحمَّد نبي الرحمة"، وهذا الحديث إن صح فينبغي أن يكون مقصوراً على رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾، لأنه سيد ولد آدم وأن لا يقسم على الله تعالى بغيره من الأنبياء، والملائكة، والأولياء، لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما خص به نبينا على علو درجته ومرتبته" انتهى. أنظر (الرَّد المحكم) للسَّيد عبد الله بن الصِّديق (ص٥٥)

﴿٢﴾ لقد أجاد الشَّيخ الشَّوكاني في الرَّد على من استشهد بآيات نزلت في حق الكفار، فصرفها على من توسَّل بسيِّد ولد آدم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أو بالصَّالحين من عباد الله، وهذا لعمري من فعل الخوارج الَّذين انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين، كما ذكر ذلك الإمام البخاري في صحيحه عن سيِّدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال: وكان ابن عمر يراهم شرارُ خلق الله، وقال إنَّهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين.

لم يعبده، بل علم أنَّ له مزيَّة عند الله بحمله العلم فتوسَّل به لذلك، وكذلك قوله ﴿**فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾ فإنَّه نهى عن أن يُدعى مع الله غيره كأن يقول: يالله ويا فلان. والمتوسِّل بالعالم مثلاً لم يدع إلا الله، فإنَّما وقع منه التَّوسُّل عليْه بعمل صالح عمله بعض عباده، كما توسُّل الثلاثة الذين انطبقت عليْهم الصخرة بصالح أعمالهم وكذلك قوله ﴿**وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ**﴾...الآية. فإنَّ هؤلاء دعوا من لا يستجيب لهم، ولم يدعوا ربهم الذي يستجيب لهم، والمتوسَّل بالعالم مثلا لم يدع إلا الله، ولم يدع غيره دونه، ولا دعا غيره معه، وإذا عرفت هذا لم يخف عليك دفع ما يورده المانعون للتَّوسُّل من الأدلة الخارجة عن محل النزاع، خروجاً زائداً﴿١﴾ على ما ذكرناه، كاستدلالهم بقوله تعالى ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾**﴾ فإنَّ هذه الآية الشَّريفة ليس فيها إلا أنَّه تعالى المنفرد بالأمر في يوم الدَّين، وأنَّه ليس لغيره من الأمر شيء، والمتوسَّل بنبي من الأنبياء، أو عالم من العلماء، هو لا يعتقد أنَّ لمن توسَّل به مشاركة لله "جل جلاله" في أمر يوم الدَّين، ومن اعتقد هذا لعبد من العباد سواء كان نبيا أو غير نبي فهو في ضلال مبين، وهكذا الاستدلال على منع التَّوسُّل بقوله ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ ﴿**قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا**﴾ فإنَّ هاتين الآيتين مصرحتان بأنَّه ليس لرسُول الله من أمر الله شيء، وأنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فكيف يملك لغيره وليس فيهما منع التَّوسُّل به أو بغيره من الأنبياء أو الأولياء أو العلماء، وقد جعل

---

﴿١﴾ نعم هذه الآيات التي يوردها المنكرون خارجة عن محل النزاع خروجاً زائداً، بل هذا يُشبه صنيع الخوارج الذين انطلقوا إلى الآيات التي نزلت في حق الكفار فأنزلوها على المُؤمنين، كما ورد في الصحيح عن عبد الله بن عمر "رضي الله عنهما".

الله لرسُوله المقام المحمود لمقام الشَّفاعة العظمى، وأرشد الخلق إلى أن يسألوه ذلك، ويطلبوه منه وقال له: سل تعطه، واشفع تشفَّع، وقيل ذلك في كتابه العزَّيز بأنَّ الشَّفاعة لا تكون إلا بإذنه، ولا تكون إلا لمن ارتضى، وهكذا الاستدلال على منع التَّوسُّل بقوله لما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ يا فلان بن فلان لا أملك لك من الله شيئا، يا فلانة بنت فلان لا أملك لك من الله شيئا، فإنَّ هذا ليس فيها إلا التصريح بأنَّه لا يستطيع نفع من أراد الله ضرَّه، ولا ضرَّ من أراد الله تعالى نفعه، وأنَّه لا يملك لأحد من قرابته – فضلاً عن غيرهم – شيئا من الله، وهذا معلوم لكل مسلم، وليس فيه أنَّه لا يُتوسَّل به إلى الله، فإنَّ ذلك هو طلب الأمر ممن له الأمر والنَّهي، وإنَّما أراد الطَّالب أن يقدم بين يدي طلبه ما يكون سببا للإجابة ممن هو المنفرد بالعطاء والمنع، وهو مالك يوم الدَّين..انتهى كلام الشَّوكاني.﴿١﴾

**وتوسَّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:**

بك اللَّهُمَّ أستعينُ على نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، متوسِّلا إليك بنبيِّك المختار.﴿٢﴾

**١١– توسل الشَّيخ المُفسِّر الأمام الألوسي [١٢١٧ هـ – ١٢٧٠ هـ]:**

اللَّهُمَّ اجعلنا سُعداء الدَّارين بحرمة سيِّد الثقلين ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.﴿٣﴾

**وقال في موضع آخر:** نسأل الله تعالى عظيم مغفرته ورحمته لنا ولوالدَّينا ولكافة مؤمني بريَّته بحُرمة سيِّد خليقته وسند أهل صفوته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وعلى آله وصحبه وشيعته.﴿٤﴾

---

﴿١﴾ تحفة الأحوذي / ج١٠ / ص ٢٥ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

﴿٢﴾ نيل الأوطار للشوكاني / ج٥ / ص ٢٣٥ / ط دار الجيل – بيروت

﴿٣﴾ تفسير روح المعاني للألوسي ج١ / ص ٨٢

﴿١﴾ المرجع السابق ج٢١ / ص ٣٩٥

**وقال أيضًا في موضع آخر:** أنا لا أرى بأسًا في التَّوسُّل إلى الله تعالى بجاه النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ عند الله تعالى حيًا وميِّتًا، ويُراد من الجاه معني يرجع إلى صفة من صفاته تعالى، مثل أن يراد به المحبَّة التَّامة المستدعية عدم ردِّه وقبُول شفاعته.

**وقال أيضًا:** لا أري بأسا أيضًا بالإقسام على الله تعالى بجاهه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بهذا المعني والكلام في الحرمة كالكلام في الجاه.﴿١﴾

**١٢- الإمام العلاَّمة المُفسِّر الشَّيخ مُحمَّد متولي الشَّعراوي والتَّوسُّل يقول:**

ونقول لمن يُكفر المتوسِّلين بالنَّبي أو الولي: هذِّبوا هذا القول قليلاً، إنَّ حدوث مثل هذا القول هو نتيجة عدم الفهم، فالَّذي يتوسَّل إلى الله بالنَّبي أو الولي هو – أي المتُوسِّل – يعتقد أنَّ له منزلة عند الله، وهل يعتقد أحد أنَّ الولي يجامُله ليعطيه ما ليس له عند الله؟ طبعًا لا. وهناك من قال: أنَّ الوسيلة بالأحياء ممكنة، ونقول له: أنت تُضيِّق أمرا واسعا لأنَّ حياة الحي لا مدخل لها بالتَّوسُّل، فإنَّ جاء التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إلى الله فإنَّك قد جعلت التَّوسُّل بحُبك لمن علمت أنَّه اقرب منك إلى الله، فحبك له هو الذي يشفع، وإياك أن تظن أنَّه سيأتي لك بما لا تستحق.

**والجماعة التي تقول:** لا يصحُّ أن نتوسَّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ انتقل إلى الرَّفيق الأعلى. نقول: انتظروا قليلاً وانتبهوا إلى ما قاله سيِّدنا عمر "رضوان الله عليه" قال: كنَّا في عهد رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إذا امتنع المطر نتوسَّل برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ونستسقي به، ولما انتقل رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نتوسَّل بعمِّه العبَّاس، وقالوا: لو كان التَّوسُّل برسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ جائزًا بعد انتقاله لما عدل عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" عن التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وذهب إلى التَّوسُّل بعمِّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ونسأل: أقال عُمر كنا نتوسَّل بنبيِّك والآن نتوسَّل إليك

---

﴿٢﴾ المرجع السابق ج٦ / ص ١٢٨ / ط دار إحياء التراث العربي

بالعبَّاس؟ أم قال: والآن نتوسَّل إليه بعمٍّ نبيك؟. ولذلك فالذِّين يمنعون ذلك يوسِّعون الشُّقة على أنفسهم لأن التَّوسُّل لا يكون بالنَّبي فقط، ولكن التَّوسُّل أيضًا بمن يمُت بصلة إلى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فساعة يتوسَّل واحدٌ إلى غيره يعني أنَّه يعتقد أنَّ الذي توسَّل به لا يقدر على شيء، إنَّني أتوسَّل به إلى الغير لأني أعرف أنَّه لا يستطيع أن ينفذ لي مطلوبي، إذن فلنُبعد مسألة الشِّرك عن هذا المجال، ونقول: نحن نتوسَّل به إلى غيره لأنَّنا نعلم أنَّ المُتوسَّل إليه هو القادر، وأنَّ المتوسَّل به هو الحقيقة، وأنَّ المتوسَّل إليه هو المرجو بالإضافة، والمتوسل به هو محل الرجاء بالإضافة وهذا هو منتهي اليقين ومنتهي الإيمان، ولكن المتوسَّل به قد ينتفع – أي بالمطر – وقد لا ينتفع، وعندما توسَّل سيِّدنا عمر بالعبَّاس عم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كان يفعل ذلك من أجل المطر والمطر في هذه الحالة لا ينتفع به رسُول الله، لذلك جاء بواحد من آل البيت، وكأنَّه قال: يا رب عمُّ نبيِّك عطشان فمن أجله نريد المطر. إذن فتوسُّل عمر بن الخطَّاب "رضي الله عنه" بعم النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ دليل ضد الذين يمنعون التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد الانتقال إلى الرَّفيق الأعلى.﴿١﴾

**وتوسَّل الإمام العلاَّمة الشَّيخ مُحمَّد متولي الشعراوي بجاه المُصْطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في آخر خُطبته العصماء التي خطبها في جُموع الحجيج يوم عرفة سنة (١٣٩٦ هـ) فقال:**

إلهي بجاهه عندك، ومكانته لديك، ومحبتك له، وبالسِّر الذي بينك وبينه، أسألك أن تصلِّي وتسلَّم عليه وعلى آله، وأن ترزقنا حبه، وحبَ مَنْ يُحبه، وأن ترزقنا اتباعه والإقتداء بآدابه وسنته.

## التَّوسُّل عند السَّادة الأحناف

### ١– الإمام الأعظم أبو حنيفة النُّعمان [٨٠ هـ – ١٥٠ هـ] والتَّوسُّل:

﴿١﴾ تفسير القرآن الكريم للشَّيخ الشعراوي ص ٣١٠٧ / ٣١٠٨

ورد عن الإمام الجليل أبي حنيفة "رضي الله عنه" ما يستند إليه المُنكرون للتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهو قول أبي حنيفة كما جاء في (التَّتارخَانية) معزيًا للمنتقى: روى أبو يوسف عن أبي حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو اللّه إلا به – أي بأسمائه وصفاته – والدّعاء المأذون فيه المأمور به ما استفيد من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.﴿١﴾ هذا ما ورد عن الإمام أبي حنيفة في كتب السَّادة الأحناف:

وليس في كلامه "رحمه الله" ما يتكئُ عليه المانعون من التَّوسُّل بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من وجوه:

١- لأنّ ما قاله أبو حنيفة: (لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو الله إلا به) لن يوافق عليه المُنكرون أنفسهم، لأنَّ معنى كلامه "رضي الله عنه" أنَّه اقتصر على نوعٍ واحدٍ من أنواع التَّوسُّل وهو التَّوسُّل بأسماء الله الحُسنى، ومعلومٌ أنَّ هناك أنواعًا للتَّوسُّل لا يختلف عليها أحدٌ. ومنها التَّوسُل بالأعمال الصَّالحة، والتَّوسُّل بطلب الدُّعاء من الرَّجل الصَّالح.

فهل يوافقه هؤلاء على الاقتصار على التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى فقط، وردِّ ما جاء في الحديث الصَّحيح بتوسُّل الثَّلاثة الذين توسَّلوا بأعمالهم الصَّالحة، والتَّوسُّل بطلب الدَّعاء من الرَّجل الصالح، كما ورد بالطُّرق الصحيحة؟ اللّهُمَّ إنهم لا يرضون.

٢- جمهُور فقهاء المذهب الحنفي، فسَّروا كلام إمامهم، باعتقاد وجوب حقٍّ على الله تعالى، كما قال الإمام الحصكفيّ: لأنَّه لا حق للخلق على اللّه تعالى، وإنّما يخصُ برحمته من يشاء من غير وجوب عليه.

**وقال ابن عابدين:** قد يقال: إنَّه لا حق لهم وجوباً على اللّه تعالى لكن اللّه ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى"" جعل لهم حقّا من فضله، أو يراد بالحقّ الحرمة والعظمة، فيكون من باب الوسيلة، وقد قال تعالى:﴿ **وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ**﴾ وقد عُدَّ من آداب الدّعاء التّوسّل على ما في

---

﴿١﴾ أنظر (الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة) تحت مادة (توسُّل).

(الحصن)، وجاء في رواية: اللَّهُمَّ إنّي أسألك بحقّ السّائلين عليك، وبحقّ ممشاي إليك، فإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً... الحديث.

ويحتمل أن يراد بحقِّهم علينا وجوب الإيمان بهم وتعظيمهم.[١]

**ويقول العلاَّمة الفقيه شهاب الدِّين أبو العبَّاس القرافي [٦٢٦ هـ- ٦٨٤ هـ]:**

وعلى ما نُقل عن فقهاء الأحناف من تحريم قول الدَّاعي بحق مُحمَّد وبحق فلان.

فمحمول إمَّا على ملاحظة الدَّاعي الإقسام، أو قصده الحق بمعنى الواجب، كما هو ظاهر تعليلهم بقولهم، لأنَّه لا حق لأحد على الله، أمَّا إذا لاحظ به التَّوسُّل، أو قصد الحقَّ بمعنى الرُّتبة، والمنزلة لديه تعالى، أو الحقّ الذي جعله الله له على الخلق وعليه بفضله للخلق كما في الحديث الصحيح قال: فما حق العباد على الله.

فلا يحرم عليه ذلك القول، كما هو مقتضى الأدِّلة الواردة في جواز التَّوسُّل.[٢]

٣- أو فسَّروه بالإقسام على الله تعالى بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وهذا قد اختلف فيه العلماء فمنهم من كرهه من فقهاء المذاهب، ومنهم جوز ذلك ومن هذا الفريق الإمام أحمد بن حنبل، وسلطان العلماء العزِّ بن عبد السَّلام، وابن عقيل الحنبلي، وكثير من السَّادة الحنابلة، بل وجعلوا الحلف بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. يمينًا.

وهذا ما قرره الشَّيخ ابن تيميَّة الحراني نفسه، في شرح ما جاء عن الإمام أبي حنيفة، قال في الفتاوى بعد كلام:

**الثالث:** التَّوسُّل به بمعنى الإقسام على الله بذاته، والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصَّحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يُعرف هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنَّما يُنقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمَّن ليس قوله حجَّة كما سنذكر ذلك إن شاء الله

---

﴿١﴾ أنظر (الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة) تحت مادة (توسُّل).

﴿٢﴾ أنوار البروق في أنواع الفروق / لشهاب الدِّين أبو العبَّاس القرافي

تعالى. وهذا هو الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه: أنَّه لا يجوز ونهوا عنه. حيث قالوا: لا يُسأل بمخلوق ولا يقول أحد: أسألك بحق أنبيائك.

قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى (بشرح الكرخي) في باب الكراهة: وقد ذكر هذا غيرُ واحدٍ من أصحاب أبي حنيفة. قال بشر بن الوليد، حدثنا أبو يوسف قال: قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحدٍ أن يدعو الله إلا به. وأكره أن يقول "بمعاقد العزِّ من عرشك" أو "بحق خلقك". وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف: بمعقد العزِّ من عرشه هو (الله) فلا أكره هذا، وأكره أن يقول: بحق فلان، أو بحق أنبيائك، ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام.

**قال القدوري**: المسألة بخلقه لا تجوز، لأنَّه لا حقَّ للخلق على الخالق فلا تجوز وفاقًا. وهذا الَّذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أنَّ الله لا يسأل بمخلوق له معنيان:

أحدهما هو موافق لسائر الأئمة الذين يمنعون أن يُقسم أحدٌ بالمخلوق، فإنَّه إذا مُنع أن يقسم على مخلوق بمخلوق، فلأن يُمنع أن يُقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى.[١]

**قلتُ**: وما سبق عن الشَّيخ ابن تيميَّة، يهدم ما قاله الشَّيخ الألباني في كتابه [التَّوسُّل] ومحاولته أن يجد له من كبار علماء الأمَّة من يوافقه على إنكاره التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقد قال هناك: ولم ننفرد نحن بإنكار تلك التَّوسُّلات المبتدعة، بل سبقنا إلى إنكارها كبار الأئمة والعلماء، وتقرر ذلك في بعض المذاهب المتَّبعة، ألا وهو مذهب أبي حنيفة رحمه الله.[٢]

**قلتُ**: لم يستطع الشَّيخ الألباني أن يذكر ولو واحدًا من كبار الأئمة والعلماء، بل تفرَّد الشَّيخ عن علماء الأمَّة من الحفاَّظ، والفقهاء، والعارفين، بل نَقلَ مَنْ أرادَ الاستشهاد بهم وهم [السَّادة الأحناف] في كتب المذهب عن شيخ الإسلام تقي الدِّين السُّبكي قوله:

---

﴿١﴾ مجموع الفتاوى لابن تيميَّة (١/٢٠٣).

﴿٢﴾ أنظر التَّوسُّل أنواعه وأحكامه للألباني / ص٥٠

**قال ابن عابدين: وقال السُّبكي:** يحسن التَّوسُّل بالنَّبي إلى ربه، ولم ينكره أحد من السَّلف، ولا الخلف إلا ابن تيميَّة فابتدع ما لم يقله عالم قبله.(١). ا.هـ

٣- ولو صحَّ ما ورد عن الإمام أبي حنيفة بقصره التَّوسُّل بأسماء الله الحسنى فقط وكراهته للتَّوسُّل بغير ذلك، فهناك أدلَّة قويةٌ تخالفُ رأيه "رحمه الله تعالى" ولو تنزَّلنا على رأي المنكرين، لقلنا أن السَّادة الأحناف قالوا بالكراهة فقط، والمكروهُ جائز الفعل.

**قلتُ:** ممَّا سبق يتَّضح لكل ذي عقل أنَّ أبا حنيفة "رضي الله عنه" لم يُنكر التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على ما قرَّره أهلُ مذهبه "رضوان الله عليهم". وأهل مكة أدرى بشعابها.

ومن العجيب أنَّ المنكرين للتَّوسُّل فتَّشوا في كتب أهل السَّلف، فلم يجدوا أحدًا يُنكر التَّوسُّل فعمدوا إلى كلام الإمام أبي حنيفة النُّعمان، وحرَّفوا معناه على خلاف ما قرَّره السَّادة الأحناف حتى يوافق مذهبهم. وكتب السَّادة الأحناف طافحةٌ بالتَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وغيره.

وإليك أخي القارئ توسُّلات السَّادة الأحناف بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وهم أعلم النَّاس بمذهب شيخهم.

**٢- توسُّل الفقيه مُحمَّد بن عبد الواحد السيواسي المُتوفَّى سنة [٦٨١ هـ]:**

ذكر ما يقوله الزائر لحضرة النَّبي فقال: ويسأل الله تعالى حاجته متوسِّلا إلى الله بحضرة نبيه "عليْه الصَّلاة والسَّلام"، وأعظم المسائل وأهمها سؤال حسن الخاتمة والرضوان والمغفرة، ثمَّ يسأل النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الشَّفاعة فيقول: يا رسُول الله: أسألك الشَّفاعة، يا رسُول الله: أسألك الشَّفاعة، وأتوسَّل بك إلى الله في أن أموت مسلما على ملتك وسنتك.(١)

---

﴿١﴾ أنظر [رد المحتار على الدر المختار] للفقيه الحنفي ابن عابدين (٣٩٧/٦).

﴿١﴾ شرح فتح القدير / ج٣ / ص ١٨١ / ط دار الفكر – بيروت

**٣- توسُّل الشَّيخ الفقيه عبد القادر بن أبي الوفاء [٦٥١ هـ - ٧٧٥ هـ] قال:**

وأسأل الله العظيم بجاه رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ إتمامه في خير وعافية في دروسي آمين.﴿٢﴾

**٤- مُحمَّد بن فرامرز بن علي الحنفي المُتوفَّى سنة [٨٨٥ هـ]**

والله "سُبْحَانَهُ وَتَعَالى" أسأل وبنبيِّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أتوسَّل أن ينفعني والمسلمين.﴿٣﴾

**٥- توسُّل العلاَّمة الفقيه الخَجندي الكازروني [٨٥٢ هـ - ٨٩٧ هـ]:**

قال الحافظ السَّخاوي: وسمعته ينشد مما قاله وهو بالقاهرة، لما بلغه ما وقع من الحريق بالمسجد النَّبوي:

قلـــتُ: بمصْــــر جاءنـــا خبَـــرٌ        وقـــد جَـــرى بطيبـــة أمْـــرٌ مَهُـــول

خَافـــت النَّـــار إلهـــاً فانتحـــت        تتشـــفَّع لائـــذة بالرَّسُـــــول﴿٤﴾

**٦- توسُّل العلاَّمة الشَّيخ طاشكبري زاده المُتوفَّى سنة [٩٦٨ هـ] قال:**

واجمع بيني وبين والديَّ بلطفك، إنَّك مولى الإجابة في مستقر رحمتك يا رحمن يا رحيم [بحرمة نبيِّك الكريم] والحمد لله ربِّ العالمين.﴿٥﴾

**٧- العلاَّمة الفقيه الشَّيخ علي القاري المُتوفَّى سنة [١٠١٤ هـ]:**

يقول في شرح حديث عثمان بن حنيف: قوله: [يا مُحمَّد] التفات وتضرُّع لديه، ليتوجَّه بروحه إلى الله تعالى، ويغني السائل عمَّا سواه، وعن التَّوسُّل إلى غير مولاه قائلاً: [إنِّي أتوجَّه بك] أي بذريعتك، الذَّريعة الوسيلة، و[الباء] للاستعانة [إلى ربي في حاجتي هذه] وهي المقصودة المعهودة [لتُقضى لي]. ويمكن أن يكون التَّقدير: ليقضي الله الحاجَةَ لأجلك، بل

---

﴿٢﴾ طبقات الحنفية ج ١ / ص٣٥٣ / ط مير مُحمَّد خانة – كراتشي

﴿٣﴾ درر الحكام شرح غرر الأحكام / لمُحمَّد بن فرامرز

﴿٤﴾ التحفة اللطيفة ج١ / ص ٨٣

﴿٥﴾ الشقائق النعمانية / ج ١ / ص ٣١٤ / ط دار الكتاب العربي – بيروت

هذا هو الظَّاهر. وفي نسخة: [لِتَقضى] بصيغة الفاعل، أي: لتقضى أنت يا رسُول الله، الحاجة لي. والمعنى: لتكون سبباً لحصول حاجتي، ووصول مرادي، فالإسناد مجازي.[١]

**ويقول أيضًا:** في زيارة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: ويتوسَّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حق نفسه ويتشَّفع به إلى ربه.

**ويقول أيضًا:** وينبغي أن يكثر الاستغفار ويستدعي منه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أن يستغفر له فيقول: نحن وفدك وزوار قبرك يا رسُول الله، جئنا لقضاء حقك والتَّبرك بزيارتك، والاستشفاع بك، مما أثقل ظهورنا، وأظلم قلوبنا، فليس لنا شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء غير بابك نطلبه، فاستغفر واشفع لنا إلى ربِّك يا شفيع المُذنبين، واسأله أن يجعلنا من عباده الصَّالحين.[٢]

**٨- توسُّل حسن بن عمار بن علي الشربلالي [٩٩٤ هـ - ١٠٦٩ هـ] قال:**

ونسأل الله سبحانه مُتوسِّلين إليه بالنَّبي المُصْطفى الرحيم.[٣]

**٩- توسُّل الفقيه العلاَّمة ابن عابدين [١١٩٨ هـ - ١٢٥٢ هـ ] قال:**

وغفر لهم ولأولاده ولمشايخه، ولمن له حق عليْه بجاه سيِّد الأنبياء والمُرسَلين.[٤]

**وقال في موضع آخر:** متوسلا بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبالإمام أبي حنيفة النُّعمان: وإني أسأله تعالى متوسِّلاً إليه بنبيِّه المُكرم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبأهل طاعته من كل ذي مقام عليٍّ معظم، وبقدوتنا الإمام الأعظم، أن يُسهل عليَّ ذلك من إنعامه ويعينني على إكماله وإتمامه، وأن يعفو عن زللي، ويتقبل مني عملي، ويجعل ذلك خالصا لوجهه الكريم.[١]

---

﴿١﴾ نحت حديد الباطل و برده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة / لداود بن سليمان الشَّافعي / ص٤٣

﴿٢﴾ المرجع السابق / ص ٧٦

﴿٣﴾ مراقي الفلاح شرح نور الأيضَاح (٢٦٩/١)

﴿٤﴾ حاشية ابن عابدين / ج ٨/ ص ٥١١/ ط دار الفكر – بيروت

﴿١﴾ حاشية ابن عابدين / ج١/ ص٤

**١٠- توسُّل العلاَّمة الشَّيخ مُحمَّد عميم الإحسان المجددي الحنفي قال:**

بجاه سيِّدنا الرَّسُول "صلى الله عليْه وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً كثيرًا كثيرًا".﴿٢﴾

**١١- الشَّيخ مُحمَّد بخيت المطيعي الحنفي المُتوفَّى سنة[١٣٥٤هـ] قال:**

فجزى الله مؤلفه على هذا الصنع الجميل أحسن الجزاء، وأدام النَّفع به وحفظه من الأسواء، بجاه من هو للأنبياء ختام، عليه الصَّلاة والسَّلام.﴿٣﴾

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## توسُّل فقهاء السَّادة المالكيَّة

**١- الإمام الحُجَّة سيِّدنا مالك بن أنس إمام دار الهجرة [٩٤ هـ - ١٧٩ هـ ]:**

---

﴿٢﴾ قواعد الفقه / ج١/ ص ٥٠/ ط الصدف ببلشرز - كراتشي

﴿٣﴾ فهرس الفهارس لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ج٢/ ص١١

سأل أبو جعفر المنصور الإمامَ مالك وقال له: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾؟ فقال مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله فيك. قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.﴿١﴾

**قلت:** قد أنكر ابن تيميَّة هذه الحكاية وزعم بأنَّها مكذوبة على الإمام مالك:

**وفي ذلك يقول الحافظ عبد الله بن مُحمَّد الصديق الغماري:**

وزعمُه كذب الحكاية المذكورة غير صحيح، بل هو من جملة إطلاقاته التي اعتاد بها التَّهويل، وكيف تكون مكذوبة، ويخفى حالها على كبار علماء المالكيَّة، الذين جمعوا بين الإمامة في الفقه والحديث، كالقاضي عياض، فإنَّه رواها في (الشِّفا) ولم يتعقبها بشيء ولا تعقبها أحدٌ من المالكيَّة.﴿٢﴾ انتهى.

**وقال العلاَّمة ابن حجر في الجوهر المنظم:**

رواية ذلك عن الإمام مالك جاءت بالسَّند الصَّحيح الذي لا مطعن فيه.

**وقال العلاَّمة الزرقاني في شرح المواهب:**

ورواها ابن فهد بإسناد جيد، ورواها القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح رجاله ثقات، ليس في إسنادها وضَّاع، ولا كذَّاب، على أنَّها قد عُضدت بجريان العمل وبالأحاديث الصَّحيحة الصَّريحة في جواز التَّوسُّل التي يعضد بعضها بعضا.﴿١﴾

**٢- توسُّل العلاَّمة الفقيه ابن عطاء الله السَّكندري المُتوفَّى [٧٠٩ هـ ] قال:**

وبالله تعالى أستعين، وعليه أتوكل، وبجاه مُحمَّد سيِّد المرسلين أتوسَّل، وهو حسبنا ونعم

---

﴿١﴾ بيان للنَّاس من الأزهر الشَّريف / ج٢ / ص٨٥ / ط مطبعة الأزهر

﴿٢﴾ الرد المحكم المتين ص١٩٧

﴿١﴾ نحت حديد الباطل و برده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة / لداود بن سليمان الشَّافعي

الوكيل.[٢]

**٣- توسُّل الفقيه مُحمَّد بن علي أبو عبد الله الأندلسي [٦٧١ هـ - ٧١٥ هـ]:**

يقول متوسلا بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

جُرْمـي عظـيمٌ يـا عفُـو وإنَّنـي     بمُحمَّـدٍ أرجُـو التَّسـامُح فيـه

فبـه توسَّـل آدمٌ مـن ذنبـه     وقـد اهتـدى مـن يقتـدي بأبيـه[٢]

**٤- وممَّن أجاز التَّوسُّل الفقيه ابن الخراط الأشبيلي[٥١٠ هـ - ٥٨٢ هـ]:**

قال السَّخاوي: وما روي أن الأرض المقدَّسة لا تقدِّس أحدًا، إنَّما يقدِّس المرءَ عملُه قد لا ينافيه. قال عبد الحق في العاقبة: فيندب لولي الميت، أن يقصد به قبور الصَّالحين ومدافن أهل الخير فيدفنه معهم، وينزله بإزائهم، ويسكنه في جوارهم تبركاً وتوسَّلاً بهم.[٣]

**٥- شهاب الدَّين أبو العبَّاس القرافي [٦٢٦ هـ - ٦٨٤ هـ] قال:**

ذكر في الباب الحادي عشر في القُدوم على ضريح سيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قصة العُتْبي المشهورة.[٤]

**وقال أيضًا:** قلت: وفي حاشية الشَّيخ علي العدوي على الخرشي في باب اليمين:

وأما التَّوسُّل ببعض مخلوقاته فجائز، وأما الإقسام على الله تعالى في الدُّعاء ببعض مخلوقاته كقوله: يعني الداعي بحق مُحمَّد اغفر لنا فخاص به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾. يعني إذا لاحظ الدَّاعي جعل [الباء] للقسم، وإلا كان توسُّلاً، لا إقسامًا... إلى آخر ما قال.[١]

**٦- توسُّل الفقيه ابن الحاجِّ المالكي المُتوفَّى [٧٣٧ هـ ] قال:**

---

﴿٢﴾ لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري / ص ٤٠

﴿٣﴾ التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشَّريفة / للحافظ السخاوي (٥٤٨/٢) حرف الميم.

﴿٤﴾ فيض القدير شرح الجامع الصغير – للمناوي / ج١ / ص٢٩٧

﴿٥﴾ الذخيرة للقرافي ج٣ / ص ٣٧٦

﴿١﴾ أنوار البروق في أنواع الفروق للقرافي ج٤ / ص٤٦٦

فالتَّوسُّل به "عليه الصَّلاة والسَّلام" هو محلُّ حطِّ أحمال الأوزار وأثقال الذُّنوب والخطايا، لأنَّ بركة شفاعته "عليه الصَّلاة والسَّلام" وعظمها عند ربه لا يتعاظمها ذنب، إذ أنَّها أعظم من الجميع فليستبشر من زاره. ويلجأ إلى الله تعالى بشفاعة نبيِّه "عليه الصَّلاة والسَّلام" من لم يزُره اللَّهُمَّ لا تحرمنا من شفاعته بحرمته عندك آمين يا ربَّ العالمين. ومن اعتقد خلاف هذا فهو المحروم، ألم يسمع قول الله "عَزَّ وَجَلَّ" ﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ فمن جاءه ووقف ببابه، وتوسَّل به، (وجد الله توابًا رحيمًا) لأنَّ الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" منزَّه عن خُلف الميعاد، وقد وعد ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"" بالتَّوبة لمن جاءه، ووقف ببابه، وسأله، واستغفر ربه فهذا لا يشكُّ فيه ولا يرتاب إلا جاحدٌ للِّدين معاندٌ لله ولرسُوله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نعوذ بالله من الحرمان.﴿٢﴾

**وقال أيضًا في نفس المرجع:**

فإذا زاره ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فإن قدِر أن لا يجلس فهو به أولى، فإن عجز فله أن يجلس بالأدب، والاحترام، والتَّعظيم، وقد لا يحتاج الزَّائر في طلب حوائجه ومغفرة ذنوبه أن يذكرها بلسانه، بل يحضر ذلك في قلبه وهو حاضر بين يديه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لأنَّه "عليه الصَّلاة والسَّلام" أعلم منه بحوائجه، ومصالحه، وأرحم به منه لنفسه، وأشفق عليه من أقاربه، وقد قال "عليه الصَّلاة والسَّلام": إنَّما مثلي ومثلكم كمثل الفَرَاش تقعون في النَّار وأنا آخذ بحجزكم عنها.﴿١﴾ أو كما قال.

وهذا في حقِّه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في كل وقتٍ وأوانٍ.

---

﴿٢﴾ المدخل لابن الحاج المالكي / ج١/ ص ١٦٠

﴿١﴾ رواه البخاري (١٠٢/٨) من حديث أبي هريرة بلفظ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يَقُولُ: إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاس كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنْ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا.

أعني في التَّوسُّل به، وطلب الحوائج بجاهه عند ربه ""عَزَّ وَجَلَّ"" ومن لم يقدر له زيارته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بجسمه فلينْوها كل وقت بقلبه، وليحضر قلبه أنَّه حاضر بين يديه متشفِّعا به، إلى مَنْ مَنَّ به عليه.

كما قال الإمام أبو مُحمَّد بن السيِّد البطليوس "رحمه الله تعالى" في رقعته التي أرسلها إليه من أبيات:

إليْـك أفـرُّ مِـنْ زللـي وذَنبـي ... وأنـتَ إذا لقيـتُ الله حَسْـبي

وزورةُ قبْـرك المحجُـوج قِـدَما ... مُنـاي وبُغيتـي لـو شَـاء ربِّـي

فـإن أُحـرَم زيارتَـه بجِسْـمي ... فلـم أُحـرم زيارتُـه بقلبـي

إليـك غـدت رسُـولَ الله منِّـي ... تحيـةَ مُـؤمن دَنـفٍ مُحـبِّ

اللَّهُمَّ لا تحرمنا شفاعته، ولا عنايته في الدُّنيا، والآخرة وأدخلنا بفضلك في زمرة المتَّبعين له بإحسان إلى يوم الدَّين بجاهه عندك، فإنَّ جاهه عندك عظيم.﴿٢﴾

**٧- توسُّل العلاَّمة الفقيه أبو الحسن المالكي [٨٥٧ هـ - ٩٣٩ هـ] قال:**

ويباعدنا من سخطه وعقابه، بمُحمَّد وآله وصحبه، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد النَّبي الأمي وعلى آله، وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدَّين.﴿٣﴾

**٨- توسُّل الفقيه العلاَّمة الحطَّاب الرعيني المُتوفَّى سنة [٩٥٤ هـ] قال:**

وقد أمرنا الله بالصَّلاة عليْه وحثَّ ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ على ذلك وأمرنا بسؤال الوسيلة والسؤال بجاهه.﴿١﴾

**٩- العلاَّمة الفقيه الشَّيخ ابن عاشر المالكي المُتوفَّى [١٠٤٠هـ ] قال:**

---

﴿٢﴾ المدخل لابن الحاج ج١/ ص٤٠٢

﴿٣﴾ كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن المالكي ج٢ / ص٦٧٨

﴿١﴾ مواهب الجليل ج٢ / ص ٥٤٥ / ط دار الفكر – بيروت

سَـــــمَّيتُه بالمُرْشـــــدِ المُعـــــينِ          علــى الضَّــروري مــن عُلــوم الــدِّين
فأَسْــألُ النَّفــعَ بــه عَلــى الــدَّوام          مِــنْ ربِّنــا بجَــاه ســيِّد الأنــام[٢]

**١٠- الفقيه مُحمَّد بن عبد الله أبو عبد الله الخرشي المتوفى سنة [١١٠١] قال:**

والحمد لله الكريم الوهَّاب وهاب العطايا ومسبب الأسباب نتوسَّل إليك بجاه الحبيب أن تبلِّغ المقاصد عن قريب فإنَّك قريبٌ مجيبٌ.[٣]

**١١- توسُّل العلاَّمة مُحمَّد بن عبد الباقي الزُّر قاني المُتوفَّى [١١٢٠ هـ ] قال:**

وأسألك من فضلك متوسِّلا إليك بأشرف رسلك.[٣]

**١٢- توسل الفقيه الشَّيخ العدوي المالكي [١١١٢ هـ - ١١٨٩ هـ] قال:**

وأعاد علينا وعلى أحبابنا من بركاته ونفعنا بعلومه وجعلنا من المتَّبعين له في أقواله وأفعاله بمُحمَّد وآله وصحبه وعترته آمين.[٤]

**وقال أيضًا:** [قوله: بمُحمَّد وآله] متعلق بمحذوف حال تنازع فيها الأفعال المتقدمة أي "رحمه الله"... إلخ في حال كوننا متوسلين بمُحمَّد وآله.[٥]

**١٣- العلاَّمة الفقيه أحمد بن الصَّاوي المالكي المُتوفَّى سنة [ ١٢٤١ هـ] قال:**

وحين يدخل المسجد الشَّريف يأتي الرَّوضة، فيصلي بها ركعتين تحيَّة المسجد، ثمَّ يأتي قُبالة القبر الشَّريف ويقول: السَّلام عليك يا سيِّدي يا رسُول الله، السَّلام عليك يا سيِّدي يا حبيب الله، السَّلام عليك يا سيِّدي يا أشرف رُسُلِ الله، السَّلام عليك يا إمام المتَّقين، السَّلام عليك يا رحمةً للعالمين، أشهد أنَّك رسُول الله بلَّغت الرِّسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأُمَّة،

---

﴿٢﴾ منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدِّين آخر الأبيات

﴿٣﴾ شرح مختصر خليل للخرشي ص٢٤٣

﴿٣﴾ شرح الزرقاني / ج ٤ / ص ٥٦٢ / ط داري الكتب العلمية – بيروت

﴿٤﴾ حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني ج١ / ص١

﴿٥﴾ المرجع السابق ج١ / ص١٢

وكشفت الغمَّة، وجليت الظلمة، ونطقت بالحكمة، صلَّى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين ثمَّ يتوسَّل به في جميع مطلوباته.﴿١﴾

**وقال في آخر شرحه على الشَّرح الصَّغير(٨١٣/٤):**

ونسأل الله أن يفرج كرب آل بيت نبيِّنا والمؤمنين إنَّه لطيفٌ كريمٌ حليمٌ بجاه جدِّهم سيِّد المرسلين عليه أفضل الصَّلاة وأتم التَّسليم والحمد لله رب العالمين.

**١٤ – توسل العلاَّمة الفقيه الشَّيخ مُحمَّد عليش [١٢١٧هـ – ١٢٩٩ هـ] قال:**

ونسأل الله تعالى التوفيق للصَّواب، وأن يسلك بنا الزلفى وحسن مآب، بجاه سيِّدنا مُحمَّد [صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى آله والأصحاب].﴿٢﴾

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## توسُّل فقهاء السَّادة الشَّافعية

**١– توسُّل الإمام الحُجَّة سيِّدنا الشَّافعي [١٥٠ هـ ٢٠٤ هـ]:**

ذكر الخطيب البغدادي توسُّل الإمام الشَّافعي "رضي الله عنه" بالإمام أبي حنيفة "رضي

---

﴿١﴾ حاشية الصاوي على الشرح الصغير ج٣ / ص٤٤٦

﴿٢﴾ منح الجليل شرح على مختصر خليل. مُحمَّد عليش ج٧/ ص٤١٦/ ط دار الفكر – بيروت

الله عنه" فقال: علي بن ميمون قال: سمعتُ الشَّافعي يقول: إنِّي لأتبرك بأبي حنيفة وأجيء إلى قبره في كل يوم، يعني زائراً، فإذا عُرضت لي حاجة صَلَّيت ركعتين وجئتُ إلى قبره، وسألتُ الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عني حتى تقضى.[١]

**وذكر عنه جمعٌ من العلماء توسُّله بآل البيت "عليهم السَّلام" ومِنْ توسُّله قوله:**

آل النَّبــــــــي ذَريعَتِــــــــــي ... وهُـــــــمْ إليْـــــه وَســـــــيلتي

أرجُـــــو بهـــــم أُعْطَـــــى غَـــــداً ... بيَـــــدي اليمـــــين صَـــــحيفتي[٢]

**وتبرَّك الإمام الشَّافعي بقميص الإمام أحمد بن حنبل "رضي الله عنهما":**

قال الرَّبيع بن سليمان أنَّ الشَّافعي "رحمه الله" خرج إلى مصر فقال لي يا ربيع: خذ كتابي هذا فامض به، وسلِّمه إلى أبي عبد الله وائتني بالجواب، قال الرَّبيع: فدخلت بغداد ومعي الكتاب، فصادفت أحمد بن حنبل في صلاة الصُّبح، فلما انفتل من المحراب سلَّمت إليه الكتاب، وقلت له: هذا كتاب أخيك الشَّافعي من مصر، فقال لي أحمد: نظرتَ فيه؟ فقلت: لا. فكسر الختم، وقرأ، فتغرغرت عيناه، فقلت له: إيش فيه يا أبا عبد الله، فقال: يذكر فيه أنَّه رأى النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في النَّوم، فقال له: اكتُب إلى أبي عبد الله فَاقرأ عليه السَّلام، وقل له: إنَّك ستُمتحَن وتُدعى إلى خلق القرآن فلا تُجبهم فسيرفع الله لك علمًا إلى يوم القيامة. قال الرَّبيع فقلتُ له: البشارة يا أبا عبد الله، فخلع أحمد قميصه الذي يلي جلده فأعطانيه، فأخذت الجواب وخرجت إلى مصر، وسلَّمته إلى الشَّافعي فقال: إيش الذي أعطاك؟ فقلت: قميصه فقال الشَّافعي: ليس نفجعك به، ولكن بلَّه وادفع إليَّ الماء لأتبرك به.[١]

**٢- توسُّل العلاَّمة القاضي علي بن مُحمَّد الماوردي المُتوفَّى [٤٥٠ هـ]:**

---

﴿١﴾ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي/ ج١ / ص ١٢٣ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

﴿٢﴾ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة لابن حجر الهيثمي ج٢ / ص٥٢٤

﴿١﴾ تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر/ج٥/ ص٣١٢

نقل الإمام النَّووي عنه ذكر قصة العُتْبي فقال: ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي، والقاضي أبو الطَّيب، وسائر أصحابنا عن العُتْبي مستحسنين له. ثمَّ ذكر قصة العُتْبي﴿٢﴾

**٣ – توسل حجَّة الإسلام الإمام الغزالي [٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ] قال:**

اللَّهُمَّ إنَّا قد سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، وقصدنا نبيَّك، متشفعين به إليك في ذُنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبين من زللنا، معترفين بخطايانا وتقصيرنا، فتب اللَّهُمَّ علينا وشفِّع نبيَّك هذا فينا، وارفعنا بمنزلته عندك، وحقه عليك. اللَّهُمَّ اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان. اللَّهُمَّ لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين.﴿٣﴾

**٤– توسُل إمام الشَّافعية الإمام شرف الدَّين النَّووي [٦٣١ هـ – ٦٧٦ هـ]:**

قال: ثمَّ يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ويتوسَّل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"" ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي، والقاضي أبو الطيب، وسائر أصحابنا عن العُتْبي مستحسنين له، قال: ثمَّ ذكر قصة الأعرابي التي رواها العُتْبي.﴿٤﴾

**وقال في [باب الأذكار في صلاة الاستسقاء]:** ويُستحبُّ إذا كان فيهم رجل مشهورٌ بالصَّلاح أن يستسقُوا به فيقولوا: اللَّهُمَّ إنَّا نستسقي ونتشفع إليك بعبدك فلان.﴿٥﴾

**٥– توسُّل العلاَّمة الشَّيخ القاضي ابن بنت الأعز [٦٢٥ هـ – ٦٨٠ هـ]:**

ذكر صاحب (طبقات الشَّافعية) استغاثته بالنَّبي من ظُلم الأشْرف ووزيره فقال:

ثمَّ حجَّ ومدح النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بقصيدة وقيل إنَّه كشف رأسه ووقف واستغاث بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فلم يصل إلى القاهرة إلا والأشرف قد قتل

---

﴿٢﴾ المجموع للنووي ج٨ / ص٢٥٦

﴿٣﴾ إحياء علوم الدَّين ج١ / ص ٢٦٠

﴿٤﴾ المجموع للإمام النووي ج٨/ ص٢٧٤

﴿٥﴾ الأذكار للنووي ص ٢٢٠

وكذلك وزيره وأعيد إلى القضاء.[١]

**٦- توسل العلاَّمة المحقق الفقيه الشَّيخ الزملكاني [٧٢٧ هـ] قال:**

يـا صَـاحبَ الجَـاه عنـد الله خالقـه — مـــا ردَّ جاهـــك إلا كـــل أفَّـــاك

أنـتَ الوجيـهُ علـى رغـم العِـدَا أبـدًا — أنـــت الشَّـــفيع لفتَّـــاك ونســـاك

يــا فرقــة الزِّيــغ لا لقيــت صــالحةً — ولا شــفى الله يومــاً قلــبَ مرضَــاك

ولاَ حــظيت بجــاه المُصْــطفى أبـدًا — ومَــن أعانــك فــي الدُّنيــا ووَالاك

يــا أفضــل الرســل يــا مــولى الأنــام — ويـا خيـر الخلائـق مـن إنـسٍ وأمـلاك

ها قد قصدتك أشكو بعض ما صنعتُ — فــي الــذُّنوب وهــذا ملجــأ الشــاكي

قـد قيـدتني ذُنـوبي عـن بلـوغ مـدى — قصْدي إلى الفوز منها فهْي أشْرَاكي

فاســتغفر الله لــي واســأله عصــمته — فيمـا بقـي وفنـى مـن غيـر إمسـاك

عليــك مــن ربِّــك الله الصَّــلاة كمــا — منـا عليك السَّـلام الطَّيـب الزَّاكـي[٢]

**٦- شيخ الإسلام تقي الدِّين السُّبكي الشَّافعي [٦٨٣ هـ - ٧٥٦ هـ]:**

**قال السُّبكي:** ويحسن التَّوسُّل والاستغاثة والتَّشفع بالنَّبي إلى ربه، ولم يُنكر ذلك أحدٌ من السَّلف ولا من الخلف، حتى جاء ابن تيميَّة فأنْكر ذلك، وعدل عن الصِّراط المستقيم وابتدع ما لم يقُله عالمٌ قبله، وصار بين أهل الإسلام مُثْلَة. انتهى[١]

**قلتُ:** شيخ الإسلام العلاَّمة تقي الدِّين السُّبكي "رضي الله عنه" من أجلِّ علماء الشَّافعية، وكان معاصرًا للشَّيخ بن تيميَّة، وهو الَّذي أفرد مؤلفات عظيمة للرَّد عليْه في قضيَّة التَّوسُّل وشدِّ الرَّحل لزيارة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ومسألة الطلاق وقوله بفناء

---

﴿١﴾ طبقات الشَّافعية الكبرى ج١/ ص ١٠٥

﴿٢﴾ شواهد الحق للنبهاني ص ٣٨٣ / وانظر ترجمته في (الوافي بالوفيات) و (أعيان العصر) للصفدي.

﴿١﴾ فيض القدير للمناوي / ج٢ / ص١٣٥ / ط المكتبة التجارية الكبرى – مصر

النَّار، وغيرها من المسائل التي شذَّ بها عن الإجماع.

**٩- توسُّل العلاَّمة عمر بن علي بن الملقن الأنصاري [٧٢٣هـ - ٨٠٤ هـ]:**

قال: نفع الله بالجميع بمُحمَّد وآله، وجعلهم مقرَّبين من رضوانه.[٢]

**١٠- توسُّل العلاَّمة الفقيه الشَّيخ ابن الغرابيلي المُتوفَّى سنة [٨١٩ هـ]:**

قال: ونسأل الله الكريم المنَّان الموت على الإسلام والإيمان، بجاه نبيِّه سيِّد المرسلين وخاتم النَّبيِّين، وحبيب ربِّ العالمين، مُحمَّد بن عبد اللّه بن عبد المطَّلب بن هاشم السيِّد الكامل الفاتح الخاتم، والحمد لله الهادي إلى سواء السبيل.[٣]

**١١- الإمام الفقيه العلاَّمة سراج الدِّين البلقيني المُتوفَّى سنة [٨٢٤ هـ]:**

قال العلاَّمة المجتهد سراج الدِّين البلقيني من بعض جواب سؤال رفع إليه فيمن قال في مدح النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

فاشفع لقائلهَا يا مَنْ شَفاعتُه    تفك مَنْ هُو مكبُوتٌ ومكبُول[٤]

فاعترض معترض بأنَّ السؤال للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ لم يَرِد.

فقال رحمه الله تعالى في الجواب: الله الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم نعوذُ بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن. لقد ارتكب هذا المُعترض قبائح أتى بها على أنَّه نصائح، فجاءت عليه فضائح. لقد أخطأ وما أصاب، وكثر به وبأمثاله المُصاب...

**إلى أن قال:** ولقد جهل جهلاً قبيحاً بقوله، فأمَّا سؤال النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ نفسه، فكيف لا نسألُه وهو وسيلتُنا ووسيلةُ أبينا آدم مِنْ قبلنا إلى ربِّنا.[١]

**١٢- العلاَّمة الإمام السَّمهودي [٨٤٤ هـ - ٩١١ هـ] قال:**

اعلم أنَّ الاستغاثة، والتشفُّع بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبجاهه، وبركته إلى

---

﴿٢﴾ خلاصة البدر المنير / ج١ / ص ٥ / ط مكتبة الرشد الرياض

﴿٣﴾ فتح القريب المجيب في شرح ألفظ التقريب ص٧١

﴿٤﴾ هذا البيت للشَّيخ شبيب بن حمدان الحنبلي ، وهو ابن عم الشّيخ ابن تيميَّة.

﴿١﴾ نحت حديد الباطل و برده لداود بن سليمان الشَّافعي ج١ / ص ٧

ربِّه تعالى، من فعل الأنبياء والمُرسلين وسير السَّلف الصَّالحين واقعٌ في كل حالٍ قبل خلقه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبعد خلقه في حياته الدُّنيويَّة ومدَّة البرزخ، وعَرَصَات القيامة ثمَّ ساق حديث توسل آدم.﴿٢﴾

**١٣ – العلاَّمة الفقيه شهاب الدَّين القسطلاني [٨٥١ هـ - ٩٢٣ هـ] قال:**

ويجوز الاستغاثة والتشفُّع والتَّوسُّل به ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، فجدير لمن استشفع به، أن يشفِّعه الله، فلا فرق بين أن يعبِّر بلفظ الاستغاثة، أو التَّوسُّل، أو التشفُّع، أو التوجَّه، فكلٌ من هذه الأشياء واقعة منه ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ كما ذكره في [تحقيق النصرة]﴿٣﴾ و [مصباح الظَّلام]﴿٤﴾ قبل خلقه وبعده، في حياته وبعد مماته، في مدَّة البرزخ وبعد البعث، وفي عَرَصَات يوم القيامة.

**وفي نفس المرجع:**

فعليك أيها الطَّالب، إدراك السَّعادة، والمؤمل لحسن الحال في عالم الغيب والشَّهادة بالتعلق بأذيال عطفه وكرمه، والتطفُّل على موائد نعمه، والتَّوسُّل بجاهه الشَّريف، والتشفُّع بقدره المُنِيْف فهو الوسيلة إلى نيل المعالي، واقتناص المرام، والمفزع يوم الجزع.﴿٥﴾

**١٤- توسل شيخ الإسلام الشَّيخ زكريا الأنصاري [٨٤٢ هـ - ٩٢٦ هـ]:**

قال في زيارةِ النَّبي: ثمَّ يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه النَّبي﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ويتوسَّل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه.﴿١﴾

**وقال أيضًا متوسلا بالحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:**

---

﴿٢﴾ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ط مطبعة السعادة، مصر/ ٤ / ١٣٧١

﴿٣﴾ تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للإمام أبي بكر المراغي المُتوفَّى [ ٨١٦ هـ]

﴿٤﴾ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام للإمام مُحمَّد بن موسى النعماني المُتوفَّى سنة [٦٨٣ هـ]

﴿٥﴾ نحت حديد الباطل و برده بأدلة الحق للشَّيخ داود بن سليمان الشَّافعي ج١ / ص٧٠

﴿١﴾ فتح الوهاب / ج١ / ص ٢٥٧ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

إلهـي ذُنـوبي مثـلُ سـبعة أبْحُـر ولكنَّهـا فـي جَنْـب عَفْـوكَ كالبلـل
ولـولا رجـائي أنَّ عفـوك واسـعٌ وأنـت كـريمٌ مـا صـبرت علـى زلـل
إلهـي بحـقِّ الهاشـمي مُحمَّـدٍ أجرنـي مـن النِّيـران إنِّـي فـي وَجَـل
وبـالُّلطف والعفـو الجميـل تـولَّني وبالخير، فامنُن عند خاتمةالأجل[٢]

**١٥- توسُّل العلاَّمة مُحمَّد الخطيب الشِّربيني المُتوفَّى سنة [٩٧٧ هـ ]:**

يقول في زيارة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: ويستشفع به إلى ربه، لما روى الحاكم عن النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أنَّه قال: لما اقترف آدم الخطيئة، قال يا رب أسألك بحق مُحمَّد...وذكر الحديث.

**وقال: ومن أحسن ما يقوله الزائر بعد ذلك:**

يـا خَيـرَ مَـن دُفِنـتْ بالقـاعِ أعظمـه فطَـاب مِـن طيـبهنَّ القـاع والأكـمُ
روحـي الفـداء لقبـر أنـت سـاكنه فيـه العفـاف وفيـه الجُـود والكَـرمُ
أنـتَ الحبيـبُ الـذي تُرجـى شَـفاعتُه يـومَ الحِسَـاب إذا مَـا زلـت القَـدمُ

ثمَّ يستقبل القبلة ويدعو لنفسه ولمن شاء من المسلمين.[٣]

**وقال أيضًا:** وأن يحشرني في زمرة من رحمه، أنا ووالدي وأولادي وأقاربي ومشايخي وأحبابي لمسلمين، بمُحمَّد وآله وصحابته أجمعين.[١]

**١٦- توسُّل العلاَّمة الفقيه الرَّملي الأنصاري [٩١٩ هـ - ١٠٠٤ هـ ] قال:**

توسَّل بالنَّبي فقال: وسميته [غايَةُ البيَان في شرْح زُبد ابن رسْلان] والله أسأل وبنبيِّه أتوسَّل، أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، موجبا للفوز بجنَّات النعيم.[٢]

---

﴿٢﴾ الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة للنجم الغزي (٢٠٦/١) حرف الزاي.

﴿٣﴾ مغني المحتاج للشربيني / ج١ / ص ٥١٢ / ط دار الفكر – بيروت

﴿١﴾ مغني المحتاج / ج٤/ ص ٥٤٤/ ط دار الفكر – بيروت

﴿٢﴾ شرح زبد ابن رسلان /ج١/ ص ٢/ ط دار المعرفة – بيروت

**١٧- العلاَّمة أحمد بن السيِّد زيني دحلان المفتي توفي سنة [١٣٠٤هـ] قال:**

والحاصل: أنَّ مذهب أهل السُّنة والجماعة، جواز التَّوسُّل، والاستغاثة بالأحياء والأموات، لأنَّا لا نعتقد تأثيراً، ولا نفعاً، ولا ضراً إلا لله وحده لا شريك له، والأنبياء لا تأثير لهم في شيء، وإنَّما يُتبرك بهم، ويُستغاث بمقامهم، لكونهم أحبَّاء الله تعالي. والَّذين يفرِّقون بين الأحياء والأموات، همُ الذين يعتقدون التأثير للأحياء دون الأموات، ونحن نقول: الله خالق كل شيء. والله خلقكم وما تعلمون.[٣]

**١٨- توسُّل العلاَّمة الفقيه السيِّد البكري الدمياطي المُتوفَّى سنة [١٣١٠ هـ] قال:**

اللَّهُمَّ يا أرحم الرَّاحمين، يا أرحم الرَّاحمين، يا أرحم الرَّاحمين، اقض حوائجنا الدنيويَّة، والأخرويَّة، ووفقنا لإصلاح النيَّة، بجاه سيِّدنا مُحمَّد خير البريَّة وأهل بيته ذوي النُّفوس الزكيَّة.[٤]

**١٩- توسُّل الفقيه مُحمَّد بن عمر بن الجاوي المُتوفَّى سنة [١٣١٥ هـ] قال:**

واللهَ أسأل، وبنبيه الكريم أتوسُّل، أن ينفع به كما نفع بأصوله، وأن يحله محل القبول إنَّه أكرم مسئول.[٥]

**٢٠- إفتاء الشَّيخ علي جمعة الشَّافعي مفتي الدِّيار المصرية في شأن التَّوسُّل:**

ذكر في كتابه القيِّم الذي أثلج به صدُور المُحبين [البيان لما يشغل الأذهان] فقال:

وقد اتفقت المذاهبُ الأربعة على جواز التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بل استحباب ذلك، وعدم التَّفريق بين حياته ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾وبعد انتقاله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولم يشذَّ إلا ابن تيميَّة حيث فرق بين التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حياته وبعد انتقاله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ ولا عبرة لشُذوذه، وندعو الأمَّة

---

﴿٣﴾ مسائل كثر حولها النقاش والجدل للسيد زين بن إبراهيم بن سميط العلوي الحسيني الشَّافعي ص٦

﴿٤﴾ إعانة الطالبين / ج ٤/ ص ١٦٠/ ط دار الفكر – بيروت

﴿٥﴾ نهاية الزين /ج١ / ص ٤/ ط دار الفكر بيروت

إلى التمسك بما اتفق عليْه أئمتها الأعلام.

**ولقد ختم فتواه بعد ذكر أدلة التَّوسُّل فقال:**

ولكل هذه الأدلة الصَّريحة الصَّحيحة، من كتاب ربِّنا وسُنَّة نبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أجمع علماء الأمَّة من المذاهب الأربعة وغيرها، على جواز واستحباب التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في حياته، وبعد انتقاله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ واتفقوا على أنَّ ذلك لا يحرم قطعًا، وهو ما نراه أنَّ التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ مُستحب، وأحد صيغ الدُّعاء إلى الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" المندوب إليها، ولا عبرة لمن شذ عن إجماع العلماء، كابن تيميَّة ومن ردَّد كلامه من بعده، والله تعالى أعلى وأعلم.[١]

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## توسُّل فقهاء السَّادة الحنابلة

**١- توسل الإمام أحمد بن حنبل[١] "قدَّس اللهُ رُوحَه" [١٦٤ هـ - ٢٤١ هـ]:**

روى البيهقي في الشُّعب، وابن عساكر من طريق عبد الله ابن الإمام أحمد، وكذا عبد الله بن الإمام أحمد في المسائل [٢١٧] بإسناد صحيح اعترف بصحَّته الألباني.[٢]

---

﴿١﴾ البيان لما يشغل الأذهان / الفتوى رقم ٤٤ / ط المقطم للنشر والتوزيع – القاهرة – مصر

﴿١﴾ وتقدم النقل عنه كذلك في توسل حفاَّظ الأُمَّة فراجعه هناك.

﴿٢﴾ قال في السلسلة الضعيفة [ج٢ / ص١١١]: و رواه البيهقي في " الشعب " (٢ / ٤٥٥/ ٢) و ابن عساكر

سمعتُ أبي يقول: حججت خمس حجج منها ثنتين راكبًا، وثلاثة ماشيًا، أو ثنتين ماشيًا وثلاثة راكبًا، فضللت الطَّريق في حجة، وكنت ماشيًا فجعلت أقول:

(يا عباد الله دلونا على الطريق) فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق.... أهـ

وذكر هذه القصَّة أيضًا العلاَّمة ابن مفلح الحنبلي تلميذ الشَّيخ ابن تيميَّة في كتاب (الآداب الشَّرعية).

**قلت:** وفيه أنَّ الإمام أحمد بن حنبل "رضي الله عنه" استغاث بعباد الله ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"" وقد فعل مثل فعل الإمام أحمد "رضي الله عنه" كثيرٌ من الأئمة، منهم على سبيل المثال الإمام النووي"رضي الله عنه" قال الإمام النووي في [الأذكار] بعد أن ذكر الحديث:

حكى لي بعض شيوخنا الكبار في العلم، أنَّه انفلتت له دابة، أظنها بغلة، وكان يعرف هذا الحديث فقاله، فحبسها الله عليهم في الحال، وكنت أنا مرةً مع جماعة فانفلتت منَّا بهيمة، وعجزوا عنها، فقلته فوقفت في الحال، بغير سوى هذا الكلام [٣]. اهـ

وبعد أن أخرج أبو القاسم الطبراني الحديث في معجمه الكبير [١١٧/١٧] قال: وقد جُرِبَ ذلك.

## ٢- توسل السيِّد عبد القادر الجيلاني [١] المُتوفَّى سنة [٥٦١ هـ]:

---

(٣ / ٧٢ / ١) من طريق عبد الله بسند صحيح. أ.هـ

[٣] الأذكار للنووي ص١٣٣

[١] السيد عبد القادر الجيلاني الحسني هو: الإمام العارف بالله، الولي الكبير، والفقيه الحنبلي، المُتوفَّى سنة [٥٦١ هـ] أثني عليه الشَّيخ ابن تيميَّة وقال عنه في مجموع الفتاوي [ج٨ – ص ٣٦٩]: من أعظم النَّاس لزوما للأمر والنهي، وتوصية باتباع ذلك ٠

وقال عنه الشَّيخ ابن قيم الجوزية في [الصواعق المرسلة ج ٤ – ص ١٢٧٩] الشَّيخ عبد القادر الكيلاني المتفق على كراماته وآياته وولايته عند الجميع.

قال في [ باب الزِّيارة ]: اللَّهُمَّ إني أتوجه إليك بنبيِّك نبي الرَّحمة. يا رسُول الله، إنِّي أتوجَّه بك إلى ربي ليغفر لي ذنوبي، اللَّهُمَّ إني أسألك بحقه أن تغفر لي.[٢]

**٣ – توسل العلاَّمة موفق الدِّين ابن قدامة الحنبلي[٣] [٥٤١ هـ – ٦٢٠ هـ]:**

ذكر ما يقوله الزائر لحضرة سيِّدنا رسُول الله﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾:

اللَّهُمَّ إنّك قلتُ وقولك الحق ﴿ **وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ وقد أتيتك مستغفراً من ذُنوبي ومستشفعًا بك إلى ربي، فأسألك يا رب: أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللَّهُمَّ اجعله أول الشَّافعين وأنجح السائلين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين.[٤]

**٤– توسل الشَّيخ ابن تيميَّة[١] [٦٦١ هـ – ٧٢٨ هـ] بالشَّيخ نصر المنبجي:**

---

﴿٢﴾ أنظر (الغنية للسيد عبد القادر الجيلاني)

﴿٣﴾ وهو شيخ [شيوخ] ابن تيميَّة، وقال فيه ابن تيميَّة كما نقله ابن رجب، وابن العماد الحنبلي في " الشذرات" (ما دخل الشام بعد الأوزاعي أفقه من الشَّيخ الموفق) . وقال الحافظ الضياء المقدسي "رحمه الله تعالى" : رأيت الإمام أحمد رحمه الله تعالى في النوم فقال : ما قصر صاحبك الموفق في شرح " الخرقي" . وقال عز الدِّين بن عبد السَّلام "رحمه الله" : ما رأيت في الإسلام مثل " المغني " للموفق في جودته وتحقيق ما فيه .

﴿٤﴾ المغني لابن قدامة الحنبلي / ج٢ / ص ٢٩٨ / ط دار الفكر– بيروت

﴿١﴾ الثابت عند المحققين من العلماء أن التَّوسُّل مجمع عليه قبل ظهور الشَّيخ ابن تيميَّة، وهو أول من أنكر التَّوسُّل بحضرة النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بعد انتقاله بعد أن ساق قولين في التَّوسُّل بحضرته بعد انتقاله، ثمَّ إنه بالغ في ردِّ قول المجيزين للتَّوسُّل بعد الموت، وفي ذلك يقول معاصره شيخ الإسلام تقي الدِّين السبكي: يحسن التَّوسُّل بالنَّبي إلى ربه، ولم ينكره أحد من السَّلف ولا الخلف إلا ابن تيميَّة، فابتدع ما لم يقله عالم قبله.اهـ بل وقد اتهمه بعض علماء عصره بالزندقة لإنكاره الاستغاثة بالنَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وفي ذلك يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة [ج١/ ص١٥٣]: ومنهم من ينسبه إلى الزَّندقة لقوله: أنَّ النَّبي

بعث الشَّيخ ابن تيميَّة رسالة طويلة إلى الإمام العارف بالله الشَّيخ أبي الفتح نصر المنبجي "رضي الله عنه" فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، من أحمد ابن تيميَّة: إلى الشَّيخ العارف القدوة السَّالك النَّاسك، أبي الفتح نصر، فتح الله على باطنه وظاهره، ما فتح به على قلوب أوليائه، ونصره على شياطين الإنس والجنِّ في جهره وإخفائه، ونهج به الطريقة المُحمَّدية الموافقة لشرعته، وكشف به الحقيقة الدِّينية المميزة بين خلقه وطاعته وإرادته ومحبته؛ حتى يظهر للناس الفرق بين الكلمات الكونية، والكلمات الدِّينية، وبين المؤمنين الصادقين الصَّالحين، ومن تشبه بهم من المنافقين، كما فرق الله بينهما في كتابه وسنته. أما بعد:

فإنَّ الله تعالى قد أنعم على الشَّيخ، وأنعم به، نعمةً باطنةً، وظاهرةً، في الدَّين والدُّنيا وجعل له عند خاصَّة المسلمين – الذين لا يُريدون عُلواً في الأرض ولا فساداً – منزلة علية ومودةً إلهيَّة، لما منحه الله تعالى به من حُسن المعرفة والقصد.

إلى أن قال: وهذا الكتابُ مع أنِّي قد أطلت فيه الكلام على الشَّيخ – أيَّد الله تعالى به الإسلام، ونفع المسلمين ببركة أنفاسه، وحسن مقاصده، ونور قلبه –﴿١﴾

**قلت**: لقد عجبتُ كثيرًا من توسُّل الشَّيخ ابن تيميَّة بالشَّيخ نصر المنبجي وذلك في قوله:

---

﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لا يستغاث به، وأنَّ في ذلك تنقيصًا ومنعاً من تعظيم النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وكان أشد النَّاس عليه في ذلك [ النَّور البكري] فإنَّه لما عقد المجلس بسبب ذلك، قال بعض الحاضرين: يعذر. فقال البكري: لا معنى لهذا القول. فإنه إن كان تنقيصا يقتل، وإن لم يكن تنقيصا لا يعذر.اهـ

ولقد تصدى له علماء عصره من أئمة المذاهب الأربعة، وعقدوا له المجالس وناظروه، وأقر بالتَّوسُّل في بعض المجالس، على حد نقل الحافظ ابن كثير في [البداية والنهاية ج١٤/ ص٥] ونقل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ولكن الباحث فيما نقل عنه من أمر التَّوسُّل، يجده قد تناقض، فمرَّة يسوقُ قولين، ومرة ينكره، ومرة يصف فاعله بالشرك، ومرة يفهم من كلامه الجواز.

وأنا أنقل هنا بعض النقول التي يُفهم منها جواز التَّوسُّل عنده. لتنظر.

﴿١﴾ أنظر جامع الرسائل ج١/ ص٨٦

ونفع المسلمين ببركة أنفاسه، وحسن مقاصده ونور قلبه.

وكما يبدوا فهي جملة دعائيه كأنه يقول:(اللَّهُمَّ انفع المسلمين ببركة أنفاسه، أي [يذكره لله تعالى] وحسن مقاصده أي [نيته الصَّالحة] وبنور قلبه أي [بنور الإيمان] الذي في قلبه)

و لا يخفى عليك أنَّ المنكرين للتَّوسُّل لا يجيزون التَّوسُّل بعمل الغير كما هو في الجملة السَّابقة، وقوله [ ببركة أنفاس الشَّيخ فلانٍ ] هو عين ما يستعْمله جمهور المسلمين في توسُّلاتهم بالأولياء والصَّالحين.

وأعلم تمام العلم أن من يقرأ هذا من المتعصبين للشَّيخ ابن تيميَّة سوف يلتمسون له المعاذير، ويحاولون أن يصرفوا نص الشَّيخ عن ظاهره.

**ولقد ذكر الحافظ ابن كثير أنَّ شيخه ابن تيميَّة لا ينكر التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، وإنَّما يُنكر الاستغاثة بغير الله، فقال في [البداية والنِّهاية]:**

قال البرزالي: فردُّوا الأمر إلى القاضي الشَّافعي، فعقد له مجلس وادعى عليْه ابن عطاء بأشياء فلم يثبُت عليْه منها شيء لكنَّه قال: لا يستغاث إلا بالله، لا يستغاث بالنَّبي بمعنى العبادة، ولكن يُتوسَّل به ويُتشفع به إلى الله.﴿٢﴾

**وذكر ذلك الحافظ ابن رجب الحنبلي فقال:**

ثمَّ في شوَّال من السنة المذكورة: اجتمع جماعة كثيرة من الصُّوفيَّة، وشكواهم الشَّيخ إلى الحاكم الشَّافعي، وعقد له مجلس لكلامه في ابن عربي وغيره، وادعى عليه ابن عطاء بأشياء ولم يثبت منها شيئاً، لكنه اعترف أنَّه قال: لا يُستغاث بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يُتوسَّل به، فبعض الحاضرين قال: ليس في هذا شيء.

ورأى الحَاكمُ ابن جماعة: أنَّ هذا إساءة أدب، وعنَّفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى

---

﴿٢﴾ البداية والنهاية لابن كثير ج١٤/ ص ٥

القاضي: أن يعمل معه ما تقتضيه الشَّريعة في ذلك، فقال القاضي: قد قلتُ له ما يُقال لمثله.﴿١﴾

**وذكر ابن تيميَّة حديث الاستغاثة بعباد الله في كتابه [الكلم الطَّيب] فقال:**

عن ابن مسعود "رضي الله عنه" عن النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قال:

إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسُوا عليَّ يا عباد الله احبسُوا عليَّ فإن لله ""عَزَّ وَجَلَّ"" في الأرض حاضرًا سيحبسه عليكم.﴿٢﴾

**وذكر ابن تيميَّة في [اقتضاء الصراط المستقيم] فقال:**

ولا يدخل في هذا الباب: ما يُروى من أن قومًا سمعوا ردَّ السَّلام من قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، أو قبور غيره من الصَّالحين. وأنَّ سعيد بن المسيب كان يسمع الأذان من القبر ليالي الحرة، ونحو ذلك. فهذا كله حق ليس ممَّا نحن فيه، والأمر أجل من ذلك وأعظم. وكذلك أيضًا ما يُروى: أنَّ رجلاً جاء إلى قبر النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فشكا إليه الجدب عام الرَّمادة، فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر، فيأمره أن يخرج يستسقي بالنَّاس فإنَّ هذا ليس من هذا الباب. ومثل هذا يقعُ كثيراً لمن هو دون النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأعرف من هذا وقائع.

وكذلك سؤال بعضهم للنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾، أو لغيره من أمته حاجةً فتقضى له، فإنَّ هذا قد وقع كثيراً، وليس هو مما نحن فيه.

وعليك أن تعلم: أنَّ إجابة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو غيره لهؤلاء السائلين ليس ممَّا يدل على استحباب السؤال، فإنَّه هو القائل ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾: إنَّ أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إيَّاها، فيخرج بها يتأبطها ناراً. فقالوا: يا رسُول الله، فلم تُعطيهم؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل.

---

﴿١﴾ ذيل طبقات الحنابلة للحافظ ابن رجب الحنبلي (٣٤٣/١)

﴿٢﴾ الكلم الطيب لابن تيميَّة ص ١٤٦

وأكثرُ هؤلاء السائلين الملِّحين لما هم فيه من الحال، لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم كما أنَّ السائلين به في الحياة كانوا كذلك، وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة.[١]

**قلت: هذا ما ذكره الشَّيخ ابن تيميَّة في اقتضاء الصِّراط المستقيم وفيه:**

١- إقراره بأنَّ رجلاً في عام الرَّمادة شكا لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ الجدب عام الرَّمادة. والمعروف عند أتباعه أنَّهم يُعدُّون الشَّكوى لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ من الشِّرك الأكبر والعياذ بالله.

٢- إقراره أنَّ الشَّكوى لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وغيره وقعت من الأُمَّة المُحمَّديَّة بل وتُقضي حوائجهم ويَعرفُ من ذلك الوقائع الكثيرة.

٣- إقراره أنَّ من يشكو أمراً لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو لغيره فإنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو غيره يجيبه. وفيه إثبات التصرف من النَّبي أو الولي بقدرة الله.

٤- أمَّا قوله [وعليك أن تعلم: أنَّ إجابة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو غيره لهؤلاء السَّائلين ليس ممَّا يدلُّ على استحباب السُّؤال] إن سلمنا له فهمه، فإنَّه يدل دلالة واضحة أنَّ الشكوى لسيِّدنا رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو غيره لا تعدُّ من الشِّرك، ولا حتى وسيلة للشِّرك. بل غايةُ الأمر عنده أنَّها غير مستحبة، ولم يقل أحدٌ من علماء الأُمَّة المُحمَّديَّة أنَّ فاعل غير المستحب يكون كافراً ولا آثماً.

٥- وممَّا يدلُّ أنَّ الأمر ليس بشرك ولا بكفر، استدلاله بالحديث السَّابق ذكره، لأنَّه كيف يُتصَّور أنَّ النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ يجيبُ السائل بما فيه ذريعة للكفر، أو الشِّرك. وكذلك قوله [لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم] فقد أثبت لهم الإيمان ولم ينفه عنهم.

**٥- توسُّل الشَّيخ عبد المؤمن بن عبد الحقِّ وهو (من أنصار ابن تيميَّة) قال:**

أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعصمنا من مخائل النَّكد، بمُحمَّد وآله الطَّيبين

---

﴿١﴾ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميَّة/ ج٢/ ص٢٢٨

الطَّاهرين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه ورضوانه عبد المؤمن بن عبد الحقِّ الخطيب غفر الله له وللمسلمين أجمعين.[١]

**عجيبة:** الشَّيخ عبد المؤمن بن عبد الحق من أحد المدافعين عن الشَّيخ ابن تيميَّة حينما حُبس في السجن، بفتوى علماء عصره، وله رسالة يدافع فيها عن الشَّيخ ابن تيميَّة أثبتها جامع الفتاوى، مع مجموعة رسائل بعث بها بعض المدافعين عن الشَّيخ ابن تيميَّة إلى السَّلطان، والعجيب أنَّ هذا التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وبعترته الطَّاهرة موجود في أشهر ما كُتِبَ عن الشَّيخ ابن تيميَّة، المنسُوب إليه إنكار التَّوسُّل بالحبيب ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ بعد انتقاله للرَّفيق الأعلى، وهذا التَّوسُّل أظن أنَّه لم يتنبَّه له من يتعصب لأقواله. وإلا لحذفوه من الفتاوى. وهنا سؤال يطرح نفسه هل الشَّيخ [عبد المؤمن] من المشركين لأنَّه توسَّل بحضرة النَّبي وآل بيته؟ والإجابة أتركها لمن شفاه الله من داء العصبيَّة.

**٦- إقرار الشَّيخ ابن قيم الجوزية [٦٩١ هـ - ٥٧١ هـ] بالشَّكوى لرسُول الله:**

ذكر الشَّيخ ابن قيِّم الجُوزية في كتاب [الكبائر]، وفي كتاب [السنَّة والبدعة]، نقلاً عن الحافظ السَّلفي نزيل الإسكندرية، بإسناده إلى يحيى بن أعطاف المعدل، أنَّه حكي عن شيخ دمشقي جاور الحجاز سنين قال: كنت بالمدينة في سنة مجدبة، فخرجت يومًا إلى السُّوق لأشتري دقيقًا برباعي، قال: فأخذ الدقاق الرباعي وقال: العن الشَّيخين[١]، حتى أبيعك الدَّقيق فامتنعت من ذلك، وقال: فراجعني مرات وهو يضحك، فضجرت منه، وقلت لعن الله من يلعنهما قال: فلطم عيني فسالت على خدي، فرجعت إلى المسجد، وكان لي صديق من أهل [ميا فارقين] جاور بالمدينة سنين، فسألني عمَّا جري فأخبرته، فقام معي إلى الحجرة

---

﴿١﴾ الفتاوى لابن تيميَّة ج٢٧ / ص ٢٠٠ / ط مكتبة ابن تيميَّة

﴿١﴾ يقصد بالشيخين أبا بكر الصديق وعمر الفاروق "لعنةُ الله على من يلْعنهُما".

المقدَّسة فقال: السَّلام عليك يا رسُول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا ثمَّ رجعنا فلما جنَّ الليل نمتُ فلمَّا استيقظت وجدت عيني صحيحة أحسن ما كانت....وذكر بقية القصة.﴿٢﴾

**وذكر ابن القيم في هذين الكتابين عن كمال الدَّين بن العديم في [ تاريخ حلب] قال:**

أخبرني أبو العبَّاس أحمد بن عبد الواحد، عن شيخ من الصَّالحين يعرف بـ: عمر بن الرعيني قال: كنت مقيماً بمدينة رسُول الله ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فخرجت بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية لقراءة المصرع في قُبة العبَّاس، فوقفت على باب القبَّة فقلت: أريد شيئاً في محبَّة أبى بكر.

قال: فخرج إلى واحدٌ منهم وقال: اجلس حتى أفرغ.

قال: فلما خرج، أخذ بيدي ومضى بي إلى داره، وأنا أظنَّ أنَّه يريد أن يعطيني شيئاً فقال: ادخل. فدخلت فسلط عليَّ عبدين فكتفاني وأوجعاني ضرباً، ثمَّ أمرهما فقطعا لساني ثمَّ قال: اخرج إلى الذي طلبت لأجله ليرد عليك لسانك.

قال: فخرج من عنده مقطوع اللسان، فجاء وهو يستغيث من الوجع إلى حجرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وجعل يقول: يا رسُول الله. قُطع لساني في محبَّة صاحبك. فإن كان صاحبك حقاً، فأحب أن تُرجع عليَّ لساني. وبات يستغيث بقلبه. قال: فأخذتني سنة من النَّوم، فاستيقظ فوجد لسانه في فيه صحيحاً كما كان، وأنَّ الذي قطع لسانه من الرَّافضة انقلب قرداً. وفي السنة الثَّانية ذهب إلى ذلك المكان فوجد ابنه، فأسلم هو وأهله وولده وتابوا من الرَّفض.﴿١﴾

**قلت:** ففي هذين النَّقلين السَّابقين للشَّيخ ابن قيِّم الجوزية عن أكابر مُحدثي الأُمَّة وإقراره ورضاه بهما، ذُكرَت الاستغاثة صراحة بسيِّد ولد آدم ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

بقول المستغيث [ يا رسُول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثأرنا ] و [ يا رسُول الله. قُطع

---

﴿٢﴾ نقلا عن (الرد المحكم المتين) للغماري ص٨١ – ٨٢

﴿١﴾ نحت حديد الباطل و برده بأدلة الحق الذابة عن صاحب البردة للعلامة داود بن سليمان / ص٥٤-٥٥

لساني في محبَّة صاحبك. فإن كان صاحبُك حقاً، فأُحبُّ أن ترجع عليَّ لساني. وبات يستغيثُ بقلبه ].

**وذكر في (بدائع الفوائد) توسُّل اليهود بنبيِّنا ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ فقال:**

كان أهل الكتاب بنو قريظة والنَّضير، يتوسَّلون بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ قبل وجوده لينصرهم الله على أعدائهم، قال تعالى في اليهود ﴿**وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ**﴾ فكانوا إذا قاتلوا المشركين قالوا: اللَّهُمَّ انصرنا بالنَّبي المبعوث في آخر الزمان، فينصرهم الله﴿٢﴾

**٧- التَّوسُّل عند العلاَّمة ابن مفلح الحنبلي [٨١٦ هـ - ٨٨٤ هـ ] قال:**

فائدة: يُستحب الاستسقاء بمن ظهر صلاحه، لأنَّه أقرب إلى الإجابة، وقد استسقى عمر بالعبَّاس، ومعاوية بيزيد بن الأسود، واستسقى به الضَّحاك بن قيس مرَّة أخرى ذكره المؤلف، وقال السَّامري وصاحب [التلخيص]: لا بأس بالتَّوسُّل في الاستسقاء بالشُّيوخ والعلماء المتَّقين وقال في [المذهب]: ويجوز أن يسُتشفع إلى الله برجل صالح، وقيل: يستحب. قال أحمد في [منسكه] الذي كتبه للمروذي أنَّه يتوسَّل بالنَّبي في دعائه وجزم به في [المستوعب] وغيره.﴿١﴾

**٨- العلاَّمة الفقيه منصور البهوتي المُتوفَّى سنة [١٠٥١ هـ ] والتَّوسُّل:**

قال في زيارة النَّبي: اللَّهُمَّ إنّك قلتُ وقولك الحق ﴿**وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا**﴾ وقد أتيتك مستغفرًا من ذنوبي مستشفعا بك إلى ربِّك، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللَّهُمَّ اجعله أول الشَّافعين، وأنجح السائلين، وأكرم الأولين والآخرين

---

﴿٢﴾ بيان للناس من الأزهر الشَّريف / ج٢ / ص ٨٣

﴿١﴾ المبدع في شرح المقنع لابن مفلح / ج٢ / ص ٢٠٠

برحمتك يا أرحم الراحمين، ثمَّ يدعو لوالديه ولإخوانه وللمسلمين.[١]

**١٠- توسل الفقيه الشَّيخ مُحمَّد الأمين بن ملا أحمد بن الحاج خليل الداغستاني:**

اللَّهُمَّ إنك قلتُ وقولك الحق: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ وقد أتيتك مستغفرًا من ذنوبي مستشفعًا بك إلى ربِّي، فأسألك يا رب أن توجب لي المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللَّهُمَّ اجعله أول الشَّافعين، وأنجح السَّائلين، وأكرم الأولين والآخرين برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.[٢]

**١١- التَّوسُّل عند الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب النَّجدي [١١١٥هـ- ١٢١٠هـ]:**

لقد أنكر الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب النَّجدي على مَنْ يقول عنه، أنَّه يكفر المتوسِّلين كما جاء في رسالته الطويلة التي أرسلها إلى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته وقال فيها:

ثمَّ لا يخفي عليكم أنَّ رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنَّه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أنَّ الرَّجل افترى عليَّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وإنِّي أقول: أنَّ النَّاس من ستمائة سَنة ليسُوا على شيء، وإنِّي أدعي الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وإني أقول: أنَّ اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من توسَّل بالصَّالحين، وأني أكفر البوصيري[٣] لقوله: يا

---

﴿١﴾ كشف القناع / ج٢ / ص ٥١٦ / ط دار الفكر بيروت

﴿٢﴾ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى

﴿٣﴾ قلت: بل أفتى أتباعه أن هذا البيت من قصيدة الإمام البوصيري به شرك أكبر والعياذ بالله. واقرأ ما قاله الشَّيخ عبد العزيز بن باز ومن معه: وعلى هذا فلا ثواب في قراءتها، بل في بعض أبياتها شرك أكبر مثل:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

إلى أن قال:

إن لم تكن في معادي آخذا بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

فإن من جودك الدُّنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

أنظر فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء من الفتوى رقم (٥٧٨٢)

أكرم الخلق.....إلي آخر ما ذكر الشَّيخ في رسالته التي ختمها بقوله، جوابي عن هذه المسائل أن أقول: ﴿سُبۡحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهۡتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾[٢].انتهى. [٣]

**ولقد أفتي الشَّيخ مُحمَّد بن عبد الوهاب النجدي بجواز التَّوسُّل حينما سئل عن قولهم في الاستسقاء [لا بأس بالتَّوسُّل بالصَّالحين] وقول أحمد [يتوسَّل بالنَّبي خاصَّة] فقال:**

الفرقُ ظاهرٌ جدًا، وليس الكلام مما نحن فيه، فكون بعضهم يرخص بالتَّوسُّل بالصَّالحين وبعضهم يخصُّه بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وأكثر العلماء ينهي عن ذلك ويكرهه، فهذه المسألة من مسائل الفقه[٢] وإن كان الصَّواب عندنا قول الجمهور من أنَّه مكروه،[٢] فلا ننكر على من فعله، ولا إنّكار في مسائل الاجتهاد[٣] ولكن إنّكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالي، ويقصد القبر يتضرع عند الشَّيخ عبد القادر فأين هذا ممَّن يدعو الله مخلصًا له الدِّين لا يدعو مع الله أحدًا ولكن يقول في دعائه: أسألك

---

ويقول المدعو محمد بن خليفة بن علي التميمي في كتابه [رؤية النَّبي ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ لربه] : فإننا نسمع أنه يلقى في هذه الاحتفالات من القصائد ما يخرج عن الملة قطعاً كما يرددون قول البوصيري: ثم ذكر البيتين السَّابقين.

﴿١﴾ سورة النور: ١٦

﴿٢﴾ تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية للدكتور مُحمَّد بن سعد الشويعر / ص ١١٠- ١١١

﴿٣﴾ بل جعلها اليوم أتباعه اليوم من مسائل العقيدة لا من مسائل الفقه. ففي فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السؤال الأول من الفتوى رقم (٦٩٤٩)

س١: يقول بعض العلماء (إن التَّوسُّل قضية فقهية لا قضية عقيدة) كيف ذلك؟

ج١: التَّوسُّل إلى الله في الدُّعاء بجاه الرسول ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ أو ذاته، أو منزلته، غير مشروع؛ لأنه ذريعة إلى الشرك، فكان البحث فيه لبيان ما هو الحق من مباحث العقيدة،

﴿٢﴾ وأين رأي الجمهور على كراهة التَّوسُّل؟ بل الصَّواب عكس ذلك.

﴿٣﴾ بل أنكر أتباعك وغالوا في الإنكار، وكفروا المتوسِّلين ووصموهم بقولهم (عباد القبور) بل وقالوا أن كفر المتوسِّلين أشد من كفر أبي جهل وأبي لهب، ومن المشركين في الجاهلية.

بنبيِّك أو بالمُرسَلين أو بعبادك الصَّالحين أو يقصد [قبر مَعْرُوف][٤] أو غيره يدعو عنده، لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدَّين فأين هذا ممَّا نحن فيه.[٥]

**قلت:** هذا رأي مُحمَّد بن عبد الوهاب النَّجدي في التَّوسُّل، فهو لا ينكر على من توسَّل بالأنبياء والصَّالحين، أو حتى الذِّهاب والدُّعاء عند قبورهم طالما كان الدُّعاء خالصًا لوجه الله ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى""، فيا ليت من يتسرع بالحكم على المتوسِّلين بالشِّرك، يلتزم حتى برأي مُحمَّد بن عبد الوهاب. فهل مُحمَّد بن عبد الوهاب يدعوا إلى الشِّرك، والكفر وعبادة القبور؟ ونتحدى أن يتهم أحدٌ منهم مُحمَّد بن عبد الوهاب النجدي بالكفر والشِّرك والبدعة؟ ولكن من السهل عند البعض أن يُكفَّر جميع المتوسِّلين من علماء الأمَّة المُحمَّدية من سلفها إلى خلفها. ما لكم كيف تحكمون؟

**١٢- توسُّل الشَّيخ صديق حسن القنوجي [١٢٤٨ هـ - ١٣٠٧ هـ]:**

توسَّل بقوله: صانَها الله وإيانا عن كل رزية وبلية بجاه نبيه المُصْطفى خير البرية (صلى الله عليْه وعلى آله وأصحابه كل بكرة وعشية).[١]

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

﴿٤﴾ يقصد قبر سيِّدنا العارف بالله الشَّيخ معروف الكرخي "قدس الله سره"

﴿٥﴾ نقلا عن كتاب [مفاهيم يجب أن تصحح] للدكتور مُحمَّد علوي المالكي ص ٨٠-٨١

﴿١﴾ أبجد العلوم / ج ٣ / ص ٢٨٠ / ط دار الكتب العلمية – بيروت

## توسل علماء اللُّغة العربيَّة

**١- توسُّل العلاَّمة اللُّغوي الإمام السَّكاكي [٥٥٥ هـ - ٦٢٦ هـ] قال:**

كمل القسم الأول من الكتاب، والله المشكور على كماله، والمسئول أن يمنح التوفيق في

الباقي، بحق مُحمَّد وآله.﴿١﴾

**٢- توسُّل العلاَّمة الُّلغوي المُحدث أبو زكريا الصرصري الحنبلي [٥٨٨ هـ - ٦٥٦ هـ ] يقول في قصيدته اللامية:**

ولستُ من الخَطب المُلم بخائفٍ وأنت لدَى كل الحوادث لي وَليّ

بعدما خاطبه بقوله:

لأنت إلى الرَّحمن أقوى وسيلة إليها بها في الحادثات توسُّلي

وسلْ لي ربَّ العالمين يُميتتي على السُّنة البيضاء غير مبدل﴿٢﴾

**٣- توسُّل العلاَّمة الُّلغوي ابن منظور[٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ ] قال:**

إنَّا نرغب إلى الله ""عَزَّ وَجَلَّ"" ونتضرع إليه في نصرة ملته، وإِعْزاز أُمَّته وإِظهار شريعته، وأَن يُبْقِي لهم هِبَة تأْويل هذا المنام، وأَن يعيد عليهم بقوّته ما عدا عليه الكفار للإِسلام، بمُحمَّد وآله "عليهم الصَّلاة والسَّلام".﴿٣﴾

**٤- توسُّل العلاَّمة الُّلغوي الشَّيخ الفيومي المُتوفَّى سنة [٧٧٠هـ ]:**

قال: ونسأل الله حسن العاقبة في الدُّنيا والآخرة، وأن ينفع به طالبه، والناظر فيه، وأن يعاملنا بما هو أهله، بمُحمَّد وآله الأطهار وأصحابه.﴿٤﴾

**٥- توسُّل العلاَّمة الُّلغوي الفيروزابادي [٩٢٩ هـ - ٨١٧ هـ ]:**

قال بالتَّوسُّل في كتابه [الصِّلات والبِشَر في الصَّلاة على خير البشر]

**٦- توسُّل العلاَّمة الُّلغوي أحمد بن علي القلقشندي [٧٥٦ هـ - ٨٢١ هـ]:**

---

﴿١﴾ مفتاح العلوم / ج١/ ص ٣٣

﴿٢﴾ نحت حديد الباطل و برده للشَّيخ العلاَّمة داود بن سليمان الشَّافعي ج١ / ص ٦٤

﴿٣﴾ لسان العرب لابن منظور ج١١ / ص ٧٨

﴿٤﴾ المصباح المنير ص٧١٢

توسل بالنَّبي وآله فقال: والله تعالى يكمل توفيقه، ويسهل إلى نجحِ المقاصد طريقه، بمُحمَّد وآله بمُحمَّد وآله.﴿١﴾

**٧- توسُّل العلاَّمة اللُّغوي المقري التلمساني المُتوفَّى سنة [١٠٤١ هـ]:**

توسَّل بقوله: اللَّهُمَّ يسِّر لي ما فيه الخيرة لي بالمشارق أو بالمغارب، وجد لي من فضلك حيث حللت بجميع ما فيه رضاك من المآرب، بجاه نبيِّنا وشفيعنا المبعوث رحمة للأحمر، والأسود، والأعاجم، والأعارب.﴿٢﴾

**٨- توسُّل العلاَّمة عبد القادر بن عمر البغدادي [١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ] قال:**

وسهّل له الفتح المبين، بجاه حبيبه ورسُوله مُحمَّد الأمين. آمين.﴿٣﴾

**٩- توسُّل العلاَّمة مرتضي الدَّين الزَّبيدي [١١٤٥ هـ - ١٢٠٥ هـ] قال:**

وآثارها جليلة كثيرة لا يسعُها هذا المختصر، والله يردها دار إسلام، بمُحمَّد وآله عليهم السَّلام.﴿٤﴾

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## توسُّل علماء التَّاريخ

**١- توسُّل الرَّحالة ابن جبير [٥٤٠هـ - ٦١٤ هـ] قال:**

---

﴿١﴾ صبح الأعشى في صناعة الإنشا / ج١١ / ص ٣٠٢

﴿٢﴾ نفح الطيب / ج١ / ص ٣٢

﴿٣﴾ خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي ج١ / ص١

﴿٤﴾ تاج العروس من جواهر القاموس ج١ / ص ٤٩٣٩

وشاهدنا من استلام النَّاس للقبر المبارك، وإحداقهم به، وانكبابهم عليه، وتمسحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم حوله مزدحمين باكين متوسلين لله ""سُبْحَانَهُ وَتَعَالى"" ببركة التربة المقدسة ومتضرعين ما يذيب الأكباد ويصدع الجماد. والأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم.﴿١﴾

**٢- توسُّل العلاَّمة الحافظ المؤرخ ابن الأثير [٥٥٥ هـ - ٦٣٠ هـ] قال:**

فتبارك الحي الدَّائم الملك، الذي لا يزول ملكه، وهذه سُنة الدُّنيا، فأفٍّ لها، ثمَّ أف، نسأل الله أن يختم أعمالنا بالحسنى، ويجعل خير أيامنا يوم نلقاه بمُحمَّد وآله.﴿٢﴾

**٣- توسُّل العلاَّمة المؤرخ ابن العديم [٥٨٦ هـ - ٦٦٠ هـ] قال:**

وورد إلى دمشق، وأقام بها لما غلب على القدس استيلاء المشركين، طهره الله منهم ببركة سيِّد المرسلين، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه المنتجبين. ﴿٣﴾

**٤- توسُّل الشَّيخ ياقوت الحموي المُتوفَّى سنة [٦٢٦ هـ]:**

توسَّل بحق النَّبي فقال: والله يحسن لنا العاقبة، ولا يحرمنا ثواب حسن النية في الإفادة والاستفادة بحق مُحمَّد.﴿٤﴾

**٥- توسُّل العلاَّمة المؤرخ ابن خلكان [٦٠٨ هـ - ٦٨١ هـ] قال:**

اللَّهُمَّ رب الأرض المدحيَّة، والسَّموات العليَّة، والبحار المسجَّرة، والرياح المسخَّرة اسمع ندائي، واستجب دعائي، وبلغنا في معاليه، ما نؤمله ونرتجيه، بمُحمَّد النَّبي وصحبه وذويه.﴿١﴾

**٦- توسُّل العلاَّمة المؤرخ ابن تغربردي [٨١٣ هـ ٨٧٤ هـ]:**

---

﴿١﴾ رحلة ابن جبير ج١ ص٥

﴿٢﴾ الكامل ج٤ / ص ٤٦١

﴿٣﴾ بغية الطلب في تاريخ حلب ج٧ / ص ٣٢٤٢

﴿٤﴾ معجم البلدان / ج٥ / ص ٨٧ / ط دار الفكر – بيروت

﴿١﴾ وفيات الأعيان ج٦ / ص١٣٢

توسَّل بقوله: نسأل الله تعالى حسن الخاتمة بمُحمَّد وآله.[٢]

**٧- توسُّل العلاَّمة ابن خلدون [٧٣٢ هـ - ٨.٨ هـ] قال:**

ونتوسَّل إليه بجاه نبيه الكريم، أن يرزقنا ايماناً دائماً، وقلباً خاشعاً، وعلماً نافعاً، ويقيناً صادقاً وديناً قيماً، والعافية من كل بليَّة، وتمام العافية، ودوام العافية، والشكر على العافية والغنى عن النَّاس.[٣]

**٨- توسُّل العلاَّمة المؤرخ الشَّيخ ابن الخطيب [٧٤٠ هـ - ٨١٠ هـ]:**

يقول: ومن توسَّل إليه بجاه مُحمَّد نجَّاه ونفعَه.[٤]

**٩- توسُّل العلاَّمة المؤرخ الصَّالحي الشامي المُتوفَّى سنة[٩٤٢ هـ]:**

جمع أبواب التَّوسُّل بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ في كتابه [ سبُل الهُدي والرَّشاد في سيرة خير العباد]

**١٠- العلاَّمة المؤرخ عبد القادر العيدروس [٩٨٧ هـ - ١٠٣٨ هـ]:**

ذكر قصيدة لأحد الفضلاء وفيها:

يــا رب واخــتم لــي بخيــر إنَّــي مُتوسِّل بالمُصطفى خير الورى[٥]

**١١- توسُّل العلاَّمة المؤرخ مُحمَّد أمين المحبي [١٠٦٠ هـ - ١١١١ هـ]:**

جعل الله مجمل سعادته غنياً عن الإفصاح، وجياد أوصافه الحسنة متبارية في ميدان المدَّاح. بجاه سيِّدنا مُحمَّد الذي علا على البراق، وتشرفت به الآفاق.[١]

**١٢- العلاَّمة المؤرخ حاجي خليفة:**

ويحمي أعراضنا عن ناره الموقدة بحرمة أمين وحيه وبجعلنا ممن لا يذاد إذ زيد عن

---

﴿٢﴾ النجوم الزاهرة / ج١١ / ص ١٠٣

﴿٣﴾ تاريخ ابن خلدون ج٦ / ص٣٦

﴿٤﴾ وسيلة الإسلام ج١ / ص٣١

﴿٥﴾ النور السافر عن أخبار القرن العاشر للعيدروس / ج١/ ص ١٥

﴿١﴾ نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة للمحبي ج١ / ص٢٠٤

حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باستكتابه سببا يصلنا بأسبابه.[٢]

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه

## ما يستفاد من توسل علماء الأمَّة المُحمَّدية

**أخي المحب لحبيبك المُصْطفى ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾**

هذه بعض توسُلات جهابذة علماء الأمَّة المُحمَّدية، من أئمة الحديث النَّبوي الشَّريف والفقه والأصول، والتَّفسير، وعلماء اللُّغة العربيَّة، وعلماء القراءات، نقلتها لك أخي المُحب

---

﴿٢﴾ كشف الظنون ج٢ / ص ٢٠٥٦

من مظانِّها، ولو استرسلنا في ذكر توسُّلات السَّادة العلماء بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ وآله الكرام، لما كفانا آلاف الأوراق.

فهل يا أيُّها المُنصف العاقل هؤلاء الأئمة الأعلام، نقلة الشَّريعة المُحمَّدية، ضلَّوا عن طريق الحقِّ، وعدلوا عن الصِّراط المستقيم؟.

أيجمُل بك أخي المسلم بعد هذه النُّقول عن الأئمة الفحول، أن تصوِّب سهام الكفر إليهم وهم ورثة الأنبياء والمُرسلين، والواسطة في تبليغ شريعة ربِّ العالمين.

بالله عليكم إذا قرأ مسلم في كتيبات المغالين أنَّ التَّوسُّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو الصَّالحين وسيلة للشِّرك، أو هو الشِّرك، ثمَّ يقرأ عن أعلام الأمَّة المُحمَّدية من الحفاَّظ، والفقهاء، وعلماء اللُّغة العربيَّة، والمؤرخين، من السَّلف والخلف، توسلهم بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو الصَّالحين ماذا يفعل؟ ماذا يفعل؟

لقد حيَّروا الشَّباب المسلم الغيور على دينه، وشتَّتوا عقُولَهم، وازدادت الفرقة والخصام، والجدال فيما بينهم، فحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

**أخي القارئ**: اسمح لي في ختام هذا الفصل أن أذكر نموذجا من نماذج التَّكفير والاتهام بالرِّدة لكل من يتوسَّل بالنَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ أو بالصَّالحين، وقارن بينه وبين ما سبق من توسُّلات أجل علماء الأمَّة المُحمَّدية.

فقد وصف أبو بكر الجزائري المتوسِّلين بالشِّرك، والرِّدة، عن الملَّة، والخلود في النَّار والعياذ بالله فقال:

إنَّ دعاء الصَّالحين، والاستغاثة بهم، والتَّوسُّل بجاههم، لم يكن في دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحاً فيتوسَّل به أبداً، وإنَّما كان شركاً في عبادة الله محرَّمًا، يُخرجُ فاعله من الدَّين ويوجب له الخلود في جهنم.﴿١﴾

**تنبه أيها المُحِب لرسُول الله:**

---

﴿١﴾ عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص ١٤٤

إنَّ وسْمَ المتوسِّلين بحضرة النَّبي ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾ والصَّالحين من عِباد الله بالشِّرك، أو الكفر، أو البدعة، أدى إلى نتيجة خطيرة للغاية، برزت بوادرها في هذا العصر، ألا وهي فصل وانسلاخ المسلمين، عن علماء الأمَّة المُحمَّدية، من حفاَّظ الحديث النَّبوي الشَّريف، ونقلة الأحكام الفقهية، ونقلة علم القراءات، وعلماء اللُّغة العربيَّة.

فرأينا من بوادر هذه الغلو من يقدح في عقيد ة كبار علماء الأمة كأمثال الحافظ ابن حجر العسقلاني، والحافظ الإمام النووي، والطعن في فقهاء المذاهب الأربعة. بل إن شأت فقل: طعنوا في عقائد السَّواد الأعظم من الأمَّة المُحمَّديَّة.

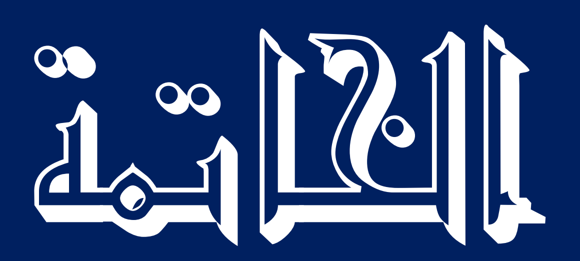
فبالله عليكم أية ثقة يثقها المسلم في علماء وُصِفُوا بالكفر، والشِّرك، والخلود في النَّار والبدعة، والزِّيغ والضَّلال؟

وسؤالٌ مهمٌ أختم به هذا الفصل وتدبر إجابته مع نفسك واستفت قلبك وإن أفتوك.

سؤال نسأله لكل منصف عاقل يتبع سبيل المؤمنين، ويخشي الله ربَّ العلمين، وله غيرة على هذا الدَّين الحنيف:

هل كل من ذكرنا لك أخي الحبيب، من حفاَّظ الحديث النَّبوي الشَّريف، وعلماء الفقه والأصول، من المذاهب المتبوعة، وعلماء التَّفسير، وعلماء اللُّغة العربيَّة، وعلماء التاريخ أشركوا بالله وخرجوا عن دائرة الإسلام؟؟؟؟.

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله وصحبه


الخاتمة

# الخاتمة

بسم الله، والحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا ومولانا رسُول الله، وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.

**أمَّا بعد:**

فهذا بعض ما تيسَّر لي بفضل الله تعالى، ثمَّ ببركة سيِّدنا رسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ثمَّ ببركة مشايخي من أهل العلم، من ذِكْر دَلائل المُحبيِّن، في قضيَّة التَّوسُّل بالأنبياء والصَّالحين.

**تلكُم القضيَّة:** التي تَهوَّك فيها المُتهوِّكُون، وشطُّوا فيها عن منهج أولي التَّحقيق من العُلماء العَارفين، وسلكوا فيها مسلك المتنطِّعين الهالكين، ووصمُوا جمُوع الأُمَّة بالزِّيغ والضَّلال، بل وبالشِّرك الَّذي لا يُغفرُ لصَاحبه يوم القيامة.

وليس معهم دليلٌ قاطعٌ، ولا برهانٌ ساطعٌ، وإنَّما هي شُبهاتٌ علقت في أذهانهم وعصبيةٌ رانت على قلوبهم. وادعاء احتكار الحقيقة، وسداد الطريقة.

وأنت كما رأيت أيُّها الأخ الحبيب ممَّا سبق في هذا البحث، من دلائل ساطعة، وبراهين جامعة، وحُجج دامغة، من نُصوص القرآن العظيم، وسنَّة النَّبيِّ الكريم، وتوسُّلات أئمَّة الدِّين من السَّادة العلماء العارفين.

فهل آن الأوان للرُّجوع إلى سبيل المؤمنين، واتباع السَّواد الأعظم من المسلمين حتى نجمع الشمل، ونوحِّد الصَّف، وننبذ الفرقة، ونطرح التَّعصب، ونستمسك بما استمسك به السَّواد الأعظم من الأمة.

**أخي الحبيب:** ضع نُصب عينيك قول المعصوم ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ الَّذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أنَّ رسُول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قال: ﴿إِذَا قَال الرَّجُل هلك النَّاس فَهُو أهلكهم﴾. قال أبو إسحق لا أدري (أَهْلَكَهُم) بالنَّصب أو

(أهْلَكُهُم) بالرَّفع.[١]

وأسأل الله العليَّ القدير بأسمائه الحُسني، ما علِمتُ منْها وما لم أعلم، وما هو بها أعلم أن يجعلنا ومشايخنا، ووالدِينا، وإخواننا من أهل شفاعة سيِّد الخلق، سيِّدنا ومولانا مُحمَّد ﴿صلَّى الله عليه وآله وسلَّم﴾.

اللَّهم إنِّي أتوجَّه إليك بنبيِّك مُحمَّد نبيِّ الرَّحمة، يا رسُول الله: إنِّي أتوجَّه بك إلى الله في قبُول هذا العمل المُتواضع، وأن يكون خا لصًا لوجهه الكريم، ومقبولاً عندك يا سيَّد الأولين والآخرين، وأن ينفع الله به كل من اطلع عليه، وأن يهدي به من ضلَّ طريق الحق، ويثبت به قلوب المحبين على الصراط الميتقيم. آمين

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد، وعلى آله وصحبه، وعلى جميع الأنبياء والمُرسلين.

﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٢﴾

كتبه العبد الفقير

أبو صُهيْب فتحي بن سَعيد بن عُمر بن أحمْد بن خَليل الحُجيْري

دراسات إسلامية وعربية – شعبة أصول الدين – قسم الحديث الشَّريف

مصر – قنا – قوص – العُليقَات – نجع سِنْدل

تحريرا في يوم الأربعاء الموافق ٢٠/٤/٢٠١١ من الميلاد

١٧ جمادى الأولى ١٤٣٢ من الهجرة النبوية

بجوار مسجد مولانا الإمام الحسين بن على (رضي الله عنهما) بحي الدراسة – القاهرة

---

[١] رواه مالك في الموطأ رقم (٦٠٩)، وأحمد (٢/٢٧٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٥٩) ، ومسلم في صحيحه (٨/٣٦)، وأبو داود (٤٩٨٣) جميعهم من حديث أبى هريرة .


المراجع

## المراجع


١) القرآن الكريم
٢) أخبار مكة للفاكهي ط دار خضر - بيروت
٣) الأذكار للنووي
٤) الاستيعاب لابن عبد البر ط دار الجيل - بيروت
٥) الإصابة لابن حجر ط دار الجيل بيروت
٦) إعانة الطالبين للسيد البكري طدار الفكر – بيروت
٧) إعلام الموقعين لابن القيم ط دار الجيل - بيروت.
٨) البداية والنهاية لابن كثير ط مكتبة المعارف – بيروت
٩) بيان للناس من الأزهر الشريف مطبعة الأزهر
١٠) تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضي الدين الزبيدي
١١) تاريخ الطبري ط دار الكتب العلمية - بيروت
١٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ط دار الكتب العلمية - بيروت
١٣) تحفة الأحوذي للمباركفوري ط دار الكتب العلمية – بيروت
١٤) تذكرة الحفاظ للقيسراني ط دار الصميعي - الرياض
١٥) الترغيب والترهيب للمنذري ط دار الكتب العلمية - بيروت
١٦) تفسير ابن كثير ط المكتب الإسلامي - بيروت
١٧) تفسير الطبري ط دار الفكر - بيروت
١٨) تفسير القرطبي ط دار الشعب - القاهرة
١٩) تهذيب الكمال للحافظ المزي ط مؤسسة الرسالة - بيروت
٢٠) تهذيب اللغة للأزهري
٢١) التوحيد لابن عبد الوهاب ط وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
٢٢) حاشية ابن عابدين ط دار الفكر – بيروت
٢٣) حاشية الشيرواني ط دار الفكر – بيروت
٢٤) حاشية الطحاوي علي مراقي الفلاح ط مكتبة البابي الحلبي – بيروت
٢٥) خلاصة البدر المنيرلابن الملقن ط مكتبة الرشد - الرياض
٢٦) زاد المسير لابن الجوزي ط المكتب الإسلامي - بيروت
٢٧) سعادة الدارين للسمنودي
٢٨) سنن ابن ماجة ط دار الفكر - بيروت
٢٩) سنن الدارمي ط الكتاب العربي - بيروت
٣٠) سنن النسائي ط دار الكتب العلمية - بيروت
٣١) سنن سعيد بن منصور ط الدار السلفية - الهند
٣٢) سير أعلام النبلاء الذهبي ط مؤسسة الرسالة - بيروت
٣٣) شرح النووي علي صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٤) شرح فتح القدير للكمال بن الهمام ط دار الفكر – بيروت
٣٥) شعب الإيمان للبيهقي ط دار الكتب العلمية – بيروت
٣٦) صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة - بيروت
٣٧) صحيح البخاري ط دار ابن كثير - اليمامة - بيروت
٣٨) صحيح الترغيب والترهيب للألباني ط مكتبة المعارف -الرياض)
٣٩) صحيح مسلم ط دار إحياء التراث العربي
٤٠) طبقات الحنفية ط كتب خانة – كراتشي
٤١) الفتاوى لابن تيمية ط مكتبة ابن تيمية
٤٢) فتح الباري ط دار المعرفة - بيروت
٤٣) فتح القدير للشوكاني ط دار الفكر - بيروت.
٤٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للعراقي ط مكتبة السنة - مصر
٤٥) فتح الوهاب لزكريا الأنصاري ط دار الكتب العلمية – بيروت
٤٦) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير ط دار الندوة الجديدة - بيروت
٤٧) الكامل في الضعفاء للجرجاني ط دار الفكر - بيروت
٤٨) كتب ورسائل ابن تيميه في رسائل الفقه ط ابن تيميه
٤٩) كرامات الأولياء لهبة الله اللالكائي ط دار طيبة - الرياض
٥٠) كشف الخفا للعجلوني ط مؤسسة الرسالة – بيروت
٥١) كشف الظنون ط دار الكتب العلمية – بيروت
٥٢) كشف القناع للبهوتي ط دار الفكر – بيروت
٥٣) كفاية الطالب الرباني لأبي الحسن المالكي ط دار الفكر بيروت
٥٤) كنز العمال للمتقي الهندي
٥٥) لسان العرب لابن منظور ط دار طادر - بيروت
٥٦) المبدع بن مفلح الحنبلي ط المكتب الإسلامي
٥٧) مجمع الزوائد للهيثمي ط دار الريان للتراث
٥٨) مختار الصحاح ط مكتبة لبنان - ناشرون
٥٩) مستدرك الحاكم ط دار الكتب العلمية - بيروت
٦٠) مسند الفردوس ط دار الكتب العلمية - بيروت
٦١) مصنف ابن أبي شيبة ط مكتبة الرشد - الرياض
٦٢) المعجم الأوسط للطبراني ط دار الحرمين - القاهرة
٦٣) معجم البلدان لياقوت الحموي ط دار الفكر بيروت
٦٤) المعجم الوجيز ط وزارة التربة والتعليم
٦٥) مغني المحتاج محمد الخطيب الشربيني ط دار الفكر - بيروت
٦٦) المغني لابن قدامة الحنبلي ط دار الفكر بيروت
٦٧) المقصد الأرشد في ط مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض


الفهرس

# الفهرس

## الباب الثاني الفصل الثاني



## الباب الثاني الفصل الثالث

## الباب الثالث الفصل الأول

## الباب الثالث الفصل الثاني



## الباب الثالث الفصل الثالث


هذا الكتاب
بحثٌ علميٌ موثقٌ، ببراهين ساطعةٍ، وحُجج دامغةٍ،
ودلائل نيِّرةٍ، من كتاب الله ربِّ العالمينَ، وسنَّة
سيِّد الخلق أجمعين، وآراء العلماء الرَّبانيين من
سلف الأمَّة المُحمَّديَّة وخلفها،
نستعرض فيه قضيَّة التَّوسل بالأنبياء والصَّالحين،
التي تهوَّك فيها المتهوِّكون، وتطرَّف فيها
المنكرون، فسخَّروا أقلامَهُم المسمومة في تكفير
المتوسِّلين بجاه سيِّد الأوليين والآخرين، بشبهات
داحضة، وأفهام ساقطة، تتهاوى أمام دلائل
المحبين من علماء السَّلف الصَّالح، ومن تبعهم
بإحسان من العلماء الربانيين.